



عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

النزعة الدرامية في شعر يوسف الخطيب

دراسة تحليلية

مها محمود داود حليبة

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1438هـ/2017م

النّزعة الدّرامية في شعر يوسف الخطيب

دراسة تحليلية

إعداد:

مها محمود داود حطيّة

بكالوريوس أساليب تدريس اللغة العربية-جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

المشرف: د. بنان صلاح الدين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربيّة  
وآدابها/ كلية الآداب / جامعة القدس.

2017/هـ1438



جامعة القدس  
عمادة الدراسات العليا  
برنامج اللغة العربية وآدابها

إجازة الرسالة  
النزعة الدرامية في شعر يوسف الخطيب  
دراسة تحليلية

اسم الطالب: مها محمود داود حليبة

الرقم الجامعي: 21110652

المشرف: د. بنان صلاح الدين

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2017/3/1 م من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوافقهم:

التوقيع.....

1. رئيس لجنة المناقشة د. بنان صلاح الدين

التوقيع.....

2. ممتحنا داخليا د. محمد يوسف بنات

التوقيع.....

3. ممتحنا خارجيا د. ناهدة الكسواني

القدس - فلسطين

2017/هـ1438

## الإهداء:

إلى من حرمنا الاحتلال من زيارتها لكنها في القلب باقية ... إلى القدس .  
إلى من أسير ببركة دعائهما .. إلى والدي.  
إلى من ساندني في الوصول إلى هذه المرحلة .. إلى زوجي.  
إلى أمل الغد وشموع الدرب .. إلى أبنائي.  
إلى رفاق الدرب .. إلى أخوتي وأخواتي .  
إلى الذين عطروا ثرى فلسطين بدمائهم، من يعبدون طريق الحرية ... إلى الشهداء.  
إلى من دافعوا عن شرف الأمة، الأسود خلف القضبان ... إلى أسرانا.  
إلى من صبرن واحتسبن وذرفن الدموع بصمت ... إلى أمهات الشهداء والأسرى والجرحى.  
إلى عشاق الحرية في كلِّ زمان ومكان.

## إهداء خاص إلى الشاعر

إلى من كلفهم قول كلمة الحق، المنفى والتشرد ولم يدخل اليأس إلى قلوبهم بل كانوا على يقين بأنَّ  
شمس الحق لا بد بازغة إلى روح شاعر القضية، عندليب فلسطين، **يوسف الخطيب** .  
نعم عليك ألا ترجئ عمل اليوم إلى الغد..

ولكن إذا كان العمل "أملاً" ورأيت أنه يُخاتلك طيلة الوقت، فإنَّ عليك في مثل هذه الحالة أن تُرجئه  
المرّة تلو المرّة، إلى أكثر من غدٍ واحد قادم إلى أن تظفر به في آخر الأمر حياً كنت أو ميتاً لا  
خلاف ... وإلا فإنَّ البديل الوحيد لذلك ليس إلا اليأس والانكسار إلى حدِّ الانتحار.

الأعمال الشعرية الكاملة، 69/2 .

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

## إقرار

أقر أنا معدة الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد وأن هذه الرسالة، أو أي جزء منها لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة، أو معهد آخر.

التوقيع.....

الاسم : مها محمود داود حلبية

التاريخ : 1 / 3 / 2017

## شكر وتقدير

أقدم بالشكر والعرفان إلى الدكتورة الفاضلة **بنان صلاح الدين** على تكريمها بالإشراف على الرسالة والتوجيه المستمر لي في خطوات البحث.

وأتوجه بالشكر إلى الدكتورة : **ناهدة الكسواني**

والدكتور : **محمد يوسف بنات**

على تكريمهما بمناقشة البحث وما أبدوه من ملاحظات.

ولا أنسى الدكتور **الفاضل حسين الدراويش**، الذي أشار عليّ باسم الشاعر **يوسف الخطيب** ووجهني لقراءة أشعاره، والبحث فيها.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى **السيد مراد السّوداني**، واتّحاد **الكتاب الفلسطينيّين** الذي زاروا دمشق وتواصلوا مع الشّاعر وعملوا على جمع أشعاره في ثلاثة مجلدات ونشرها .

## المُلخَص

تتناول هذه الدراسة ظاهرة التّزعة الدّرامية في شعر الشّاعر الفلسطيني يوسف الخطيب، لتحاول الكشف عن هذه الظاهرة ومدى بروزها لدى الشّاعر، ولتبين مدى ارتباطها مع مواقف الشّاعر الفكريّة التي عبر بها من خلال عناصر الدّراما المختلفة، وتتبع أهمية الدّراسة من كونها تعالج هذه الظاهرة الفنيّة في شعر الخطيب التي لم يسبق أن درسها أحد بصورة مستقلة.

وتهدف الدّراسة إلى رصد عناصر الدّراما في شعر يوسف الخطيب، ومدى توظيف الشّاعر لهذه الظاهرة، وعناصرها الحدث وأنواعه، والمكان وأثره النفسي على الشّاعر، والزّمن واهتمام الشّاعر به ومقارنة الماضي بالحاضر، والشّخصيات ودورها في تحريك الحدث وعلاقتها بالعناصر الأخرى والحوار والصّراع ودورهما في تطور الحدث وتصاعده حتى بلوغه النهاية.

واعتمدت الدراسة على المنهج التكاملي، أما المنهج التاريخي فكان في تتبع حياة الشّاعر، والتحليلي الوصفي في شرح القصائد . وجاءت الدراسة في مقدّمة وتمهيد، وفصلين وخاتمة، وتناولت في التمهيد، نبذة عن حياة الخطيب وأهم المراحل في حياته، ودرست في الفصل الأول: البنية الدرامية ومفهومها، والحدث وأنواعه، والمكان والزّمن. ودرست في الفصل الثّاني الشّخصيات وأنواعها، والصّراع الدّاخل والخارجي، والحوار بنوعيه.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى ظهور التّزعة الدرامية بعناصرها المختلفة بشكل واضح عند الخطيب، التي عبر من خلالها عن مدى حنينه وحبّه للوطن، وعن الألم الذي سببته له الغربة، وعن قوميته وعروبته التي ظهرت بشكل واضح في معظم قصائده.

# **Dramatic Tendency in Yusuf Al Khatib. poetry(Analysis Study)**

**Prepared by: Maha Mahmoud Daoud Halabiyah.**

**Supervisor: Banan Salah El-Deen**

## **Abstract**

This study is about the dramatic tendency phenomenon in the poetry of the Palestinian poet Yusuf Al Khatib.

This study tries to reveal this phenomenon and how much it appears in Al Khatib's poetry, it also shows the connection between the phenomenon and the poet's intellectual position which he expresses through different dramatic members.

The importance of this study is that it deals with this artistic phenomenon in Al Khatib's poetry which hasn't been studied independently before.

The study aims to observe the dramatic members in Al Khatib's poetry and how much he used the dramatic tendency and its parts in his work, events and its types, place and its mental effect on the poet. Time and its importance for the poet and comparing past with present characters and its role in moving the event and its relationship with the other parts, conversation and conflict role in developing the event until the end.

The study depends on a descriptive integral manner. It includes an introduction, two parts and a conclusion. First, introduction, it talks about Al Khatib's life shortly and the most important periods of his life. Secondly, first part, it studies the dramatic structure, its definition, events, types, place and time. Thirdly, second part which studies characters types, inside and outside conflict and dialogue types.

Finally, the conclusion which resulted to the clear appearance of dramatic tendency and its members in Al Khatib's poetry. He used it to express his love and longing to his country, the pain he feels because of being away from his country clearly in most of his work.



## المقدمة

الحمد لله الذي علّمنا ما لم نعلم، وهدانا للصواب، ووقفنا إليه، والصلاة والسلام على الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إنّ علاقة الشعر بالمسرح هي علاقة قديمة، فمنذ ظهور المسرح والشعر مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فالمسرح كان يعتمد على الشعر لفترةٍ طويلةٍ، وبعد أن استقل المسرح أصبح يعتمد على النصوص النثرية، وصار للشعر معنىً غنائياً، راحت القصيدة تستعير عناصر المسرح المختلفة من (حدث، وصراع، وحبكة، ومكان، وزمان) والتي أُطلق عليها (العناصر الدرامية) ؛ وذلك للتعبير عن الواقع المر الذي عاشه الشعراء ومجتمعهم، فبعد نضوج الإنسان العربي بوجه عام والفلسطيني بوجه خاص، أصبح الشاعر يعبر عن واقعه بالقصيدة التي تعتمد على الدراما التي تُصور الواقع بشكل كبير، فلم يعد الشاعر مُجرد ناظم للقصيدة، معبراً عن ذاته، بل انصهر في هموم شعبه ومأساته.

ومن الشعراء الذين استخدموا الدراما للتعبير عن شعرهم : الشاعر الفلسطيني "يوسف الخطيب" الذي أطلق على نفسه "مجنون فلسطين"، وهو من الشعراء الرواد، الذين أنجبتهم هذه الأرض الطيبة ورضعوا حُبها وحملوا همّ القضية الفلسطينية، وتقاتلوا من أجلها، فالشاعر عاش مرارة الغربة والتشرد فجاء شعره حاملاً أرقى الأحاسيس، معبراً عن حياة الظلم والغربة بأسلوب واضح وبسيط بعيد عن التكلف والتصنع، وتغلب عليه التلقائية الواضحة، المعبرة عن حاله وحال شعبه في الوطن والشّتات فمنذ خروج الشاعر من ( دورا الخليل ) إلى الأردن ثمّ إلى دمشق، وهو يُسخر قلمه للقضية الفلسطينية فأصبح صوتاً فلسطينياً صادحاً يعبر عن وطنه دون أن يغفل عن قضايا العروبة، فهو شاعر قوميّ عبر عن عرويته، وكان ذلك واضحاً في دواوينه ولم يهدأ حتى غييه الموت.

وجاء عنوان الدراسة : "النزعة الدرامية في شعر يوسف الخطيب" دراسة: (تحليلية).

وتتبع أهميتها من كونها تعالج " ظاهرة النزعة الدرامية " في شعر الخطيب، التي لم يسبق أن درسها أحد بصورة مستقلة.

وأهم الأسباب التي دعيتي لدراسة شعر يوسف الخطيب هي: شاعرية الشاعر، كما أنّه لم يُعط حقه كغيره من الشعراء فبقي بعيداً عن الأضواء مُغيباً عن الشهرة .

وهدفت الدّراسة : إلى تسليط الضوء على الشّاعر من خلال قصائده، التي اعتمدت على البناء الدّرامي في التّعبير عن موقفه اتجاه وطنه وعروبته، فالمكان فلسطين وسوريا وباقي الدول، والزمن هو زمن الانكسارات والإحباطات التي تعرضت لها فلسطين والأمة العربيّة منذ نكسة حزيران عام (1967)، وأردت من خلال الدّراسة إظهار الجمال الفنّي في شعر الشّاعر.

واعتمدت في دراستي على المنهج التكاملي، فاعتمدت على المنهج التاريخي في تتبع حياة الشّاعر، والتحليلي الوصفي في شرح القصائد، ذلك أنه يساهم في إظهار جمال القصائد وشاعريتها.

أمّا أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة :هي الأعمال الشعريّة الكاملة للشّاعر بالدرّجة الأولى، يليها مصادر ومراجع استندت عليها في بعض المسائل النّظريّة، وفي حدود ما اطلعت عليه لا يوجد دراسة مستقلة تتناول موضوع النزعة الدرامية في شعر يوسف الخطيب.

#### ومن الدّراسات السّابقة التي تناولت شعر الخطيب:

1- يوسف الخطيب، حياته وشعره، أمل جمال أبو عيده، رسالة ماجستير، الأردن - الجامعة الأردنية، 2002م.

2- يوسف الخطيب، ذاكرة الأرض، ذاكرة النار، ناهض حسن (فائز العراقي)، ط1، دمشق - منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004 .

3-دراسة فنّيّة في شعر يوسف الخطيب، سالم أبو محيسن، معهد البحوث والدراسات - القاهرة، 2004، لم أعتز عليها بل أشير إليها في دراسة أخرى .

4-التناص في شعر يوسف الخطيب، خميس محمد حسن جبريل، غزة - جامعة الأزهر، 1436هـ - 2015م.

5-التناص الدّيني في شعر يوسف الخطيب، عمر عتيق، مجلة مجمع القاسمي، ع6، 2012 .

6-التناص الأدبي في شعر يوسف الخطيب، عمر عتيق، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مجلد8، ع1، 2013.

وجاءت الدّراسة مكونة من : مقدمة و تمهيد وفصلين وخاتمة، تعرضت في التمهيد لسيرة الشّاعر، أما الفصل الأول : فجاء في ثلاثة مباحث، سبقها الحديث عن الدراما من حيث : مفهومها ونشأتها وأبرز من تحدث فيها .

وتناولت الحدث وقسمته إلى : حدث صاعد، وحدث هابط، وبداية السرد، والإبتداء بالحبكة، والحذف . ودرست في المبحث الثاني : المكان وتعرضت للمكان المغلق، والمكان الواسع المقفر، والوطن الفردوس المفقود . ودرست في الزمن الاسترجاع الفردي والاسترجاع الجمعي.

ودرست في الفصل الثاني باقي العناصر الدرامية، وقسمته إلى ثلاثة مباحث : درست في المبحث الأول الشّخصيات وعلاقتها بالأحداث، وتناولت الشّخصيات الرّمزية، والدّينية والأسطورية والتاريخية، وتطرقت لشخصية النّائر عند الشّاعر وشخصية المرأة، وشخصية المتخاذل، وفي المبحث الثاني تحدثت عن الصّراع بنوعيه الدّاخلي والخارجي وعلاقته بمواقف الشّاعر، وفي المبحث الثالث درست الحوار الخارجي والدّاخلي ومدى أثره في نمو الحدث وتطوره .

وفي نهاية الدّراسة أوردت خاتمة قدمت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها، وأنهيتها ببعض التّوصيات.

وأسأل الله التّوفيق في القول والعمل، فعليه توكلت وبه أستعين.

## تمهيد: حياة الشاعر

اسمه ونسبه:

هو يوسف محمود الخطيب، ولد في دورا الخليل في فلسطين، حصل على الإجازة في الحقوق وعلى دبلوم الحقوق العامة من الجامعة السورية عام 1955.

مولده ونشأته:

كان ميلاد الشاعر " في السادس من آذار عام (1931 م)، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدارسها ثم انتقل ليكمل دراسته الثانوية في مدينة الخليل، وعمل بعدها لفترة قصيرة في إحدى الصحف المحلية في الأردن قبل أن يتوجه إلى دمشق عام (1951م)، وبعد أن أنهى دراسته التحق بحزب البعث العربي الاشتراكي<sup>(1)</sup>.

الأعمال التي مارسها:

"مارس العمل الإذاعي في سبع إذاعات عربية لمدة خمس عشرة سنة، والعمل الصحفي في عدة صحف سورية ولبنانية وأردنية، وهو مؤسس دار فلسطين للثقافة والإعلام والفنون ومديرها منذ عام (1966م)".<sup>(2)</sup>

الألقاب التي أطلقت عليه:

لقب الخطيب بعدة القاب منها، " سيف فلسطين"، "ومجنونها"، "وعندليب فلسطين" و"سنديانتها"، و"تراه شاعراً بين المناضلين، ثم نجده مناضلاً بين الشعراء، أحب وطنه بجنون وما من قصيدة إلا وفيها ما يظهر هذا الحب، ولم يترك دواوين شعرية وأعمالاً نثرية ثورية فحسب، بل ترك روحاً مقاومة، ومدرسة في الجرأة والدفاع عن الحق والوطن، وعدم ممارته أصحاب السلطان وهو مادفع ثمنه بمحاولة طمسه،

(1) الجبوري، كامل سلمان معجم الشعراء (من العصر الجاهلي حتى 2005)، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، مجلد6 1426هـ- 2005م، ص187.

(2) أبو عيدة، أمل، يوسف الخطيب حياته وشعره، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2002م، ص5+6.

إذ أن الرجل ورغم شهرته العربية فإن قليلاً من الفلسطينيين يعرفونه، حتى من بلدته ومسقط رأسه، بلدة دورا التي كثيراً ما أبرق إليها بأشعاره وسلامه"<sup>(1)</sup>.

لقد طُورِد الشاعر وغُرب من بلد إلى بلد تتلقفه السُّلطات لتعاقبه، ومما قاله حول هذه المطاردة: " كان لما خلعتني جميع القبائل "لاجئاً بامتياز"، وشرّدتني فوق كل أرض وتحت كلّ سماء.. أن اغتربت وحيداً على أحقاب هذا، وفي عقر داري بدون دار .. إلى أن نزلت في "عبر" ، في ذات ليلة مُثَقلاً بجميع الأحزان. فمن بعد أن أخذني شيخ شياطينها بالأحضان، نصحني بوصفه شافية، جميع أوجاع الحب والحنين تُعرف "بالنسيان" .. وقال لي، كلمة بكلمة، وحرفاً بحرف : دونك باب الليل السلطاني البهيج، فاغرق في لذاته حتى آخر العمر، في بحر زاخر من اللّهُو والجنس والخمر .. وأنا ضامن لك أن تحظى بنعمة النسيان.. حتى الحقيقة أنك إنسان !!!"<sup>(2)</sup>

ويرى الدكتور عصمت أن الخطيب " كتب عن النكبة والنكسة، لكنه لم ينتكب ولم ينتكس، بل ظلّ مؤمناً بقضيته، حالماً بمستقبل أفضل.. من هنا فإنّ القيمة النبيلة التي قدّمها أنه كان الأمثلة عن رجل عاش قضيته وشعره، فظلّ مثلاً يحتذى به....."<sup>(3)</sup>

يوسف الخطيب: "لغة شعرية معجونة حروفها بالدم والزيتون مضمخة بالسعتر البري، ومحفوفة بهالة القداسة المتصلة بالشهادة والقدس والعروبة والرسالة الخالدة، وتر تعزف عليه الريح فتراه يضطرب ومن اضطرابه ينبعث الحداء، لعرب تعيدهم فلسطين إلى وحدة الصف والموقف والهدف والكرامة"<sup>(4)</sup>.

(1) الرجوب، عوض، يوسف الخطيب بين الثورة والسياسة، <http://www.aljazeera.net/>

(2) الخطيب، يوسف، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، دمشق- دار فلسطين للإعلام والثقافة والفنون، 2011، 27/3.

(3) يعقوب، أوس داود، يوسف الخطيب في دمشق، 2011، موقع ديوان العرب، على رابط

[http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id\\_article=29606](http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=29606)

(4) حسن، ناهض (فايز العراقي )، يوسف الخطيب (ذاكرة الأرض..ذاكرة النار)، ط1، دمشق- منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004، ص9.

## أعماله الشعرية :

1- **العيون الظماء للنور**: وصدر هذا الديوان أول مرة بدمشق عام (1950-1955م) على نفقة زملائه، عندما فازت قصيدته العيون الظماء للنور بجائزة مجلة الآداب<sup>(1)</sup>، وضم مجموعة من القصائد منها، "همسة لاجئ" و"بلاط الشهداء" و"والعيد يأتي غدا"، وأطلق على هذه المرحلة الشعرية، "مرحلة الجرح الفائر" وفيه عبر الشاعر عن هموم الشعب الفلسطيني بعد نكبة عام (1948م)، وأهداه إلى العيون الظماء للنور ونثر في شعره بعض القضايا الوطنية، ونقلها من مجالها السياسي إلى رحاب التعبير الشعري، وعبر فيه عن دعوة نفي اللاجئين بين الاستيطان في بعض الدول العربية، أو العودة للوطن تحت ظل الحكم الاسرائيلي، وتحدث في الديوان عن الغربة بنغمة حزينة تشبه الوقوف على الأطلال<sup>(2)</sup>.

2- **العندليب المهاجر**: صدر عام (1959م) عن دار الآداب بعنوان عائدون ومن قصائد الديوان "العندليب المهاجر"، و"حكاية لاجئ" و"نغم لم يتم"، وقد جنح الشاعر إلى الرومانسية في بعض قصائده وفي هذه الفترة. كان الشاعر متنقلاً بين الأردن والشام ومصر و الكويت ولبنان وهولندا، وصور في هذا الديوان حنينه إلى وطنه فلسطين، وهرب إلى الطبيعة من خلال قصائده كما أخذ يعبر عن واقع الأمة العربية في تلك الفترة<sup>(3)</sup>.

3- **واحة الجحيم**: وأصدرته دار الطليعة اللبنانية عام 1964م من قصائد هذا الديوان "الطريق إلى يافا"، و"مطالع جزائرية"، و"دمشق والزمن الرديء"، صدر هذا الديوان بعد أن جردته الدول العربية من هويته العربية وطاردته من مكان إلى مكان، وخرج منها على أمستردام<sup>(4)</sup>، وفي هذا الديوان نلمح ظهور الحنين والشوق واللهفة إلى الوطن، وذلك في قصيدة "النجسة الحمراء"، "ومن بحر يافا النسيم".

(1) ينظر : الخطيب، يوسف، الأعمال الشعرية الكاملة، 57/1 .

(2) ينظر : أبو عيدة، أمل، يوسف الخطيب حياته وشعره، 25-26 .

(3) أبو عيدة، أمل، م. ن، ص21.

(4) أبو عيدة، أمل، م. ن، ص31 .

4- وهناك مرحلة أسماها مرحلة الطريق إلى محمد من عام (1965-1970 م) من قصائد هذه المرحلة، هذي الملايين وعناقا لك أيها الصبح، و"بالشام أهلي والهوى بغداد" وفي قصائده دعوة واضحة منه إلى رفاقه البعثيين في العراق وسوريا إلى الوحدة، ونبذ الفرقة بعد الجفاء الرسمي بينهما، تميزت هذه الفترة باستحضار الرموز الدينية من أمثال صلاح الدين وعلي رضي الله عنه.

5- رأيت الله في غزة: نشرته دار فلسطين للنشر والثقافة عام (1988م) وكتب قصيدة رأيت الله في غزة عام (1970م)، وذلك عندما تذكر اللاجئين في غزة في تلك الفترة ومن قصائدها: "أنهض من جنازتي وأمشي"، التي تحدث فيها عن شهداء ليلة الفردان عام (1973) محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر، وفي قصيدة "سريناد القمر الأحمر" وذكر فيها عملية الخالصة الفدائية، التي جاءت في ذكرى استشهاد الثلاثة (1974)".<sup>(1)</sup>

6- مجنون فلسطين : وهو ديوان شعر سمعي مسجل على أشرطة المكتبة الإلكترونية دمشق (1980 م).

وقد جمعت هذه الدواوين بالإضافة إلى القصائد التي لم تنشر في ثلاثة مجلدات، حمل المجلد الأول عنوان "العندليب المهاجر"، أما المجلد الثاني أطلق عليه "سيأتي الذي بعدي"، والمجلد الثالث بعنوان "امنع الخمرة عني" وكتب تحت اسم الشاعر في المجلدات الثلاثة "مجنون فلسطين".

#### وفاته

ترجّل فارس فلسطين وعندليبها" في يوم الخميس، في السادس عشر من حزيران عام (2011)، عن عمر ناهز الثمانين، تاركاً خلفه جرحه النَّازف الذي لم يلتئم بعودته إلى أمه فلسطين<sup>(2)</sup>.

(1) ينظر: الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 81/3-93.

(2) خبر وفاة الشاعر، 2011، وكالة فلسطين اليومية للأخبار <https://paltoday.ps/ar/post/111519>.

## الفصل الأول

### عناصر النزعة (البنية) الدرامية (1)

المبحث الأول: الحدث

المبحث الثاني: المكان

المبحث الثالث: الزمن



## توطئة

### أولاً: البنية مفهومها

قبل الخوض في الحديث عن الحدث الدرامي، لا بدّ من الإشارة إلى مفهوم البنية لغة واصطلاحاً ففي اللغة يقول الجوهري في الصحاح: "بنى فلان بيتاً من البنيان، والبنى نقيض الهدم"<sup>(1)</sup>. وفي الاصطلاح اهتمّ النقاد قديماً بالبنية، وعرفها قدامه في كتابه نقد الشعر ذلك بقوله: "بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية"<sup>(2)</sup>، ولما علّق على شعر امرؤ القيس قال: "فبنية هذا الشعر على أنّ ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال"<sup>(3)</sup> ونستشف من ذلك أنه قصد أنّ البنية هي بناء الشعر والطريقة التي تؤسس وتصاغ بها، فتعطيه خصوصيته الفنية وتجعله يختلف عن النثر وطريقة تأليفه.

وهناك من يرى أن البنية هي مجموعة العلاقات بين الأجزاء التي تتكون منها القصيدة مع بعضها بحيث يكون كل بيت شعر مستقل بذاته لا يحتاج إلى ما قبله أو ما بعده"<sup>(4)</sup>.

وفي النقد الحديث، ظهرت البنية بتعريفات مختلفة، وذلك استناداً إلى ما كانت تعنيه من تركيب وتنسيق للبيت الشعري، ومن تعريفات البنية "إنّها نسق من العلاقات الباطنية المدركة وفقاً لمبدأ الأولية المطلقة لكل على الأجزاء وله قوانينه الخاصة من حيث، هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي على نحو يفضي فيه أيّ تغيير في العلاقات إلى تغيير النسق نفسه، وعلى نحو ينطوي معه المجموع الكلي للعلاقات على دلالة يغدو معها النسق دالاً على معنى"<sup>(5)</sup>.

ونخلص مما سبق إلى أنّ البنية تركيب مُكون للقصيدة الشعرية، شاملاً العلاقات الذاتية بين مكونات القصيدة، بما يضم الاتساق الداخلي والانسجام بين مكوناتها، بحيث تتبع منظومة فكرية

---

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، بيروت - دار العلم للملايين، 1987، مادة بنى. 136/7.

(2) أبو الفرج، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، دت، ص 58.

(3) أبو الفرج، م. ن، ص 152.

(4) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة - مطبعة السعادة، 1955، ص 261.

(5) كيرزويل، أديث، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة: جابر عصفور، العراق - دار آفاق عربية للصحافة والنشر، 1985، ص 289.

واحدة، ولكنها بشكل متسلسل تعطي أفكاراً لما يريد الشاعر إيصاله للقارئ، فإذا كان البناء القائم متماسكاً، وواضحاً، يعطي المعنى المراد منه.

### ثانياً: النزعة الدرامية

النزعة من الناحية اللغوية هي: "نزعه نزعاً قلعه وجذبه، من مقره، وهو الأصل في المعنى فهو منزوع، ونزيع، ونزع نزعاً ونزوعاً عن الأمر انتهى وكف، وبالشعر تمثل نازعه غالبه فقلبه والنزوع الكبير والحنين إلى الأوطان."<sup>(1)</sup>

أما في الاصطلاح: "فنزع يعني رغبة أو ميل نحو عمل إرادي، و عند ليبنتز مبدأ باطن في الموناد يحدث تغييراً أو انتقالاً من إدراك إلى آخر وعند سبينوزا : الرغبة الواعية التي تسوق الإنسان إلى العمل"<sup>(2)</sup>، وبهذا فالنزعة الدامية هي ميل الشاعر إلى ادخال العناصر الدرامية في قصائده حتى يعطيها طابع الحركة، ولينقل أفكاره للمتلقي بأسلوب مشوق يشده ويجذبه للقصيدة.

### ثالثاً: مفهوم الدراما

أما "الدراما فتعود إلى الكلمة اليونانية (Dram) ومعناها هو فعل الشيء، وتعني محاكاة السلوك البشري وعرضه، ويرى (باوسكيل) أن الدراما نوع من الفنون التي يؤديها ممثلين، لتحقيق هدف ما وتتكون من مشاهد متسلسلة حول موضوع ما، أما أرسطو فيعرفها بأنها: "محاكاة لفعل إنسان"<sup>(3)</sup> أما العناني فقد عرفتها "بأنها شكل من أشكال الفن الأدبي، القائم على تصور الفنان لقصة تدور حول شخصيات تدخل في أحداث وتتسلسل أحداث هذه القصة بالحوار المتبادل بين الشخصيات، وبالصراع الذي ينشأ ويتأزم ثم ينتهي بين القوى المتصارعة، وتتجسد هذه الصورة عن طريق الممثلين، والديكور

(1) رضا، أحمد، معجم متن اللغة، لبنان - بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1960، ص 39-436 .

(2) خياط، يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية عربي-انجليزي -لاتيني، لبنان- بيروت دارلسان العرب، دط، ص 664.

(3) أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، د.ط، القاهرة - دار الأنجلو المصرية، دت، ص 23.

والملابس والإضاءة والموسيقى، وهذه الصورة تعبر عن قضية أو موضوع يشاهده الجمهور بشكل درامي" (1).

وهذا يعني أن الدراما تتكون من فعل له بداية، ووسط، ونهاية، وتتنحصر في أنها نشاط معرفي واعٍ يتمتع بمزايا الحركة، والتّمثيل، والفعل الجماعي، ويجسد هذا الفعل رؤية خيالية بشكل محسوس إذ تقوم الدراما على عنصر التمثيل بأشكاله المختلفة، مثل التّجسيد، أو التّفسير، أو التّعبير ويؤدي التمثيل هنا دور الوسيط للتعبير عن الفعل أو الحدث وعلى ذلك فإنّ الدراما ليست مجرد شكل من أشكال الأدب والفنون، وإنّما يجعل الدراما دراما على وجه الدقة، هو العنصر الذي يمثل خارج نطاق الكلمات، ويتخطاها ذلك العنصر الذي ينبغي أن يُرى ويشاهد بصفته فعلاً في حيز التمثيل، وكان أرسطو أول من تناول الدراما في كتابه (فن الشعر) وقد قال بأن الإنسان منذ الطفولة لديه التّشخيص، والمحاكاة وتمثيل الأدوار، وهذا يعني أنه يوجد لدى الإنسان، بحسب رأي أرسطو، غريزة التّمثيل والمحاكاة، وأننا نتعلم دروسنا عن طريق استخدامنا لهذه الغريزة، ويعرف أرسطو المسرح على أنه فن التّطهير، وهذا لأن هدف المسرح والدراما تطهير السلوك حسب ما يرى أرسطو أن المسرح عن طريق طرحه لقضايا ومشكلات اجتماعية بشكل درامي، فإنه يساهم تطهير سلوك الإنسان وتعديله" (2).

ونخلص مما سبق إلى أن البنية الدرامية في القصيدة الشعرية، إنما هي بناء العمل الشعري من خلال توظيف أدوات الدراما، وهي الحدث، والشخصيات والزمان والمكان والحوار، وتوظيفها بما يخدم النص الشعري، ويؤدي إلى ظهور ترابط بين هذه المكونات، بحيث تخرج القصيدة في النهاية ضمن عمل متكامل يعطي الأفكار التي يرغب الشاعر في إيصالها للقارئ، والتي تعبر عن مكنونات الشاعر.

وقد استخدمت القصيدة العربية الفعل الدرامي منذ القدم ولم يكن ذلك ظاهراً أو واضحاً في كثير من الشعر العربي القديم، ومع بدايات القرن العشرين أصبح الشعر الدرامي واضحاً بشكل أكبر مع اختلاط العرب بالغرب، إذ تم توظيف الدراما بشكل كبير في القصيدة العربية، وأصبحت الملامح الدرامية من الحدث والشخصيات والحبكة والصراع والمكان والزمان واضحة بشكل جلي.

يحل الشعر في الدراما الشعرية محل الحوار النثري في الدراما النثرية، وبالتالي يقوم بالوظائف نفسها التي يقوم بها ذلك الحوار النثري من رسم الشخصيات، إلى تطويرها إلى خلق مواقف، إلى دفع

(1) العناني، حنان، الدراما والمسرح في تعليم الطّفّل منهج وتطبيق، ط 5، عمان - دار الفكر، 2000، ص25.

(2) أرسطو، فن الشعر، ص72-73.

القصة المسرحية نحو نهاية محددة أو غير محددة، إلى حمل أفكار وآراء الشخصيات وتطويرها هي الأخرى في التيار العام للمسرحية، يفعل الشعر كل هذا في الدراما الشعرية، ويضيف إليها المزايا التي ينفرد بها الشعر وهي العاطفة المكثفة، ودقّة النظرة، وإضفاء موسيقى الوزن على كلمات الحوار، ثم الارتفاع- عن طريق هذه الوسائل جميعاً - بالموضوع والشخصيات درجات كثيرة فوق واقعهم<sup>(1)</sup>.

وبذلك لم تعد الدراما مقصورة على الرواية أو الفنون النثرية، وإنما يمكن للشاعر أن يرسم الصورة التي يريد، وأن يبعث بمكونات نفسه باستخدام الدراما الشعرية، من خلال عرض النصّ الشعري متضمناً المكون الدرامي في العمل النثري، من حدث وصراع وشخصيات ومكان وزمان وحوار، وسنعرض من خلال الدراسة كيف ظهر ذلك عند الشاعر الخطيب.

### المبحث الأول: الحدث الدرامي

الحدث من الناحية اللغوية كما يقول الجوهري في الصحاح " الحديث: نقيض القديم. يقال: أخذني ما قدم وما حدث لا يضم حدث في شيء من الكلام إلا في هذا الموضع"<sup>(2)</sup>، قال ابن منظور "يقال حدث الشيء فإذا قرن بقديم ضم للزدواج والحدوث كون شيء لم يكن وأحدثه الله فحدث وحدث أمر أي وقع"<sup>(3)</sup>.

يعد الحدث من أهم عناصر العمل الدرامي، فبدونه لا يكون هناك عمل، ويمكن القول بأن الحدث بمعناه المادي يتشكل من أفعال، أما بمعناه النفسي فهو التغيير والتطور والانتقال من حال إلى حال داخل النفس أو الذهن، ويرى أرسطو أن الحدث هو غاية الفعل الدرامي<sup>(4)</sup>.

والحدث من العناصر الأساسية للعمل الدرامي، فالحدث عند أرسطو ليس من ناحية من نواحي العمل الدرامي بل هو البناء الدرامي نفسه<sup>(5)</sup>.

(1) الراعي، علي، المسرح في الوطن العربي، د.ط، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع25، 1997، ص165.

(2) الجوهري، الصحاح، مادة حدث، 278/1.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، د.ط، بيروت- دار صادر، 1414هـ، مادة حدث. 131/2

(4) دوام، مجدي عبد المؤمن، البنية الدرامية في شعر المهجر، د.ط، القاهرة- منشورات المكتبة العربية الالكترونية، 2007، ص43.

(5) رشدي، رشاد، نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن، د.ط، القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية، 1992، ص22-23.

ويرى سمير سرحان "أنّ الحدث هو عصب الدراما"<sup>(1)</sup>، ففي العمل الدرامي يكون الحدث الركيزة الأساسية، ولا يمكن للعناصر الأخرى أن تتشكل بدونه "وللحدث علاقة بالشخصية وسماتها"<sup>(2)</sup>، فهو لا يشتمل فقط على الحركة والسلوك الجسماني، وإنما يصور أيضًا الأنشطة الذهنية والنفسية التي تدفع الإنسان إلى السلوك بطريقة معينة، ولذلك فعبارة الفعل الإنساني تشتمل على المشاعر والأفكار والأفعال جميعًا.<sup>(3)</sup>

فالقصة أو المسرحية بعناصرها، الزمان، المكان، والصراع، والحوار، ترتبط مع بعضها بالحدث وهو "أي شيء يدفع مجرى القصة إلى الأمام تجاه ذروة وخاتمة، والعقل قد يكون فكرة أو حديث أو حركة جسمانية"<sup>(4)</sup>.

ويقول خليفة: "أنّ الحدث في التجربة الشعرية متعدد المشارب، متنوع المصادر والأشكال وهو في التجربة الدرامية يختلف عنه في الشعر الغنائي، فهو في الشعر الدرامي يرتبط بخيوط تحكم نسيجه كالصراع النامي والشخصيات والحوار، وقد يكون في قالب الحكّي أو القص"<sup>(5)</sup>، والحدث لا يبقى على حال بل هو عبارة عن "موقف قابل للتطور والتغير"<sup>(5)</sup> حسب رؤية المؤلف ونظرتة للحدث، فالحدث في واقع الحال هو تعبير عن مشاعر الكاتب وما يدور في نفسه من أفكار.

وعندما نبحث عن صفات الحدث وأنواعه، والضوابط التي تضبطه يقول عبد العزيز حمودة: "إنّ الحدث الدرامي، هو الحركة الداخلية للأحداث، وأما ما نسميه بالحركة الداخلية فهو شيء وراء ما تدركه الحواس، بل تحتاج إلى قدرة على فهم ما يجري وربط بعضه ببعض حتى تكتمل الصورة النهائية"<sup>(6)</sup>. فهل الحدث نفسه الحدث بالمعنى المتعارف عليه، أيّ ما يقوم به الأشخاص بالشكل المعهود، لقد عبر عن ذلك رشاد رشدي عندما قال: "الحدث في الدراما يختلف عن الحدث بمعناه المؤلف في الحياة، إذ أنّه لا يحاكي ما حدث بالفعل بل ما يجوز أو يجب أن يحدث"<sup>(7)</sup>.

(1) سرحان، سمير، دراسات في الأدب المسرحي، د.ط، العراق- دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت، ص23.

(2) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية، د. ط، سوريا- منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003، ص 276.

(3) سرحان، سمير، مبادئ علم الدراما، د.ط، الشارقة - دار الثقافة والإعلام، د.ت، ص62.

(4) رضا، حسين، الدراما بين النظرية والتطبيق، ط1، بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص425.

(5) خليفة، أحمد يوسف، البنية الدرامية في شعر إيليا أبو ماضي، د.ط، القاهرة - دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004، ص10.

(5) سرحان، سمير، مبادئ علم الدراما، ص 37-38.

(6) حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، د.ط، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص45.

(7) رشدي، رشاد، نظرية الدراما، ص35.

وأما الحدث فهو " حدث البسيط يعتمد في بنائه على قصة أو حدوده الرئيسية، تغنيها قصة أو حدوده واحدة، أو مركب يعتمد في تركيبه على قصة أو حدوده الرئيسية تغنيها قصة أو حدوده فرعية أو أكثر من ذلك"<sup>(1)</sup>.

وفي تقسيم للحدث فهناك الحدث الصاعد، والحدث الهابط، وبداية السرد، والابتداء بالحبكة، نبدأها بالحديث عن الحدث الهابط:

### أولاً: الحدث الهابط :

هو الذي يبدأ من نهاية القصة إلى أولها، أي يكون الحدث الأخير في البداية ثم تتراجع الأحداث بعد ذلك، ربما تتابع بشكل مستمر وربما يحدث صعود ونزول في الأحداث.

ومن القصائد التي اعتمدت على هذا النوع من الحدث قصيدة "العندليب المهاجر" فالحدث الذي قدمه الخطيب على باقي الأحداث هو الهجرة من الوطن، والحرمان من الأهل، فيبدأ الشاعر حكايته عندما رأى العندليب على شجرة الصفصاف، على ضفاف بردى، فأسقط عليه همومه وأحزانه وهنا أراد منه مقاسمته هذا الألم فيبدأ معتمداً على الحوار متسانلاً عن حاله، وهو يسأل عن نفسه فالصفة المشتركة بين الشاعر والطائر هي الغربة، فكلاهما يعيش في مرارة البعد عن الأهل فلا حنان ولا عطف، يقول: (مجزوء الرمل)

أَتُتْرَاكَ مِثْلِي يَا رَفِيقُ تَمَرٌ فِي الزَّمَنِ

عَبْرَ الْمَهَالِكِ، وَاللَّيَالِي السُّودِ، وَالْمِحَنِ

لَا صَاحِبَ يُرْخِي عَلَيْكَ غِلَالَةَ الْكَفَنِ!؟

أَتُرَاكَ مِثْلِي تَغْتَدِي خَمَارَةَ الشَّجَنِ

تَذُرُو بَقِيَّةَ عُمْرِكَ الصَّادِي بِلَا ثَمَنِ

لَكَأَنَّ فِي عَيْنِكَ بَعْضَ الْمَلْحِ مِنْ وَطْنِي!!<sup>(2)</sup>

(1) حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، ص82.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 193/1.

يتابع الشاعر حديثه مع العندليب، ليشرح له حاله في أرض الغربية، فالغربة وحدة وفراغ وانتظار للمجهول، يقول:

وَأَكَادُ أَلْمَحُ فِي وَجُومِكَ لَتُونَ مَأْسَاتِي  
جُرْحِي، وَمَلْحَمَتِي، وَتَشْرِيدِي وَأَهَاتِي  
أَنَا هَاهُنَا يَا صَاحِبِي أَقْضِي عَشِيَّاتِي  
أَرْتِي بِجَانِبِ حَوْرَةِ الشَّلَالِ أَمْوَاتِي  
وَجَعَلْتُ صَدْرِي كَهْفَ أَشْبَاحِ وَأَصْوَاتِ  
كَمَخَالِبِ عَصَبِيَّةٍ تَسْتَشْرِفُ الْآتِي<sup>(1)</sup>

يرجع الشاعر بالقصة إلى الورا إلى ما قبل الهجرة، "إلى الماضي، ولا شيء غير الماضي كلعبة مارسها الإنسان في كل مكان وزمان ليبعد عنه وطأة الحاضر والمستقبل، وليهرب من ذاته وليغذي النزيف الذي يجري في شرايينه، ويتخذ شكل ذكريات تلح عليه أن يموت في ظلالها، فيخلص من واقع متعب ومن مستقبل يتخيله مرعباً"<sup>(2)</sup>، ويصور لنا حاله وحال آلاف الفلسطينيين الذين سُردوا في الصحارى، لقد سار ودمأوه تنزف من قدميه ولم يجد مساعدة من أحد، فالجميع وقف تجاه القضية موقف المتفرج، يقول:

مِنْ أَيِّ دَهْرٍ أَعْبَرَ الْقَسَمَاتِ مُنْصَرِمِ  
مِنْ أَيِّ مَثَلُوجِ الدُّوَابَةِ، شَائِخِ هَرَمِ  
مِنْ أَيِّ أَعْمَاقِ الزَّمَانِ أَعِيشُ فِي الْأَلَمِ؟!  
وَعَبَّرْتُ صَحْرَاءَ الْعَذَابِ مُخَضَّبِ الْقَدَمِ  
وَحَدِي لَهَا، أَبَدًا، وَلَمْ أَضْرَعْ<sup>(3)</sup> إِلَى صَنَمِ  
دِفَاءِ الْعُرُوبَةِ فِي شَرَايِينِي، وَمِلءُ دَمِي<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1/193.

(2) الخياط، جلال، الشعر والزمن، د. ط، بغداد- دار الحرية، 1975، ص19.

(3) أضرع : أخضع وأذل.

(4) الخطيب، م.س، 1/193.

فإذا أراد الشخص السفر يحمل معه تذكّارًا من أرض وطنه لمن يحبهم، وهذا ما توقعه الشاعر من العنديلين، فأخذ يحاوره مسترجعاً معه بعض الذكريات من أرض الوطن، طالباً منه وصف حال فلسطين من خلال الطبيعة "، لقد كان الشاعر يعوض بالطبيعة عن داخله النَّفسي، ويرى فيها ركنًا هادئًا يشفي جراح الروح"<sup>(1)</sup>، يقول:

بِي لَهْفَةً يَا صَاحِبِي مَشْبُوبَةٌ النَّارِ  
هَلْ بَعْضُ أَخْبَارٍ تُحَدِّثُهَا، وَأَسْرَارٍ؟  
لِلظَّامَيْنِ عَلَى مَتَاهِ الْوَحْشَةِ الْعَارِي  
كَيْفَ الْحُقُولُ تَرَكَّتْهَا فِي عُرْسِ آذَارِ  
وَمَتَى لَوَيْتَ جَنَاحَكَ الزَّاهِي عَنِ الدَّارِ  
عَجَبًا .. تُرَاكَ أَتَيْتَنَا مَن غَيْرِ تَذْكَارٍ؟!<sup>(2)</sup>

يرجع الشاعر بقفزة زمنية كبيرة إلى أيام طفولته، معبراً عنها بالمكان بقوله (دار طفولتي) ليمزج بين الزمان والمكان معبراً عن حنينه وقلقه وحزنه بكلمات ذات "صور سمعية، ذات جرح موسيقي، ناي راعية، أجراس أغنام، حفيف غاب"<sup>(3)</sup>.

هذا ما تبقى للشاعر من ذكريات في قريته "دورا الخليل"، والقارئ لهذه الأبيات يسرح مع الشاعر في بلدته، يذهب معه في أحضان الطبيعة بمحتوياتها المادية، والمعنوية، يقول:

عَهْدِي بِدَارِ طُفُولَتِي فِرْدَوْسُ أَحْلَامِ  
الشَّعْرُ بَعْضُ رَبِيعِهَا الْمُتَفَتِّحِ النَّامِي

وَعَلَى دَوَالِيهَا تَرْنَمُ أَلْفِ خِيَّامِ<sup>(4)</sup>  
أَنْشُودَةٌ هِيَ، جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ إِلهَامِ  
مِنْ نَايٍ رَاعِيَةٍ، وَمِنْ أَجْرَاسِ أَغْنَامِ

(1) أبو عيدة، أمل، يوسف الخطيب، حياته وشعره، ص 139.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1/194.

(3) أبو عيدة، أمل، م. س، ص 139.

(4) خيَّام: نسبة إلى الشاعر الفارسي عمر الخيَّام وسمي بالخيَّام لأن والده اشتهر بصناعة الخيام.



## وَحْفِيفِ غَابِ، واختلاجِ جَدَوْلِ هام<sup>(1)</sup>

أسدل الشاعر الستار على القصة عندما عاد إلى المشهد الأول فيها، وهو لقاء ذلك العندليب محاوراً إياه مبيناً له أنهما صاحبا همٌّ مشترك، فهما يعيشان الغربة بهمومها وأحزانها يحاوره طالباً منه الثورة على جرحه وتحديه، مذكراً إياه بمكان اللقاء وهو نفس المكان ضفة النهر، سيلقاه في نفس المكان متى شاء " لقد رأى يوسف الخطيب وطنه وشخصيته من خلال العندليب المهاجر"<sup>(2)</sup> يقول:

أَتْرَاكَ مِثْلِي يَا رَفِيقُ، فَنَحْنُ سَيَّانِ؟!

أَشْجَانُكَ الْكُثْرَ الْكُنْيَةَ، ذَاتُ أَشْجَانِي

أَتْرَاكَ أَقْسَمْتَ الْمَعَادَ بِمِثْلِ إِيمَانِي؟!

فِي صَحْوَةِ الْبَعْثِ الْمُلَوَّحِ خَلْفَ أَحْزَانِي

قُمْ دَاوِ جُرْحَكَ، يَا رَفِيقَ الْحَوْرَةِ الثَّانِي

أَنَا هَا هُنَا ... فِي كُلِّ يَوْمٍ شِئْتَ تَلْقَانِي!!<sup>(3)</sup>

وفي قصيدة "جبهتي تنكر الخيانة" جاءت الأحداث من النهاية إلى البداية، في مشاهد تراجع من الحين إلى الآخر فالمشهد الأول هو: جلوس الشاعر في المساء في أرض غربته حيث يسرح بخياله إلى أحداث سابقة، يقول: (الخفيف )

عِنْدَمَا يَنْشُرُ الْمَسَاءُ عَلَى الْأَفْقِ

جَنَاحِينَ مِنْ ظَلَامِ الْغُرُوبِ

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 95/1.

<sup>(2)</sup> محمود، حسني، شعر المقاومة الفلسطينية في المنفى، د.ط، عمان - الدار العربية للتوزيع، 1984، 155/3.

<sup>(3)</sup> الخطيب، م. س، 197/1.

يشرُّدُ الشاعِرُ المَعْدَبُ، للِسْفِحِ

وَحِيداً، مَعَ الخِيالِ الكَثِيبِ

جِدُّعُ زَيْتُونَةٍ، وَخَفَقَةُ آهِ

فِي ضُلُوعِ المُنَى، وَصَرَخَةُ ذَيْبِ

وَانْطِلاقٍ مَعَ الخِيالِ عَمِيقٍ

وَانْسِراحٍ مُجَنِّحٍ فِي العُيُوبِ<sup>(1)</sup>

يُعودُ إلى الوراء قليلاً إلى مشهد الهجرة من أرض الوطن، ليصف لنا حال أهله، فهم ما بين ميت ومُشرَّد تأمل الشاعر حاله فلم يجد سوى الموت والفناء، يقول:

أَيْنَ أهلي؟! تَوَزَّعوا المَوْتَ والنَّفِي

بَعِيداً، فِي كُلِّ أَفْقٍ غَرِيبِ

تِلْكَ آثارُهُم تَضِيعُ عَلى الرَّمْلِ

كَخطُوي عَلى المَتاهِ الرَّهيبِ

كَم تَأَمَّلْتُ فِي سِنِّي، فَأَبصَرْتُ

جِدَارَ الفَناءِ جِدًّا قَرِيبِ<sup>(2)</sup>

يستعين الشاعر بذاكرته ليعود إلى الماضي، " ففي العودة إلى الماضي ظل عزاء وإليه يفِيء الشاعر " <sup>(3)</sup>، ليصور لنا هذا المكان الذي أحبه وبالفعل الماضي (كان) يبدأ، ليقول:

كَانَ لِي مَوطِئٌ يَرِفُ هُضناءً

فِي ضُلُوعي، وَنَشوَةٌ فِي وَجِيبِي

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 97/1.

<sup>(2)</sup> الخطيب، م . ن، 98/1.

<sup>(3)</sup> الخياط، جلال، الشعر والزمن، 1975، ص 89 .

لِي فِي كُلِّ خَطْوَةٍ مِنْهُ ذِكْرِي

وَعِنَاقٍ مَعَ الضُّحَى وَالْمَغِيبِ

وَحَدِيثٍ إِلَى الرِّمَالِ، وَنَجْوَى

لِلأَصِيلِ المُلَوَّنِ المَخْضُوبِ (1)

أكمل حكايته و" وهنا شخّص الشاعر الطبيعة من خلال الصور البصرية واللونية، فهناك عناق مع الضحى والمغيب وحديث مع الرمال ونجوى مع الأصيل، وكلها صفات أضافها على الطبيعة فزادها حركة وحيوية وإنسانية". (2)

ثانياً : الحدث الصاعد:

وهو الحدث الذي يبدأ بالنمو والتصاعد، حيث تتعدد الأحداث وهي "الأحداث التي تقع أو يقوم بها أشخاص تربط بينهم علاقات، وتحفزهم لفعالهم حوافز هي أحداث أو أفعال تتوالى في السياق السردى تبعاً لمنطق خاص بها يجعل وقوع بعضها مترتباً على وقوع البعض الآخر" (3).

فهذه الأفعال ترتبط مع بعضها مما يمكن القصيدة من النمو إلى أعلى حتى الوصول إلى نهاية القصة، ومن الأمثلة على ذلك في قصائد يوسف الخطيب قصيدة "حكاية لاجئ"، وهي التي قصها الشاعر علينا "لثائر بلدتنا (دورا الخليل) وهو من نوع خاص من الفدائيين، كان في كل صيف يتقلد بارودته الإيطالية من بقايا معركة العلمين (4)، مقتحماً بها خطوط الهدنة عبر ما استُجد على الأرض باسم دولة "إسرائيل" ليجني بعضاً من ثمار أرضه" (5) هذا ما قدم به الشاعر لقصيدته في ديوانه.

وتبدأ القصة بالحدث الأول، وهي محاولة العودة إلى الوطن بكافة الصور، من خلال عرض الشخصية المتمثلة في ذلك الفتى اللاجئ، والذي أصبح يسكن خيمة مُشرّعة على أرض فلسطين بعدما كان له بيارة ودار، هذه الخيمة تُطل من وراء الحدود، تلك الحدود التي رسمها ووضعها العدو إذ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 99/1.

(2) أبو عيدة، أمل، يوسف الخطيب، حياته وشعره، ص 143.

(3) العيد، بمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النبوي، ط1، دار الفارابي، 1990، ص30.

(4) معركة العلمين : وقعت في 23 أكتوبر عام 1942 م، في منطقة العلمين في الإسكندرية في الحرب العالمية الثانية حيث انتصر فيها الحلفاء.

(5) الخطيب، م.س، 231/1.

جعل فلسطين مُقسّمة إلى أجزاء، حاول هذا اللاجئ أن يصل إلى بيارته "ليجني بعضاً من ثمار أرضه البعلية من عنب وتين وزيتون"<sup>(1)</sup> وبصيغة الجماعة وبالفعل المضارع يبدأ هذه الحكاية، يقول:  
(المتقارب)

يَقُولُونَ، كَانَ فَتَى لَاجِئاً

إِلَى خَيْمَةٍ فِي الرُّبَى مُشْرَعَةً

تُطَلُّ بَعِيداً، وَرَاءَ الخُدُودِ

عَلَى الجَنَّةِ الخِصْبَةِ المُرْعَةِ<sup>(2)</sup>

وَكَانَتْ لَهُ ذِكْرِيَاتٌ هُنَاكَ

وَكَوْخٌ يُطَلُّ عَلَى مَزْرَعَةٍ

وَكَمِ أَرَقَّتْ نَاطِرِيهِ الطُّيُوفُ

وَطَيْفُ الرُّقَادِ جَفَا مَخْدَعَةً

يَعِيشُ عَلَى حُلْمِ أَمْسِ الذِّي

تَوَلَّى، وَيُقَسِّمُ أَنْ يُرْجِعَهُ<sup>(3)</sup>

تتصاعد الأحداث عندما أراد اللاجئ العودة والثأر لأرضه، وأخذ ينتظر يوم المعركة، وهنا يراوح الشاعر بين الأفعال المضارعة والماضية، ليصعد بالحدث إلى أعلى راسماً لنا مشهداً لنسر يرتمي في وسط زوبعة يهجم ويقاوم ويصاب، وهنا أصبحت روحه أمانة أراد أن يسلمها إلى خالقها، لم يتألم من الإصابة، ولم يشعر بالجراح، ولكن الألم الأكبر عندما نزلت دموعه على ثرى الوطن يقول:

يُرْجِي مَرَارَةَ كَأْسِ المِمَاتِ

إِلَى يَوْمِ ثَأْرٍ.. إِلَى مَوْقِعَةٍ

وَكَانَ نِدَاءً، وَكَانَ فِدَاءً

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 231/1.

<sup>(2)</sup> الممرعة: الخصبية.

<sup>(3)</sup> الخطيب، م.س، 233/1.

وَأَسْلَمَ لِلَّهِ مَا أودَعَهُ

تَقَحَّمْ هَوْلَ الرِّدَى رَاسِخاً

كَمَا يَرْتَمِي النَّسْرُ فِي الزُّوبَعَةِ

وَيَحْكُونَ .. لا أَلَمٌ هَاجَهُ

وَلَا الْجُرْحُ فِي قَلْبِهِ أَوْجَعَهُ

سِوَى أَنْ عَيْنَيْهِ قَدْ غَامَتَا

وَأَسْبَلْنَا فِي الثَّرَى أَدْمَعَةً<sup>(1)</sup>

تنمو الحكاية ويتصاعد الحدث ثانية، ونرصد هنا مشهد الفدائي حيث يمزج الشاعر بين المأساة والحب فنرى صورة الفدائي كيف أسبل عيونه وكيف غطّاها الثرى، هذا الفدائي المحب لأرضه الذي أبقى إلا العودة إليها، ولكن هناك ما يؤرق الفدائي، وتشتد العقدة وتبلغ ذروتها عندما يموت الفدائي دون أن يودع أهله في الخيام، لقد ألمه ذلك وأحزنه، وبأسلوب الاستفهام يعبر عن هذا الألم، يقول:

أَيْبِكِي عَلَى وَطَنِ ضَائِعِ

قَضَى قَبْلَ أَنْ يَجْتَلَى أَرْبَعَهُ؟

أَيْبِكِي حَبِيباً لَهُ فِي الْخِيَامِ

دَعَاهُ الرَّحِيلُ، وَمَا وَدَّعَهُ؟<sup>(2)</sup>

وفي هذه القصيدة، وفي هذه الأبيات لا نلمح إلا صوت الشاعر يحدثنا ويروي لنا الحكاية على لسان الشخصيات وهم الشهود من أهل قريته، وذلك من خلال الحركة السريعة وتتابع الأفعال وتناوبها فمرة الفعل الماضي ومرة الفعل المضارع يرسمان لنا ما حل بالفتى، يقول:

يَقُولُونَ لَمَّا هَوَى مُثَخَناً<sup>(3)</sup>

وَشَدَّ عَلَى جُرْحِهِ أَضْلَعَهُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 234/1.

(2) الخطيب، م. ن، 234/1.

(3) مثخناً: مثقلاً بالجراح.

وأوشكَ يخبو السراجُ سوى

ثوانٍ ضبابيةٍ مُسرعةٍ

تَلَفَّتْ مِلءَ الرِّبا والوهادِ (1)

يُحَدِّقُ فِي وَطَنٍ ضَيَّعَهُ

يَوْدُ لو أَنَّ دَوالي السَماءِ

وَأَنهارها تَسْتَقِي مَنبَعَهُ

فَأغرَزَ كَفِّهِ فِي حَفَنَتِي

تُرَاب، تَكُونان ذَكَرِي مَعَهُ! (2)

لقد تجمعت خيوط المأساة بأسلوب قصصي، وأنهت لنا حكاية اللاجئ الفدائي الذي ضحى بدمه لأجل وطنه "وحقيقة هذا اللاجئ أنه عاد أكثر من مئة قطعة لحم بشري داخل كيس". (3)

فكان الحل هو موت الفدائي وإعادته إلى خارج وطنه، أعني الأراضي التي سلبت عام (1948م) فحتى حلمه لم يتحقق في الدفن بأرضه، فما كان له إلا أن يحمل ثرى من أرضه في داخل كفه، لقد استطاع الشاعر أن يصور الحكاية وينقلها لنا وكأننا نرى شريطاً مصوراً أمام أعيننا.

فالفدائي البطل قال لا، رفض منعه من دخول وطنه " فعندما يقول الإنسان نعم فهو إنسان وعندما يقول لا، فهو بطل لأن قولة (لا) يقولها الإنسان البطل هي نفسها (لا) التي قالها الأنبياء والمعلمون والحكماء وقادة الفكر، قالوها في وجه الباطل عندما يقف في طريق الحق، وفي وجه الشر عندما يعرقل سبيل الخير، وفي وجه القبح عندما يتصدى لمحاربة الجماد" (4).

وجاءت قصيدة "رثاء عبد النور" بأحداث متنامية متصاعدة، ويقول الشاعر حول هذه القصيدة " أظنني حكيت أو لعلني بكيت واقعة صغيرة عابرة في خضم هذا الألم العظيم، شاهدها بألم عينيوعشتها

(1) الوهاد: الأرض المنخفضة.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 234/1

(3) الخطيب، م. ن 231/1.

(4) العشري، جلال، مسرح أو لا مسرح، د.ط، القاهرة- دار المعرفة، 1980، ص 168.

بحرقه أعصابي"<sup>(1)</sup>، وهي قصة تلميذ دون سن العشرين، يسرد الشاعر قصته ببساطة مستهلاً إياها بالتشبيه، يقول: (الرجز )

كَوَرْدَةٍ حَمْرَاءٍ فِي سَفْحِ الْخَلِيلِ

كَعُصْنِ عَلِيٍّ يَلُوحُ فِي الْأَصِيلِ

عِظَامُ "عَبْدِ النُّورِ" جُرْحُهُ الطَّلِيلُ

وَفِي الْعَرَاءِ نَامَ لَيْلُهُ الطَّوِيلُ

وَوَسَدَ الصُّخُورَ رَأْسَهُ النَّبِيلُ

حُطَامَ زُورِقٍ مُغَامِرٍ ضَلِيلٍ<sup>(2)</sup>

فالمكان سفح الخليل، والزمان المساء، والشخصيات هي عبد النور الشخصية الرئيسة التي حدثنا عنها الشاعر، ذلك الفتى الذي مات في ذلك المساء، ولكن نلمح شخصيات جديدة جاءت تشارك الحدث وهي عناصر الطبيعة، لتكون شاهدة على ما حلَّ به، يقول:

عَلَى السُّفُوحِ الْخُضْرِ ذَلِكَ الصَّبَاخُ

لَا بُلْبُلٌ غَنَّى، وَلَا ارْتَمَى جَنَاحُ

مُصَفِّقًا، عَلَى مَلَاعِبِ الضَّرِيَاخِ

شُهُودٌ مَوْتِهِ، بِرَاعِمِ الْأَقَاخِ

وَالسَّنْدِيَانِ، وَالنَّسَائِمِ السَّمَاخِ

وَشَاخُ جِبْهَةٍ مَرِيرَةٍ الْكِفَاخِ<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 238.

(2) الخطيب، م.ن، 1/ 240-241.

(3) الخطيب، م.ن، 1/ 241.

لقد عمد الشاعر إلى "إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجتها"<sup>(1)</sup>، ليعبر عن حزنه على ذلك الفتى الذي مات وهو قادم من يافا إلى غزة إلى جبل الخليل، جاء حاملاً معه الأمل بالوصول إلى وطن ينام به بأمان، مات من شدة الجوع والبرد، لقد ضاق به الوطن رغم اتساعه، فلم يجد بيتاً يؤويه، ولا طعاماً يقيته، بحث عن وطن داخل الوطن عله يجد هذا الوطن لكن موته جاء نهايةً لأمله.

وعندما نعود إلى الوراء قليلاً نجد زماناً آخر في الحكاية، وهو الليل الخالي من النجوم والملبّد بالغيوم، هذا الزمان الذي يصور لنا الشاعر به حال الفتى، وهو يحمل أوراقاً ومعطفاً ورسماً لأخته موقعا باسمها وكأنه يحمل تذكراً منها، يقول:

عُبَارُ غَزَّةَ، وَوَحْشَةُ الطَّرِيقِ

وَجُرْحُهُ، وَجُرْحِ شَعْبِهِ الْعَمِيقِ

يَلُوحُ فِي عَيْنِيهِ حَبَّتِي عَقِيقُ

وَكُلُّ زَادِ دَرَبِهِ، بِلَا رَفِيقِ

أوراقُ تَلْمِيزٍ، وَمِعْطَفٌ رَقِيقُ

وَرَسْمُ أُخْتِهِ الْمَوْقَعِ الْأَنْيَقِ<sup>(2)</sup>

وصلنا مع الشاعر إلى المشهد الأخير في الحكاية، مشهد الوداع الأخير هذا الفتى الذي شيع ودفن دون أية مراسم، هذه القصة هي قصة شعب بأكمله، قصة ضياع حبرها وقلمها هو جراح الشعب الفلسطيني، يقول:

مِنْ غَيْرِ أَجْرَاسٍ تَدَقُّ، أَوْ وَدَاعِ

تَرَمَدَتْ فِي الطِّينِ جَدْوَةُ الصِّرَاعِ

وَاعْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ لِحَظَّةٍ وَضَاعَ !!

(1) إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، د.ط، القاهرة- دار المعارف، 1963، ص65.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1/ 241.



رثاء "عبد النور" قصّة الضياع

وبيت شعر في ملاحم الجياع

وكان جرحنا، المداد واليراع<sup>(1)!!</sup> (2)

وفي قصيدة "أغنية انتصار الطروادة" وظف الشاعر أسطورة (طروادة)<sup>(3)</sup> المدينة، الشامخة التي "تصدت للجيوش الإغريقية الغازية"<sup>(4)</sup>، ليحكي لنا قصة حشد الأمة العربية لجيوشها للتصدي للجموع المستعمرة التي حاولت السيطرة على "إقليم الشام"<sup>(5)</sup>، ويفتح قصيدته بوصف حال الشام في ذلك الوقت فمآذنها أجساد نحيلة تلوح في السماء، بعد تبدل حال كل شيء، يقول: (الرجز)

مآين الشام

كأذرع نحيلة تلوح في الغمام ..

لون النجوم حال،

ضلت الطيور في السماء

فلا البروج .. لا القلاع .. لا الحصون

تقي، إذا تنفس الطاعون في الفضاء !!..

"أخيل" ذاك في مهبّ الريح جاء<sup>(6)</sup>

(1) اليراع: قصب يتخذ منه الأقلام.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 242/1

(3) طرواده: هي مدينة تقع في آسيا الصغرى، تم حصارها من قبل الإريق لأكثر من عشر سنوات، وقد خلدت في ملحمتي هوميروس الإلياذة والأودسا حيث قام الأغرريق بخداع أهل المدينة عن طريق الحصان الخشبي الأجوف الذي ملئ بالمحاربين الأغرريق، وقدم على أنه عرض للسلام، وبعد أن دخلوا قاموا بقتل كل الرجال في المدينة.

(4) أبو عبيدة، أمل جمال، يوسف الخطيب، حياته وشعره، ص 147.

(5) الخطيب، م.س، 267/1.

(6) الخطيب، م.ن، 271/1.

فبعد أن اعتدي على الشام كان لابد من أحد يدافع عنها، وهنا ينتقل الشاعر إلى المشهد الثاني مشهد النضال والكفاح، تصدت المدينة للمحتل، وتخضب ثراها بدماء الشهداء، وأضيئت القناديل من جراحات أبنائها، الذين استطاعوا بصمودهم مقاومة الحصار والتغلب عليه، يقول:

وكانت المدينة التي تَجَهَّمَتْ

وراء سُورها البحارُ

لأنها مدينةُ النضالِ،

مُنذُ خضَبَ الثرى نضالُ

تُضيءُ من جراحِ شِعْبِها مِعَابِرَ اللَّيْلِ

تُمزِّقُ الحِصارَ، تَلوهُ الحِصارَ، والحِصارُ

فَموجةٌ تُطاولُ الذرى ..

وموجةٌ إلى انحسارٍ .. (1)

يصور الشاعر وبصورة تدريجية حال أهل الشام بعد عودتهم إلى وطنهم، فنراهم عائدين عبر الشعاب والأجراس تفرع، ويصور في المشهد نفسه حال المستعمر المتخاذل الذي فرّ من أرض الشام جاراً أذيال الخيبة منهزماً، يقول:

لكنَّ في اللهبِ .. في الدُخانِ .. في الدَمارِ

(مثلُ نَبْوءَةِ الربيعِ في طلائعِ السحابِ)

كانَ مَخاضُ أُمَّةٍ

تَطَهَّرَتْ على مَحارقِ العذابِ ..

الللاجئونَ راجعونَ في مَسالكِ الشَّعابِ

أجراسُ أنطاكيَّةٍ تُدقُّ عودَةَ الغيابِ

وهراُنُ تشربُ النَبيدَ حرَّةً

على جماجمِ الذَّنابِ !! ..

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 274/1.

فلن يعيش غاصب<sup>(1)</sup>

واختتم الخطيب حكايته بمشهد الانتصار ليحشد لنا الصور الفنية الرائعة المعبرة عن هذا الانتصار  
(فالصباح ملعب) وللنصر رائحة زكية، وجعل الغوطة الخضراء طوقاً يزين جبين الشام، يقول:

كَانَ الصَّبَاحُ مَلْعَبًا، أَرْجَاؤُهُ الْفَسَاخُ

شَذَى انْتِصَارُ

وَالْغُوطَةُ الْخَضْرَاءُ كَانَتْ طَوْقَ غَازُ

عَلَى جَبِينِ الشَّامِ

وَالرِّيَاحُ ...كَانَتْ الرِّيَاحُ ..

تَذَرُو رِمَادَ هَيْكَلِ الْحِصَانِ ..

كَأَنَّ قَبْلَ الْيَوْمِ لَمْ يَلُحْ عَلَى مَدِينَةِ صَبَاحٍ !!...<sup>(2)</sup>

ثالثاً : بداية السرد:

فالبداية هي: " لبنة مهمة في البناء السردى، وهي عتبة هذا البناء أيضاً، وهي أول ما ينظر إليه القارئ، لذا يبرز جمال العمل الابداعي في قائمة سردية جميلة تأسر بسحرها المتلقي وتجذبه إليها"<sup>(3)</sup>.  
والبداية ليست مقدمة وليست عرضاً، إنها مرحلة من مراحل الحدث تُحتم أن يتبعها شيء معين"<sup>(4)</sup>.  
و"البداية هي هدف كل شيء في المسرحية، من فعل أو قول، أو حركة، أو تصوير للشاعر بالكلام أو الرمز، أو الإيحاء"<sup>(5)</sup>.

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 275/1.

(2) الخطيب، م. ن، 276/1.

(3) الشيايب، صدام علاوي، البنية السردية، في شعر ممدوح عدوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 2007، ص 33.

(4) رشاد، رشدي، نظرية الدراما، ص 17.

(5) أجري، لاجوس، فن كتابة المسرحية، تحقيق: ديريني خشبة، ط1، القاهرة- دار سعاد الصباح، 1993، ص 45-95.

فالمطلع في القصيدة كما في كل شيء، هو ما يشدّ ويجذب المتلقي إليها، وهنا يريد الشاعر لفت الانتباه، وأن يضع المتلقي في خط سير الأحداث من خلال عبارات كادت تكون هي نقطة البداية للحدث، ومن هذه البدايات: البداية التي تعتمد على الاستنكار (الاسترجاع) من خلال عنصر من عناصر الدراما وهو الزمن، ومن القصائد التي جاءت على هذا النحو قصيدة "في آذان العصر".

فقد جاء الشاعر بالزمن في مطلع قصيدته، ومما قاله حول هذه القصيدة "لا أتذكر أنني ذرفت قطرة دمع بسخونة الجمر وبحرقه الحنظل، كنتك التي ذرفت فيما يضرب من آذان العصر آنذاك قبالة الشاشة الصغيرة أشاهد أحد أطفال انتفاضة الحجارة وهو مُسجى في زيه الملاتكي الأبيض"<sup>(1)</sup>.

اعتمد الشاعر في مطلع قصيدته على عنصر الزمن، ليبنى الأحداث، والزمن هنا هو " آذان العصر"، ذلك الوقت الذي استشهد فيه أحد الأطفال، مما حرك مشاعر الشاعر، ليحكي لنا قصته مازجاً دموعه بالكلمات، فبدأ القصيدة بالفعل (كان)، للتعبير عما رآه، فالزمن هنا هو حجر الأساس التي سيبنى شاعرنا أحداث قصته عليه، ونلمح عنصراً آخر من عناصر القصة وهو الشخصيات، فالشخصية -هنا- هي شخصية الشهيد، والموت والسكران التمل الذي يخبأ أنيابه الزرق الممتلئة بالسّم، كما يجعل الشاعر الموت لصاً يهودي لا يرتوي إلا من دماء الأطفال، ليهدم الكون ويجعل منه خراباً، يقول:

في آذانِ العَصْرِ..

كان الموتُ سكرانَ ثُمالاتِ الشَّرَّايينِ،

ويُوري رُزقَ أنيابِ الشَّيَاطينِ، ويَنهَمُ ..

إنني أشهدُكَ، اللَّهُمَّ،

أنَّ الموتَ سَرَّاقٌ يهوديٌّ

ويَسقي من دَمِ الأطفالِ

مَعجُونَةَ "فُورِيم" <sup>(2)</sup> على كَوْنِ مُهدِّمٍ.. <sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 229/3.

(2) فوريم اسم عبري معناه قرع وهو عيد يهودي وتذكّار لخلاص اليهود المسبيين في بلاد فارس من مجزرة شاملة.

(3) الخطيب، م، ن، 231/3.

ينمو الحدث ويرتفع من خلال مشهد إحضار الشهيد من ساحة المواجهة، وإعداد القبر وتجهيزه له، وهنا يعاود الشاعر تذكره للحدث بتكرار الزمن، وهذه وسيلة لشد انتباه القارئ إلى ما تبقى من القصيدة لمعرفة تنمة الأحداث، ففي هذا الوقت من النهار المعطر بشذى الورد والأفق الممتلئ بالغيوم، وعادة ما يكون لون الغيوم أسود أو أبيض فما بال هذه الغيوم التي هي بلون الحناء؟.

وتظهر لنا عناصر جديدة في القصة وهي المكان فالمكان ضفة النهر، والشخصيات وهم أصدقاء الشهيد وقال عنهم أتراه أي أنهم في نفس عمره، ومكان آخر وهو مكان دفن الطفل وهي حفرة قريبة من الأشجار في شرقي المخيم، يقول:

في آذانِ العصرِ..

كانت وردةٌ قد سَفَحَتْ أَشْدَاءَها الرِّيحُ..

(1) وكانَ الغَيْمُ حِنَاءً على الأفقِ، وَعِنْدَمَ ..

عِنْدما جِيءَ به من ضفَّةِ النَّهْرِ

على أَدْرَعِ أَتْرَابِ،

(2) وشُقَّتْ حُفْرَةٌ، في الحُرْجِ، شرقيِّ المَخِيْمِ..

ينتقل الشاعر بنا إلى مشهد آخر نكاد نراه في كل وقت وفي كل مكان، مشهد الشهيد الذي لا يملك سلاحًا سوى الحجر، ويعود إلى ما قبل استشهاد الفتى حيث لفظ كلمة أمي، وهنا لم يقل لفظ أو تكلم بل قال (تهجى) فقد تخيله طفلاً صغيراً في بداية كلامه عندما تقرح أمه عندما يلفظ اسمها، وهذا ما يظهر لنا في المقاطع اللاحقة، يقول:

في آذانِ العصرِ..

دَلَّى رَأْسَهُ في أبدِ الصَّمْتِ

سِوَى ما حَجَرَ في قَبْضِ يُمْنَاهُ ..

يَقُولُونَ... تَهْجَى لَفْظَ " أُمِّي " وتكَلَّمُ ..

فخُذِي أَعوامَهُ التِسْعَةَ في حِجْرِكَ ..

(1) عندهم: هو دم الأخوين.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 232/3.

رفقاً..

أرضِعيه لبِنَ الروح، إلى الريّ،

هنا آخرُ ما عُصفورُ أحشائكِ يُفطمُ..<sup>(1)</sup>

إذن عملية الاسترجاع التي اعتمدها الشاعر في قصيدته، جعلت المتلقي في الحدث يتابع ويحاول الوصول الى النهاية.

وفي "المدينة الضائعة المفتاح" جاءت الحكاية معتمدة على الفعل الماضي وزمن الأمس، ليبدأ شاعرنا بسررد هذه الحكاية معبراً بالبكاء عن مشاعره الحزينة الممزوجة بالفرح احياناً، يقول:

كنت بالأمس إذا أحرزُ أبكي

وإذا أفرحُ.. أبكي..

كان سُهْد الليلِ تاريخي

وحُزْنُ الأرضِ مُلكي<sup>(2)</sup> ..

يتابع حكايته مازجاً إياها "بقصة السيد المسيح والصلب"، ويستلهم الشاعر فكرة صلب المسيح، وعذاباته في تُوحد مع معاناة الشاعر، ومعاناة شعبه مكرراً كلمة الصلب التي تستدعي ما تعرّض له المسيح يدلُّ دلالة واضحة على مدى عمق المأساة والمعاناة التي يتلقاها الفلسطيني في أماكن تواجهه في الشتات حتى أصبح العالم من حوله بدون قلب"<sup>(3)</sup> يقول:

ثم يوماً، جيء بي للطورِ

في ثلّة حراس .. وفي إكليلِ شوكِ ..

يومَ أن نُوديتُ من دونِ برّياسِ..

وسُميتُ لدى الشرطَةِ باسمي

خانني الدمعُ.. إذ الدمعُ غشا مُقلّة أُمي!!<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 232-233.

(2) الخطيب، م.ن، 273/2.

(3) جبريل، خميس، التناص في شعر يوسف الخطيب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، 2015، ص52.

(4) الخطيب، م.س، 273/2

لم يعد للشاعر سوى البكاء من الألم فالحال واحد، ويتكرر فمن مجزرة إلى مجزرة وكأن التاريخ يعيد نفسه، يقول:

وجعلتُ الآنَ أبكي من مساميرِ ضلوعي

ودُموعي..

صِرَنَ في قلبي كبريتاً ولَسعاتِ إبر..

وأنا الضاربُ، في بريةِ الليلِ،

على غيرِ أثرٍ

قَدَفْتُ بي "ديرُ ياسينَ" بطوفانِ النَجيعِ

وقُلوعي...

ضَيَّعتِ يابسةَ الصَّبْحِ على "بحرِ البَقْرَ!!"...

كان نيسانُ على الدلتا... زغاليلَ...،

وأعشاشَ حَديقةً... (1)

رابعاً: الابتداء بالحبكة:

بين الجوهري في الصحاح أن الحبك "هو بمعنى الإجابة فقال: وحبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا، أي أجاد نسجه" (2) ويقول ابن منظور في اللسان: "الحبك الشد واحتبك بإزاره احتبى به وشده إلى يديه والحبكة أن ترخي من أثناء حجزتك من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان وقيل الحبكة الحجة بعينها ومنها أخذ الاحتباك بالباء وهو شد الإزار" (3).

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 274/1.

(2) الجوهري، الصحاح، مادة حبك، 4 / 1578.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة حبك، 407/10.

والحبكة في العمل الدرامي هي " التخطيط العام له، أو الطريقة التي يرتب بها الكاتب أحداث عمله، وينظمها حتى تكون فيما بينها وحدة فنية عضوية، وهي كلمة مرادفة للبناء الفني" (1) وقد وضع أرسطو "أن الحبكة تكون من خلال علاقة حتمية وعضوية في النص الذي يتكون من بداية ووسط ونهاية" (2)، والحبكة: " وهي الأسلوب الذي يبني به الكاتب أحداث مسرحية فهي في الحقيقة اصطلاح مرادف للبناء الدرامي" (3). وقيل أيضاً: "هي تنظيم يؤنس الزمن" يمنحه شكلاً" (4). فالحبكة كما نعرف هي ما ارتكز عليها الحدث في القصة.

ومن قصائد الشاعر يوسف الخطيب التي جاءت الحبكة في بدايتها قصيدة "تغير البعث"، وجاءت تحت عنوان "صوت فلسطين"، فمنذ البداية يُقحمنا الشاعر في همه وبعد أن عنونها بصوت فلسطين افتتحها بضمير المتكلم أنا، وأخبر عن نفسه بكلمة لاجئ ليزيد من شوق القارئ إلى ما ترتب عليه هذه الكلمة، مصوراً الواقع المر للفلسطيني الذي أُجبر على الخروج من وطنه باحثاً عن وطن بديل شاكياً همه لدولة عربية هي مصر وباتاً أحزانه لها، يقول: (المكامل)

أنا لاجئٌ يا مصرُ أضربُ في الحياةِ بلا دليلٍ  
أَيَّانُ أُلقي، يا كِنانةُ، في الخليل، عصا الرحيلِ  
داري .. أَحِنُّ لِدرِيبِها المَعْرُوشِ، والفيءِ الظليلِ  
لِرحيقِ داليةِ، وأغصانِ مُعَطَّرَةٍ تَميلُ  
ما عهَدها بِسِوَايِ، في الصَّبْحِ المُلَوَّنِ، والأصيلِ  
يَسقي ثُرْنَفَلِها، وَيَعصُرُ كرمِها الداني الذليلِ  
أثرى مَصَّتْ أَيامنا الخُضْرُ العذابِ ولن تَوُؤل  
لا الدارُ ..  
لا السُّمارُ ..  
لا النَّايُ الشَّجِيّ ولا الحُقُولُ؟! ..  
لا غابَةُ الليمونِ

(1) غنيم، أحمد كمال، البناء الدرامي في شعر معين بسيسو، مجلة فكر وإبداع، مصر، ج26، ص91-114، ص94.

(2) أرسطو، فن الشعر، ص23.

(3) سرحان، سمير، مبادئ علم الدراما، د ط، الشارقة - دار الثقافة والإعلام، د ت، ص53.

(4) أونيل، سيسلي، عوالم الدراما، ت، عيسى بشارة، ط1، فلسطين - رام الله، مركز القطان، 2012، ص107.



## لا النَّزْهَاتُ

### لا دربُ النخيلِ!!... (1)

إنَّ غربةَ الشاعر ولجوهه جعلت منه إنساناً هائماً على وجهه بلا دليل، ونلاحظ مدى توتر الشاعر عندما يصف لنا الوطن، وتلك الصور التي لم تغب عن باله كصورة الدوالي التي كان يجلس في ظلها، مُستمعاً لصوت الناي، متقيناً الظلال ذات الأغصان الطيبة الرائحة مستخدماً أسلوب التثنيات مثل: (الصباح والأصيل) ويصف لنا أيام القرية بالخضر لإعطائها صفة التجدد، ويتساءل هل ستعود هذه الأيام بسهرها وسمرها؟، ونلاحظ تغيراً واضحاً في شكل القصيدة عندما بلغنا مع الشاعر قمة التوتر، وذلك عندما أدرك أن لا عودة إلى ما كان يحب، فأخذ يحشد الكلمات الدالة على النباتات والألوان والأماكن المتنوعة في الطبيعة التي كانت ولا تزال" مصدراً أساسياً للخيال وأهم العناصر الفاعلة في القصيدة فهي تمثل خلفية حية في وعي الشاعر يتفاعل معها". (2)

ومن الأمثلة على الابتداء بالعقدة قصيدة "الباب المفتوح" حيث تمثلت في غياب الأب عن أبنائه باحثاً عن لقمة العيش، فالخطيب يصور لنا من بداية الحكاية حال الأب، يقول: (الرجز)

وَجْهُ أَبِي غَابَ، ففِي رِغَابِنَا

نَلْمَحُهُ، وَفِي سُدَى سَرَابِنَا

يَأْتِي وَلَا لُقْمَةً فِي جِرَابِنَا

لَكِنَّهُ يَخْجَلُ مِنْ عِتَابِنَا

فَيَسْرُحُ اللَّيْلَ وَرَاءَ بَابِنَا!! (1)

رؤية الأب أصبحت بمثابة سقوط المطر في الصحراء أي شبه مستحيلة، وترتب على ذلك حال صعبة للأبناء فقد أصبحوا جوعى دون طعام، ينتظرون الأب في كل مساء، عيونهم تحرق و تنتظر للباب في كل لحظة على أمل عودته يدخل حاملاً معه ما يسد رمقهم، لكن انتظارهم لم يجد نفعاً يقول:

وَجْهُ أَبِي وَعْدُ الشِّتَاءِ لِلْفَقَارِ

وَلَمْ تَزَلْ قَدْرٌ لَنَا، بِدُونِ نَارِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 118- 217/1.

(2) أبو عيده، أمل، يوسف الخطيب حياته وشعره، ص 137.

(1) الخطيب، م. ن، 302/1.

تَغْلِي الحَصَا لِجُوعِ إِخْوَتِي الصِّغَارِ

وَبَابُنَا عَيْنٌ يَشُدُّهَا الجِدَارُ

عَلَى مَسَالِكِ الجَنُوبِ... في انتظار!!<sup>(1)</sup>

وفي الطريق "إلى يافا" في آلتنا الحدياء "يبدأ قصيدته بالحبكة وهي الخروج من الوطن وغياب النور عن مدينة يافا ليحكي لنا تفاصيل هذه الرحلة التي لم تنته بعد ولا زالت أحداث القصة مستمرة ومتنامية يقول:(الرملة)

يَوْمَ غَابَ الضُّوءُ عَنِ يَافَا،

انْتَجَعْنَا الشَّرْقَ، وَاجْتَزْنَا لِعَمَّانَ الشَّرِيعَةَ

ضَرَعْنَا جَفًّا، وَلَا زَرْعَ،

وَأَرَبَى القَحْطُ فِي أَرْوَاحِنَا العَمِي الوَجِيعَةَ

وَالدَّرُوبُ احْتَقَنَتْ مَوْتِي،

وَكُنَّا البَائِعِينَ الأَرْضَ، والأَرْضَ المَبِيعَةَ

كَيْفَ ضَيَعْنَا زَمَانَ الوَصْلِ

ضَيَعْنَاهُ، عَشِينَا عَلَى الإِثْمِ الذَّرِيعَةَ.<sup>(2)</sup>

غياب الفلسطيني عن أرضه، غيب الضوء عنها وعن نفسه، أصبح بلا أرض وبلا زرع، أصبحت الأرواح مصابة بالوجع يعلوها القحط، بيعت الأرض وضاع زمان الوصل، والمسؤول الأول في نظر الشاعر هو الفلسطيني وحده، الذي رضي بالهجرة والخروج إلى خارج الوطن.

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 304/1.

<sup>(2)</sup> الخطيب، م ن، 89/2.

## المبحث الثاني: المكان

المكان لغة: بيّن ابن منظور في اللسان "أنّ المكان بمعنى الموضع"<sup>(1)</sup>. وفي الاصطلاح يقول الجرجاني في (التعريفات): "المكان عند الحكماء هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى، وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه"<sup>(2)</sup>.

والمكان هو: "الموضع والجمع أمكنة وأماكن، وأمكن موضع كون والمكانة جمع مكان، الموضع، والمنزلة، يقال: مكين فيه أي موجود فيه"<sup>(3)</sup>.

وقد جذب المكان لأهميته انتباه الفلاسفة والمهتمين الذين أدلوا بأرائهم المتعددة في طبيعة المكان، ومن هؤلاء أفلاطون حيث قال: "المكان هو الحاوي والقابل للأشياء"<sup>(4)</sup>.

و"المكان لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسية وحجوماً، لكنه فضلا عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية والملموسة بعدما يستمد من التجريد الذهني"<sup>(5)</sup>.

"لهذا لم يعد المكان في حركة الإبداع الأدبي يحمل "معنى الحير والحجم والخلاء"<sup>(6)</sup>. بل هو كما قال عنه باشلار "كُون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"<sup>(7)</sup>.

جاء التشكيل الشعري للمكان في أغلب الأحيان مُجافياً لهذه المقاييس، لكنه في الوقت نفسه يكون تعبيراً أصدق عن حقيقة المكان النفسية، لهذا عندما "ينتقل المكان من مداه الواقعي الحياتي العادي

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة مكن. 420/13.

(2) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت - دار الكتاب العربي، 1405هـ، ص292.

(3) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة - مجمع اللغة العربية، د.ت.

(4) بدوي، عبد الرحمن، مدخل جديد إلى الفلسفة، الكويت - وكالة المطبوعات، 1979، ص196.

(5) عثمان، اعتدال حاتم العكر، الشعر ومتغيرات المرحلة، جماليات المكان، بغداد - دار الشؤون والثقافة العامة 1980 ص51.

(6) ديفس، المفهوم الحديث للزمان والمكان - ترجمة، السيد عطا، القاهرة - الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998، ص111.

(7) غاستون، باشلار، جماليات المكان، بيروت - المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، 1984، ص42.

إلى مداه الفني الروائي أو الشعري، يمر من خلال أنفاق متعددة نفسية، وأيدلوجية وفنية لكي يصل أخيراً إلى المدار الفني التشكيلي". (1)

"فالشاعر واحد من الخلق الذي يعيش في مكان، يؤثر في تشكيله وبنائه ويؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر، وأهم تشعباتها فلا جرم أن نجد انعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة لهذا التأثير والتأثر بين الإنسان الشاعر ومكانه" (2)، وهذا ما سنلاحظه مع الشاعر يوسف الخطيب، الذي كان للمكان الوطن أثر واضح عليه، "فأصبح المكان هو مكان عاشه المؤلف وبعد الابتعاد عنه أخذ يعيش فيه في الخيال، فأثر في آدائه". (3)

إن المكان احتل مكانة مهمة لدى شعراء العرب "لأنه مصدر إلهام لهم، كما أنه يمدهم بإشعاع عاطفي فهو أنيس الذكريات، وهذا يؤكد على قوة ارتباط الإنسان وصعوبة إنفكاكه عنه، وكان للفلسطيني أن يرث الاهتمام بالمكان لأنه عاش مأساة التجربة المكانية وانطلقت معاناته الحقيقة من بعده عن مكانه الأول، تهجيراً أو نزوحاً". (4)

المكان عنصر مهم من عناصر الدراما، وهو الذي يبين أهمية الحدث، كما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن، "ويتمتع المكان بأهمية استراتيجية وسنمائية في تشكيل الخطاب السردية، عبر تداخله مع المكونات الدرامية الأخرى". (5)

وفي رأي عز الدين المناصرة، "أنّ المكان الشعري شيء آخر عن المكان الواقعي لأنّ المكان الواقعي مكان جغرافي على مساحة من الأرض، والمكان الشعري مكان لغوي على الصفحة الشعرية

(1) النابلسي، شاكراً، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994، ص92

(2) الطربولي ن محمد عويد، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، ط1، عمان - دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2012-1433، ص7.

(3) مجموعة باحثين، الرواية العربية واقع وآفاق، ط1، بيروت - دار ابن رشد، 1981، ص271-224.

(4) بتصرف، أبو ندى، وليد محمود، المكان في رواية البيارة الضائعة، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية،

المجلد 19، عدد 1/2011، ص929-933.

(5) حسين، خالد، شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لادوارد الخراط نموذجاً، مؤسسة اليمامة الصحفية، 1421

هـ، ص780.

مفتوح على فضاء العالم" (1). هذا في رأي عز الدين ولكن المكان لم يكن إلا كالخلفية للعمل الفني المبدع أو فلنقل هو كاللوحة التي يرسم عليها الشاعر السارد بألوانه المختلفة لتظهر لنا الأشكال الدرامية والأنماط من خلال هذا المكان لوحة متكاملة ذات طابع جمالي .

والأمكنة عند شاعرنا متنوعة وكثيرة بكثرة حله وترحاله، فقد تنقل بين أمكنة متعددة تركت عنده آثاراً نفسية كبيرة، سواء أكانت هذه الآثار سلبية أم إيجابية، ويمكن تقسيم الأمكنة عند شاعرنا إلى : المكان المغلق ومن الأمثلة عليه الخيمة، والمكان الواسع المقفر المنفى، والوطن وبعض البلاد العربية التي ربط حبها بحبه لوطنه.

### أولاً: المكان المغلق، (الخيمة)

دخلت "الخيمة والمنفى" بالإضافة إلى "المخيم" في تلافيف الذاكرة الفلسطينية، باعتبارها محرقة من أعظم المحارق التي عاشها الشعب الفلسطيني في تاريخه الحديث حيث اكتوى بناها ومزقت أوصاله الأسرية والاجتماعية والمكانية، بعد أن هجرته قسراً من فلسطين أثناء النكبة سنة (1948م)، لكن الروح الفلسطينية رغم هجرة الجسد ونفيه بقيت غيمة سابعة لا تترج حدود الوطن من البحر إلى البحر، تحلم بالعودة وتعمل من أجل تحقيق هذا الحلم وإن لم يقدر لها حتى الآن أن تصل إلى مبتغاها لكنها حتما ستصل .<sup>(2)</sup>

فالشاعر في قصيدة "تشور الخيام" يبدو متفائلاً من أبناء الخيام، ويبدأ قصيدته بأسلوب الشرط مخاطباً من أتى في المساء زائراً للخيام، ورآها مظلمة فعليه ألا يظن أنها قبور، لأن في هذه الخيام أجنة، أي أناس يستعدون للنضال من أجل الوطن، واستوحى الخطيب "مشهد البعث بعد الموت، ويشير الخطيب إلى ما يسعى إليه حزب البعث العربي من إيقاظ للأمة"<sup>(3)</sup>، يقول: (الرجز)

### إذا أتيت في المساء حيناً

(1) المناصرة، عز الدين، جمرة النص الشعري، (مقاربات في الشعر والشعراء والحادثة الفاعلة)، عمان - دار مجدلاوي، 2007، ص286.

(2) إبراهيم، نمر موسى، ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر، عالم الفكر، عدد4، مجلد 35، إبريل - يونيو 2007، ص76.

(3) جبريل، خميس، التناص في شعر يوسف الخطيب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، 2015، ص26.

ولم يكن لهاثُ ضَوْءٍ أو سنا

يلوحُ في الديجور<sup>(1)</sup>

فلا تَقُلْ فُبور

لأنَّ في الخيامِ، داخلَ الخيامِ

مِثْلَ أَجْنَةِ الشُّمُوسِ فِي الظَّلامِ

نُحِسُّ نحنُ ما مَخاضُ بَعَثنا

وموعِدُ النُّشُورِ<sup>(2)</sup>

كرر الشاعر كلمة الخيام (في الخيام، داخل الخيام) مع أنها تعطي المعنى نفسه، ليبين الأثر الإيجابي لهذا المكان رغم ضيقه . يكمل قصيدته ويقول له: "إن كان هناك سكون، وذهول، وابتعاد الصغار والشيوخ عنه فلا يعني ذلك بأن هذا المكان ميت، بل هو حي بما فيه، فالقلوب تقدح كالشرر، وقدرة الله خلف كل ضلع، وسيعلم الجميع من نحن عندما نثور، يقول:

وإن لمحتَ في عُيوننا الذَّهولُ

وأطرقَ الصِّغارُ عنك، والكُهولُ

ورابكُ السكونُ

فلا تَقُلْ مَنونُ

لأنَّ كُلَّ قَلْبٍ يَقْدَحُ الشَّرْرُ

وَحَلَفَ ضِلَعُ قُدْرَةِ القَدَرِ

لأنه إذا يُدقُّ في الطُّبولِ

(1) الديجور: الظلام. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دجر) .

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 245.

## تَعْلَمُ مَنْ تَكُونُ (1)

كان الشاعر في هذه القصيدة متفائلاً، أو فلنقل إيجابياً تجاه الثورة والعودة إلى أرض الوطن، (موعد النشور).

وقد ذكر الخيمة مرة أخرى في قصيدة "همسة لاجئ" إذ بدأ القصيدة متشائماً بعض الشيء، موجهاً كلامه إلى اللاجئ الفلسطيني، الباكي على أرض الوطن، فاللاجئ يقف على باب الخيمة وهنا يصور ما يعانیه هذا اللاجئ من ألم وأسى، "فالخيمة والمنفى بدلالاتهما الرمزية على النكبة تحتويان أبعاداً مأساوية وعذاب مقيم، فالخيمة "جمجمة الموت وهي رافعة شراعها كالأكفان" (2)، يقول: (مجزوء الخفيف)

لِي هَمْسٍ بِمَسْمَعِكَ      فاقترِبْ

يَا شَقِيًّا بِأَدْمَعِكَ      اقترِبْ

فِيمَ تَبْكِي وَتَتَحَبَّبُ؟!

وَأَغَانِيكَ فِي الدُّجَى      لم تنم

راعِشَاتٍ مِنَ الْأَسَى      والألم

يَتَبَاكَيْنَ فِي النَّعْمِ

وعلى بابِ خيمتكِ      لم تزل

والأسى ملءٌ سِحنَتِكَ      لم تزل

ترمقُ البُعدَ في حَجَلْ

لكَ في البُعدِ منزلٌ      وحبیب!!

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 245.

(2) فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، د.ط، مصر - معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1970، ص94.

## لك حقلٌ مُلَوَّنٌ (1) في الغروب

ويشير إلى الخيام والمنفى في قصيدة "تغير البعث" فالخيمة قبر، والخيمة الشمس لا تريد أن تطلع عليها وهنا يستعين الشاعر بالتشخيص وهو "إحياء المواد الحسية الجامدة واكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله"<sup>(2)</sup>، فالشمس إنسان متألم من حال المسلمين، فبعد أن كانوا أصحاب عزٍّ وجاه أصبحوا يذعنون للعدو ويبدأ قصيدته بالحذف ويقول من ألف عام، وهنا يذكرنا بالسبي البابلي في أرض فلسطين من آلاف السنين يقول: (السريع)

من ألفِ عامٍ والدُّجى خَيْمَةٌ

أحيائُنَا فيها ومُوتَانَا

كأنَّما الشمسُ على دربِها

تُعانقُ الكونَ، وتُتسانَا

ورُبَّما أَلَمَها أن ترى

بعدَ ثِيَابِ العزِّ أكفَانَا

بعدَ الجِباةِ السُّمْرِ مِن أُمَّتِي

نوماً على الخَسْفِ وإذعانا

حتى خرجنا شِن قُبُورِ الدُّجى

نُؤتِّلُ المجدَ الذي كانَا<sup>(3)</sup>

فالمكان "الخيمة" مكان مظلم لا نور فيه، وهي كذلك قبر مظلم، يضم بين أطرافه من هاجر عن وطنه وفرط فيه.

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 71/1

(2) صالح بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المغرب-الدار البيضاء المركز الثقافي العربي 1994، ص125.

(3) الخطيب، م . س، 216/1.



وفي قصيدة "العيد يأتي غدا" يتواصل الشاعر مع التاريخ الأدبي ليقف على الأطلال ويناجي الديار، وليتجلى لنا الزمان وهو "في الظلام" وقت وقوف الشاعر، وقف الشاعر ونادى أصحابه عبر الريح لتصل لهم الرسالة، ولكن دون فائدة، فهو وحده في "خيمة الليل"، ولكن لا مجيب، بل يجيبه صمت المقابر، وكيف للصمت أن يجيب شاعرنا ولكن هذا جاء نتيجة إحساسه بالغرابة والمرارة، يقول: (الخفيف)

### في الظلام الحزين أقرع ناقوسي

جداداً على الطُّول الدَّوائرُ

وأنادي في الريحِ أشتاتٍ قومي

فُجيبُ الصدى، وصمتُ المقابرِ

أتراني في خيمةِ الليلِ وحدي؟

(1) أيُّ هذا الدجى، أما لكِ آخر؟!

ونلمح عبارات الحزن والتشاؤم في هذه الأبيات، (فالليل بظلمته حزين، والخيمة ليل وصمت المقابر، أشتات قومي، الدجى)، تكاد تكون هذه الأبيات ما هي إلا كلمات تعبر عن مدى تشاؤم الشاعر وحرزته الشديد.

لكن نلمح ضوءاً خافتاً في الأبيات القادمة، وذلك لإيمان الشاعر بشعبه، الذي سيبعث ويدافع وسيكون وسيلة للتحرر، يقول:

يُوشِكُ اليأسُ أن يُمزقَ إيماني

بشعبي، لو كنتُ بالبعثِ كافراً

يا لشعبٍ يَغيبُ في نشوةِ الوهمِ

ويَنقَادُ للسرابِ الغادرِ

يَحسبُ النائمونَ إغفاءةَ الموتِ

نبيذاً وهم ذبابُ المعاصِرِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 151/1.

النبيذ العتيقُ يسفحه جرحي  
وينهلُّ من سنانِ الخناجرِ  
إنَّ كأسِي تفيضُ منْ خَمرةِ الدمعِ  
وليلي مجنَّحٌ بالخواطرِ  
ليت هذي النجومَ تجمعُ شمساً

ذاتِ ضوءٍ من العروبةِ غامرٌ<sup>(1)</sup>

وفي "حكاية لاجئ" التي سبق وأشرنا إلى الحدث فيها، جاءت الخيمة دلالة على البؤس والشقاء والحنين إلى الوطن، هذا المكان البائس يقابله مكان جميل، هو الوطن، والخيمة هنا تطل وتشرف على فلسطين، واللاجئ فيها يجفوه النوم، وهو يحلم في استرداد وطنه وأهم ما يميز اللاجئ هو الصراع الداخلي ما بين البقاء على حياته، أو تضحيته بنفسه من أجل العودة، يقول: (المتقارب)

يقولون، كان فتى لا جنأً  
إلى خيمة في الربي مشرعة  
تطل بعيداً، وراء الحدودِ  
على الجنة الخصبة الممرعة  
وكانت له ذكريات هناك  
وكوخٌ يطلُّ على مزرعة  
وكم أرقّت ناظريه الطيوفُ  
وطيفُ الرقادِ جفا مَخدعة  
يعيشُ على حُلمِ أمس الذي  
تولّى ويُقسّمُ أن يرجعه  
يرجى مرارة كأسِ المماتِ  
إلى يومٍ تارٍ إلى موقعة<sup>(2)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 151/1.

(2) الخطيب، م . ن، 233/1.

ولا يوجد مقارنة بين الوطن والمنفى، فالوطن في نفوس أبنائه هو جنة مهما كان وكانت الصعاب، والغربة مكان موحش مهما كان جميلاً، فعلاقة اللاجئ بالأرض علاقة الجسد بالروح لا يمكن فصل بعضهم عن بعض، فحلم العودة يظل يراود اللاجئ في كل لحظة.

ثانياً: المكان الواسع ويقسم إلى :

أ- المكان المقفر (المنفى)

الأماكن الواسعة، رغم اتساعها، أصبحت في نظر الشاعر مكاناً مقفراً خالياً من كل حياة حتى من الرجاء، ففي قصيدة "الطوفان" النشيد الأول يوجه حواراً إلى كل من تخلى عن أرض فلسطين، بل خذلها ولم يدافع عنها بالمعنى الحقيقي، لقد تساءل وتساءل ووجه أسئلة إلى كل من يسمعها ليعقد مقارنة مرة أخرى ما بين أرض جميلة وثانية قاحلة، فلسطين كمساحة جغرافية تعتبر من البلاد صغيرة المساحة بشكل نسبي، ورغم هذا هي في نظر أهلها والشاعر جنة ليس لها حدود وفي جزء من النشيد يوجه سؤاله إلى من خذل الوطن، ويسأله إن خاض تجربة فقدان الأحبة دون أن يتلقى عزائهم ويرى الحزن في عيني أطفال الوطن وهم يبكون بحرقة، يقول:

أَمْشَيْتَ يَوْمًا فِي جَنَازَةٍ مِنْ تُحِبُّ

وَعُدْتَ لِلْكُوخِ الْقَدِيمِ بِلا عَزَاءٍ..

غَيْرِ الْأَسَى فِي عَيْنِ طِفْلَتِكَ الْيَتِيمَةِ

وَهِيَ تَشْهَقُ مَلَى لَيْلِكَ بِالْبُكَاءِ؟!..<sup>(1)</sup>

يكمل متسائلاً، إن كان هناك من يترك أرضه للعدو والذي أسماه الدخيل، ويغدو في أرض بعيدة نائية مقفرة، يعيش على ذكرى وطنه المكان الذي أحبه، هذا الوطن المبارك كثير العطاء فلسطين هذا المكان ترك داخل القصيدة أبعاداً نفسية وتاريخية، "حتى أننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للنص نفسه أو ما يرتبط به"<sup>(2)</sup>، يقول:

أَتْرَكْتَ أَرْضَكَ لِلدَّخِيلِ،

وَرُحْتَ تَضْرِبُ فِي الْقِفَارِ النَّائِيَاتِ بِلا رَجَاءٍ..

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 162.

(2) المناصرة، عز الدين، شهادة في شعرية الأمكنة، ص28.

تَحِيَا عَلَى الذِّكْرِى الْقَدِيمَةِ..

غَابَةِ الليمون..

والأرضِ المُباركةِ العَطَاءِ؟! (1).

نلمح في هذا النشيد بشكل عام الحذف المتكرر، وهذا يدل على أن الفضاء متسع أمام المتلقي لأنَّ الموقف لا يحتمل الكلام، فهناك مشاعر وأحاسيس لا يمكن اختزالها ببعض الكلمات.

وفي النشيد الثاني من "قصيدة الطوفان"، يعود ليُجعل الغربة باتساعها مكانًا قاحلاً، ذلك "أنَّ الاغتراب معادل موضوعي للعقم والجذب والعدم" (2)، وبأسلوب السرد يقدم لنا الشاعر قصة الخروج من القدس، ويبدأها بصيغة الجمع "تركنا"، يقول:

لَمَّا تَرَكْنَا ... "أورسَلامَ" ...!!

وراحَ يَنشُجُ مِلاءَ مِزمارِ الأسي

حادي القوافل.. (3)

خرج الفلسطينيون، بلا دليل، تفرقوا في كل مكان، ويرسم الشاعر صورة الوطن بعد خروج أهله منه وصورة المنفى، فالأرض بعدهم أصبحت قاحلة، والغربة مكان موحش خال من مظاهر الحياة.

هذا هو معنى الغربة بالنسبة للشاعر، فبالرغم من اتساع المكان وخضرته لم يكن سوى مكان قاحل في نظر الشاعر، "فاغتراب الشاعر سبب له مشاعر نفسية كالخوف والقلق والحنين" (4)، لأنَّ الشعب أصبح لاجئاً يشد الرحال من بلد إلى بلد، يقول:

وتوزَّع الرِّكبُ الشَّتيتُ، بلا دليل،

حيثُما طَيفَ سَرابيِّ مُخاتَلُ

يَتأثَّرُ الأطلالُ من خَلْفِ الرِّمانِ

على متاهِ موحشِ الأرجاءِ قاحِلِ..

لما ظَعَنَّا لاجئِينَ، بلا يدِ،

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 162-163.

(2) فهمي، ماهر حسن، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ص8.

(3) الخطيب، م. س، 1/ 165.

(4) رجب، محمود، الاغتراب، ط، الإسكندرية - منشأة المعارف المصرية، 1978، 1/ 48.

## ومضى "سبايانا" يشدُّونَ الرحائل<sup>(1)</sup>

يتذكر الشاعر الوقت الذي خرج فيه من فلسطين وهو "الأصيل"، ليدخل بذلك عنصراً جديداً للحكاية وهو "الزمن"، فالحدث هو الخروج والشخصيات كانت أبناء فلسطين بعامة، والمكان هو الغربة والزمن كما أسلفنا هو وقت الأصيل، ويجسد الشاعر الزمن بأنسان يحمل الحزن ويتخذه وشاحاً، يقول:

كَانَ الْأَصِيلُ مُوشَّحاً بِغَلَالَةٍ<sup>(2)</sup> الْأَحْزَانِ

مَصْبُوغاً بِلَوْنِ الْوَرَسِ<sup>(3)</sup>، حَائِلٌ..<sup>(4)</sup>

يكمل حتى نهاية النشيد ليعطي القصيدة طابعاً حزيناً، باكياً لأن هذه الرحلة كانت بلا عودة .

في قصيدة "الطوفان" النشيد الثاني، استحضر الشاعر قصة السبي البابلي بقوله: "قبل آلاف السنين"، فقد كان التهجير والسبي لبني إسرائيل ولكن هنا انقلبت الآية ليصبح أبناء فلسطين هم من سُردوا عن وطنهم، ليصبحوا في غربة داخل غربة، لتصبح الصور لدى الشعب ما هي إلا أفاع تحمل وجه إسرائيل والمنفى والقبائل الشاذة، يقول:

مِن قَبْلِ آلَافِ السِّنِينَ..

وَهَامَتِ الذِّكْرَى عَلَى أَهْدَابِنَا الْغُبْرِ الذَّوَابِلِ..

وَكَأَنَّ بَيْنَ مَسَارِبِ الصَّفْصَافِ

أَنْزَلْنَا رِحَائِنَا عَلَى أَنْهَارِ "بَابِلٍ"..

فَبَدَا لَنَا فِي كُلِّ أَفْعَى، وَجْهَهُ، "إِسْرَائِيلَ"..

وَالْمَنْفَى.. وَشُدَّادُ الْقَبَائِلِ..<sup>(5)</sup>

وفي قصيدة "الطوفان" النشيد الثالث، أصبح الفلسطيني غريباً يعيش في كتب التاريخ ينتقل من مكان إلى مكان بلا وطن، ليس له إلا الذكرى يحملها معه، يسهر مع القمر

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 165/1.

(2) بغلالة : ثوب رقيق يشف ما تحته.

(3) الورس: نبات من الفصيلة القرنية ينبت في بلاد العرب والحبشه،ثمرتها قرن مغطى بغدد حمراء يستعمل لتلوين الملابس.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 165/1.

(5) الخطيب، م.ن ، 171/1.

الحزين ليبت له حزنه، حتى أنفاسه أصبحت آهات وحزن ترسل الحنين إلى الوطن،  
يقول:(الكامل )

سمراء، يا عُذْرِيَّةَ الأَشْوَاقِ لِلْمَاضِي،

هنا الماضي يحفك لاجئنا

سبعون شهراً في تجاعيد الوجوه

كأنما ارتسمت بأعيننا قرونا

عجز الغربة نحن، لا وطن لنا،

ونعيش في كتب التراث "مواطنينا !!"

سنظل في المنفى، وتذكاراتنا

ندد الكرى، ونسامر القمر الحزينا

نتهدد الآهات من غور الصدور

فليس ترسل نبضها إلا حنيناً<sup>(1)</sup>

وفي قصيدة "بالشام أهلي والهوى بغداد" جعل الخطيب الفلسطيني هائماً على وجهه بدون دليل، حتى النجوم لم تعد ترشده إلى طريقه، لم يجد سوى الوحل ليشربه والزقوم ليأكله وهذا كله نتيجة هجرته من وطنه وابتعاده عنها، يقول :

أهيم وسع الأرض في ما جبل

يُعطي ليّ النجوى

وجبريلاً..وتنزيراً..وشلالاً ضياءً ..

لكنني ضيعتُ، أعلى الطور، أبراجي

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 176/3 .

## وَمَذَّ صَعَرْتُ أوداجي

شربتُ الوحلَ، والرُّقُومَ، في سِينَاءَ...!!<sup>(1)</sup>

ب\_ الوطن: (الفردوس المفقود)

فلسطين باعتبارها "مكانًا شعريًا يفتح على العالم ويتفاخر معها في علاقة تفاعلية عميقة، جعلت النص الشعري، مشبعًا بكيانية مكانية متحركة غير معزولة عن البشر وجعلت المكان إيقاعًا شاملاً يتسلل إلى خلايا النص، فالأمكنة جزء من التجربة الحياتية سلبيًا وإيجابيًا، كما أن تدمير النواة الخفية فلسطين من قبل الإحتلال الصهيوني، جعل المكان هاجسًا في المخيلة الشعرية الفلسطينية لهذا شكل حضور فلسطين ومدنها وقراها في جسد النص الشعري الفلسطيني علاقة واضحة الأبعاد والفسحات، ونالت اهتمامًا خاصًا باعتبارها مخزونًا نفسيًا يغذي فينا أحاسيسًا لا يتضاهى بالفجعة وفقدان الحرية."<sup>(2)</sup>

وكان لمدن فلسطين حضور واضح في قصائد الشاعر، فنالت مدينة القدس الحظوة في ذلك، كما أنّ مدينة يافا أحتلت من قصائده مكانًا كبيرًا مقارنة بغيرهما من المدن، ولا ننسى مدينة الشاعر التي أفرد لها قصيدة لينتقل بين قراها، وكذلك العديد من مدن فلسطين، وفي أغلب قصائده قارن بين ما كانت عليه هذه المدن يوم كان أهلها بها، وبين ما آلت إليه بعد خروجهم منها، أو يأتي بهذه المدن ليبيكي وينوح على أطلالها التي كانت، فالقدس كما قيل " لم تكن يوماً مدينة مكانية من مجرد طين وتجارة وسياسة، لقد كانت دوماً مدينة اللحم والتوق وتطلع الأنفس البشرية إلى الله."<sup>(3)</sup>

فالقدس في قصيدة " إعلان براءة " هي إنسان يعلن براءته ممن تنازلوا عنها، وتخلوا عن أقصاها، فالقدس بتراتها الإسلامي والمسيحي تتبرأ من العرب، يقول:(الرجز)

بَرِيئَةٌ مِنْكُمْ هِيَ الْقُدْسُ، وَأَقْدَاسُهَا

يَا أُمْرَاءَ الثَّوْرَةِ الْمُنْعَمَةِ

<sup>(1)</sup>الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 141/3 .

<sup>(2)</sup> موسى، إبراهيم نمر، أفق الرؤيا الشعرية، د.ط،وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2005م، ص239-240.

<sup>(3)</sup> جبرا، إبراهيم، جبرا، الرحلة الثامنة، دراسات نقدية د.ط، دار ثابت، 1984، ص115.

أَنْتُمْوَا طُلَّابٌ أَقْصَاهَا، وَحُرَّاسُهَا  
أَمِ الضَّبَّاعُ حَوْلَهَا مُلْمَمَةٌ  
مَاذِنْ الْقُدْسِ، وَمَا تَقْرَعُ أَجْرَاسُهَا  
تَلْعَنُكُمْ أَكْفَانُهَا الْمُهْدَمَةُ!!<sup>(1)</sup>

فالعرب ما هم إلا ضباع يلتفون حول هذه المدينة، للحصول على مصالحهم وهم من باعوا، وهم من تاجروا بجراحات أبناء فلسطين، يقول:

وَأَنْتُمْ الْبَاعَةُ، وَالشُّرَاةُ، وَالْبِضَاعَةُ  
أَرْخَصْتُمْ الْأَرْضَ، وَسِعَرَ الْجِرْحَ  
وَحُنْتُمْ الثَّدْيَ الَّذِي أَتَخَمَّكُمْ رِضَاعُهُ  
وَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ طَهَرَ الْكِفَاحُ<sup>(2)</sup>

"الفرق بين الفردوس المفقود بالمعنى الفلسطيني هو خلق حالة الحنين والانتماء النفسي والشرعي من الصراع، ما دام الصراع قائماً، فإن الفردوس لا يكون مفقوداً بل يكون محتلاً وقابلاً للاستعادة."<sup>(3)</sup>  
يُعرِّج الشاعر على مدينة يافا فقد قال الشاعر في "يافا" كانت وما تزال تمثل عندي بؤرة الحنين."<sup>(4)</sup>  
نعم إن مدينة يافا بالنسبة للشاعر هي وطنه وحلمه والمكان الذي عشقه فزيارتها كانت بالنسبة له المكافأة التي يجنيها عند حصوله على علامات عالية، فقد كان والده يصحبه إليها وفي قصيدة "من بحر يافا النسيم" تلمح شوق الشاعر لهذا المكان، وحنينه الدائم لها وكما قال "ظل كثيرون من مستمعي قصائدي يفترضون أنني أكون واحداً من أبناء هذي المدينة."<sup>(5)</sup>

بدأ القصيدة وهو يتمنى حضور زائر من يافا "تسيم يافا"، ليضمه برموش العين، يجعل قلبه وسادة له، يقول: (البسيط)

وَزَائِرٍ لِي مِنْ يَافَا، بِبَاقِيَّتِي

أَضْمُهُ، بِرُمُوشِ الْعَيْنِ الْقَاهِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 262/3.

(2) الخطيب، م . ن، 262/3.

(3) موسى، إبراهيم نمر، أفق الرؤيا الشعرية، ص249.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 54/2.

(5) ينظر: الخطيب، م . ن، 54/2 .



بَفِيءُ نَافذَتِي، يَدْرِي السَّبِيلَ إِلَى

قَلْبِي ..أَوْسَدُهُ قَلْبِي، وَأَرْضَاهُ (1)

يناجي الشاعر ربه متسائلاً ما الذي سيحمله الى يافا جناحا النسيم أم بيارة البرتقال، يقول:

أَسْأَلُ اللَّهَ فِيهِ، مَا يُجَنِّحُنِي،

بِيَّارَتَا بَرْتِقَالٍ ..أُمَّ جَنَاحَاهُ

حَتَّى يُمَسِّدَ أَهْدَابِي، فَأَعْرِفَهُ..

أَنَا، الرَّفِيقَانِ، مِنْ يَافَا، وَإِيَّاهُ

يَوْمَ، النُّجُومِ، وَأَصْدَافُ الرَّمَالِ، لَنَا

وَأَلْفُ حَالٍ هَوَى فِي المَوْجِ نَهَوَاهُ (2)

إنَّ القَارِيءَ لِهَذِهِ الأَبْيَاتِ يَسْرَحُ بِمَخِيلَتِهِ إِلَى يَافَا حَتَّى وَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُهَا، فَعَبْرَ حَنِينِ الشَّاعِرِ ارْتَسَمَتْ صُورَةٌ وَاضِحَةٌ جَمِيلَةٌ عَنِ تِلْكَ المَدِينَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا، "وَكِدْتُ فِي ظِلِّ هَذِهِ الحَالَةِ مِنَ القَلْقِ وَالمُضْيَاعِ لَا أَتَذَكَّرُ أَرْضاً عَلَى سَطْحِ هَذَا الكَوْكَبِ أَوْ أَحْنُ إِلَيْهَا، غَيْرَ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، بَلْ وَأَكَادِ أَدُوبِ شَوْقًا لِرَبِوعِهَا الحَانِيَةِ الرُّؤُومِ قَدَّرَ حَنِينِي لِيَافَاهاَ الجَمِيلَةَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ جَائِحَةِ الطَّاعُونَ اليَهُودِيِ الَّتِي تَعْتَرِيهَا، وَلَكِنْ إِلَى حِينِ، بَدَأَ لِي كَأَنَّ كُلَّ جَمَالٍ أَرَاهُ لَا بَدَأَ أَنْ تَكُونَ مِرَاةَ السَّمَاءِ هِيَ الَّتِي عَكَسَتْ لِي عَنِ القُدْسِ وَأَكْنَافِهَا..وَأَنَّ كُلَّ نَفْحَةٍ نَسِيمٍ شَذِيَّةٍ نَدِيَّةٍ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ "بَحْرَ يَافَا" قَدْ بَعَثَ بِهَا رِسَالَةَ شَخْصِيَّةٍ لِي..(3)

يَافَا فِي قَصِيدَةِ أُسْطُورَةِ "النَّسْرِ وَالخَفَاشِ" إِنْسَانٌ يَدْعُوهُ الشَّاعِرُ لِلبَكَاءِ عَلَى مَنْ حَاوَلَ تَحْرِيرَهَا بَلْ وَهِيَ تَدْعُو القُدْسَ لِلبَكَاءِ أَيْضًا، يَقُولُ:(مَجْزُوءُ الرَّمْلِ)

فَاحْزَنِي "يَافَا" عَلَى مَنْ كَانَ يَشْتَاقُ إِلَيْكَ

وَإِعْدَاءً أَنْ يَبْدُلَ المُهْجَةَ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 57/2.

(2) الخطيب، م . ن، 57/2.

(3) الخطيب، م . ن، 54/2-55.

واندبني من لوعة الفقد.. وخليّ القدس تبكي<sup>(1)</sup>

ويافا في قصيدة "جنون في ضوء القمر" مكان يحلم الشاعر بالعودة إليه، فيناجي ربه أن يجعل الأمل في قلبه، أمل العودة إلى يافا فهذه "القصيدة تولد في منطقة الحرق في القلب والأعصاب والعقل"<sup>(2)</sup>، يقول:

يافا مؤرقتي،

يافا الرحيل لها،

يافا الجنون..

أنادي الله من جبل:

ربي ..

أفض نورك الرسلّي في

ألق الصحراء..

من ألق دربي

ويُعتم في قلبي السبيل لها..

(3)

ربي..

بعد أن بدأ اليأس يتسلل إلى نفس الشاعر، نراه يتضرع إلى الله بأن يُلقى ثورة في قلبه حتى يبعد هذا اليأس، ونلمح العواطف الجياشة عنده، والحركة السريعة في إيقاع هذه المقاطع التي تعبر عن اضطراب واضح في نفسه التواقة للوطن، فهو يكرر يافا في أكثر من مقطع ليبت في نفسه الفرحة من جديد. ونلمح مكاناً آخر في هذه الأبيات وهو الصحراء، ونلمح ثنائية النور والعتمة، فالشاعر يطلب من الله أن ينير الصحراء بنور الرسالة، ولكن لا أمل للشاعر بالعودة ذلك أن الطريق معتم لا نور فيه. والمكان الأكثر حضوراً في قصائده بعد مدينة يافا هي مدينته الأم (الخليل)، "أردت أن أقوم بجولة أفق وعمق معاً على عدد من محطات واقعنا العربي المعيش، مهرياً شحنته غير يسير به من ممنوعات الآمال فيما أحمله معي قرابة العمر كله من حقائب الآلام."<sup>(4)</sup>

هذا مما قاله الشاعر في "مقدمة معلقة الخليل" عن القصيدة حيث حلق الشاعر بنا في فضاءات مدينة الخليل وكأننا نتجول معه في قرى تلك المدينة، لنرى ما يميز كل قرية عن غيرها، وبدأ رحلته من مدينته الأم (دورا)، حيث بقيت في نفسه وروحها الغم من بعده عنها، يقول: (البيسيط)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 203.

(2) المناصرة، عز الدين، جمرة النص الشعري، ص 80.

(3) الخطيب، م . س، 2/ 104.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 176.

حَبَّأْتُ فِي "دُورَةٍ" قَلْبِي فَمَا جَسَدِي

إِلَّا خِيَالٌ عَلَى الْآفَاقِ خَطَّارٌ<sup>(1)</sup>

وينطلق إلى قرية (الدَّلبَة)<sup>(2)</sup> ووداي نزار، والرام كي يصف لنا مظاهر الطبيعة فيها، يقول:

كَأَنَّ "بِالدَّلبَةِ" الْخَضْرَاءِ يَسْرِقُنِي

حُلْمٌ، وَيَعْنِقُنِي لِلنَّجْمِ مَشْوَارٌ

وَلِي "بِوَادِي نَزَارٍ" فِي الرَّبِيعِ لُقَى

بَرِّيَّةً وَأَدَاحِيٍّ، وَشُنَّارٌ

وَمِنْ عَلَى شُرُفَاتِ السَّفْحِ تَرَحَّلُ بِي

لِلْأَنْهَاءِ، آصَالٌ، وَأَسْحَارٌ

أَبْعَدَ "بِالرَّامِ" لُقَيَانَا، وَلَيْلَتْنَا

عَرِيشَةً، وَعَنَا قَيْدٌ، وَأَسْمَارٌ

أَمْ بَعْدُ لَا يَطْلُعُ الرُّمَانُ فِي جَبَلٍ

إِلَّا "وَحَلْحَوْلٌ" مِنْ تَيْهِ جُلْنَازُ<sup>(3)</sup>

لقد استخدم الشاعر مصطلحات تكاد لا تكون معروفة إلا لأهل القرى (أداحي) وهي جمع (دحو) وهو العش للشنار والذي يعرف بالحجل، (وعريشة) وهي ما يستند به كروم العنب ويصور الشاعر لنا حبات الرمان في مدينة حلحول (بالجنار)<sup>(4)</sup>، والصنوبر إنسان يهمس ويبوح بأسراره إلى النسيم فالخليل هي سماء وأجنحة الشاعر التي يخلق بها منذ رحيله، ويعود ليشرح الحزن ويجعله حديداً يقيده منذ خروجه من فلسطين، يقول:

دُنَى بِأَعْلَى الدُّنَى، مَا غِيْمَةٌ هَمَلْتُ

إِلَّا وَرَاعٍ تَسَاقَاها، وَمِزْمَارٌ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 184/3.

(2) الدَّلبَة: هي خربة في الجنوب الشرقي من دورا على طريق الخليل وفيها عين الدَّلبَة.

(3) الخطيب، م، ن، 184/3.

(4) الجنار: زهر الرمان.

وبالصَّنَوْبِرِ إِنْ هَسَّ (1) النَّسِيمُ بِهِ  
فُوحٌ، وَبُوحٌ، وَإِقْلَاعٌ، وَإِبْحَارٌ  
هِيَ الْخَلِيلُ، سَمَاوَاتِي، وَأَجْنَحْتِي

مُدَّ غَلَّتِي فِي حَدِيدِ الْحُزْنِ... أَيَّارُ (2)

وفي "مطالع جزائرية" يتواصل الشاعر مع التاريخ في المقولة الشهرية عند سقوط الأندلس "ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال"، (3) ربط الشاعر بين الأندلس المفقود ويافا المفقودة وجاء ليحكي لنا حكاية المكان مستعيناً بأسلوب الاسترجاع أتذكرت، يقول:

أَتَذَكَّرْتُ جَامِعَ الرَّمْلِ فِي يَافَا  
وَضِيئاً، وَفَيْئَةَ الْبِرْتَقَالِ؟!  
فِي جَبِينِ الْمِحْرَابِ مِنْ "خَيْبِرٍ" وَشَمِّ  
حَكَّتَهُ النَّعَالُ إِثْرَ النَّعَالِ  
أَتَذَكَّرْتُ !!.. فَاضْطَجَعَ فَيْئَةَ الذِّكْرِ  
تَفْصَدُ شِعْرًا، وَذُلُّ سَوَالِ

"وابك مثل النساء ملكاً مضاعاً

لم تحافظ عليه مثل الرجال!!" (4)

وتأخذ الشاعر أمواج من الحنين إلى قريته، ذلك المكان الذي لم تغب تفاصيله عن باله، ولكن حال قريته تغير بعد غيابه عنها، نراه يتكلم بصيغة الجمع لأنّ أنا الشاعر اندمجت مع الجماعة فحنينه لقريته كحنين أي فلسطيني، فما هو يسأل الريح وجماعات الصقور يسألها عن حالها، يبدأ القصيدة بالنداء، يقول: (مجزوء الوافر)

(1) هَسَّ: أخفى إليه الحديث.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 184/3.

(3) في هذه المناسبة يمكن القول إنّ أمير غرناطة لم يكن أميراً مهزوماً فقط، بل كان أميراً أخيراً، كما أنّ هزيمته لم تكن نبيلة مدوية، بل كانت امتهاً أسهم في صياغته هو بعد تنازله عن أبة الانكسار المحتوم، ليختار بدلاً عنها صورة المستسلم عن حماقة أوجين أو رضا، وهكذا سلم مفاتيح غرناطة إلى الملكة الإسبانية ليظل رنين هذه المفاتيح يتردد عبر الأزمنة، ينظر العلاق، علي جعفر، الشعر والتلقي، ص 110.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 157/2-158.

أَقْرَيْتَنَا... سَأَلْتُ الرِّيحَ إِنْ مَرَّتْ بِأَطْلَالِكَ

وَأَسْرَابِ الصُّقُورِ الْمُتَخِمَاتِ سَأَلْتُ عَنْ حَالِكَ<sup>(1)</sup>

سأل الشاعر وهو يعرف الإجابة، فالأرض أصبحت مقفرة حتى الطيور لم يطب لها البقاء في أرض القرية بعد هجرة أبنائها، يقول:

وَأَعْلَمُ أَنَّ رِوَايَةَ الطُّلُولِ حَدِيثُهُ مُرٌّ

كَذَلِكَ أَقْفَرْتُ خُضْرُ الرِّبْوَعِ، وَهَاجَرَ الطَّيْرُ<sup>(2)</sup>

لقد أصبح للكلام طعم ولكنه مر، بسبب ما حل بالمكان، حتى المكان يتكلم ويروي الحكايا بمرارة وغصة، ما كان من الشاعر إلا أن جسد المكان وأشركه في الرواية.

يكمل القصيدة ويشخص الزيتون بفتاة لها شعر طويل ترخيه على الدار، ذلك المكان الذي يجمع أهل البيت فيه، هذه الصورة الجميلة لاحتضان الزيتون للدار، فهو "يصور حزن الزيتون ويشركه بالشعور بالمأساة بكلمه "مرخيه"<sup>(3)</sup>، أصبحت الدار زكاما واستبدل الأشخاص بالأشباح، يقول:

تَظَلُّ جَدَائِلُ الزَّيْتُونِ طُولَ الْعَامِ مَرْخِيَّةً

عَلَى دَارٍ لَنَا فِي وَحْشَةِ الْأَطْلَالِ مَنْسِيَّةً

يُلُوحُ زُكَامُهَا الْمَهْجُورِ أَشْبَاحاً ضَبَابِيَّةً<sup>(4)</sup>

اعتاد الفلاح الفلسطيني قطف الزيتون في فصل الخريف لأن ذلك وقت قطافه، ولكن بعد خروجه من وطنه بقي الزيتون على أغصانه، ليسقط وحده بفعل رياح الخريف، وحقل التين بعد الهجرة أصبح ملعباً للجن، وأصبح المكان يعج بالرتاء والترانيم الحزينة، يقول:

وَفِيمَا يَسْقُطُ الزَّيْتُونُ، فِي الرِّيحِ الْخَرِيفِيَّةِ

بِلَا أَعْقَابِ قَنْدِيلٍ يَغْلُ سَنَا الْأَلُوْهِيَّةِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/249

(2) الخطيب، م. ن، 1/249

(3) أبو عيدة، أمل جمال، الخطيب حياته وشعره، ص 141.

(4) الخطيب، م. س، 1/249.

تَفِيضُ بُحِيرَةَ مَسْحُورَةَ الْأَضْوَاءِ فُدْسِيَّةَ

وَحَقْلُ التَّيْنِ، بَعْدَ البَيْنِ، مَلْعَبُ أَلْفِ جَنِيَّةِ

تَرْتَّمُ فِي مَحَارِبِ الدُّجَى أَصْدَاءَ مَرْتِيَّةٍ!!<sup>(1)</sup>

ومن الأماكن الحزينة في القرية الوادي، الذي قال عنه (واد اللوز)، وبنغمة سريعة يصور لنا حال هذا الوادي فكل ما فيه حزين، بل ويجعل من عناصر الطبيعة إنساناً يحس بحزن ويذوب حزناً، ويحن ويبكي، فالدوالي حزينة، والرياح تحرك الأجراس لتدق ناقوس الحزن أيضاً، يقول:

وَوَادُ اللَّوْزِ، لَا قُطْعَانَ، تَتَغَوَّ فِيهِ، لَا رُعيَانَ

دَوَالِيهِ تَذُوبُ أَسَى.. تَحْنُ إِلَى فَمِ عَطْشَانُ

وَفِي أَعْقَابِ عُمَرِ الصَّيْفِ يَكْنُزُ خَيْرَهُ الرُّمَانَ

وَتَحْتَ صَنْوِبِرَاتِ الدَّيْرِ، فَوْقَ طَحَالِبِ الجُدْرَانِ

تُدُقُّ الرِّيحُ، فِي الأَجْرَاسِ، كُلَّ جَنَائِزِ الإِنْسَانِ!!<sup>(2)</sup>

الأفعال المضارعة (تذوب، تحن، يكنز، تدق) أعطت الحركة والنغم السريع في هذه المقاطع.

يرى القارئ لهذه المقاطع ويتخيل أمامه كأن شريطاً يمر بسرعة ليرى هذه الصور، صور جميلة وبإسفة في الوقت نفسه، فالوادي جميل بأشجار الصنوبر واللوز والرمان، بائس بفقدان من يأكل هذه الثمار، لقد أدى" الانفعال الشعري المختمر هذا بنقل مركزية الفعل والحركة إلى الخيال، الذي تتجمع فيه الأشياء الحية والميتة والمتجاذبة والمتنافرة على غير نسق أو ترتيب، فيعمل على تركيبها وتنظيمها وإخراجها في صورة مكانية لمحة الإشارة".<sup>(3)</sup>

أحب الشاعر بعض المدن العربية، و ربط الشاعر بين فلسطين وبين بغداد، وكان لها بروز واضح في شعره فهي "دار السلام" ففي "موال بغدادي"، يربط الشاعر ما بين بغداد والجليل، ويأفا، عبر

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 250-249/1.

(2) الخطيب، م. ن، 1/ 251.

(3) الرباعي، عبد القادر، جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)، ط 1، عمان - دار جرير، 2009، ص 9.

محاورته للحمام ليسألها عن حالها، فالشخصيات هنا الحمام والمكان فلسطين والعراق والزمن الأصيل، يقول:

أَمِنْ دِجْلَةٍ يَا رُفُوفَ الْحَمَامِ،

وَدَارِ السَّلَامِ، وَغَابِ النَّخِيلِ؟..

أَمِنْ دِجْلَةٍ تَشْرُدِينَ عَلَى الرِّيحِ،

أَمْ مِنْ رِبُوعِ الْجَلِيلِ؟!...

كَأَيَّامِ يَافَا نَفَرْتِ،

(1) تَحُومِينَ مَذْعُورَةً فِي الْأَصِيلِ..

يوجه حوارهِ إلى ربوع العراق ليُحلفها إن كان الغناء فيها ما زال طيباً ومباحاً أم ماذا؟!، يقول:

أَمَاناً رُبُوعَ الْعِرَاقِ،

(2) أَمَا بَعْدُ فِي الرَّافِدِينَ يَطِيبُ الْهَدِيلِ؟!..

يكمل متسائلاً إن كانت الدماء تجري فيها سيولاً، والدموع تتهمل من عيون أهلها وربوعها، يقول:

أَتَجْرِي هُنَاكَ الدَّمَاءُ سُبُولاً

(3) وَتَهْمِي، وَتَهْمِي، الدُّمُوعُ..

ويشخص الصبح (يعطيه صفة) الحصان الذي يجفل، فالصبح يخشى أن يطلع على بغداد، وبقيت

ذكرى نيسان تُورق الشاعر، فكل طريق إلى الحرية فيه عدو يتربص بمن يحاول البحث عنها، يقول:

وَهَلْ أَجْفَلُ الصَّبْحُ عَنكَ

وَقَدْ آذَنْتِ شَمْسُهُ بِالطَّلُوعِ؟!..

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 339/1

(2) الخطيب، م.ن، 339/1.

وظَلَّتْ مَوَاسِمُ نَيْسَانَ

أحزانَ ماضٍ، وذكري ربيعٍ؟!..

وما زالَ في كلِّ دَرَبٍ،

إلى الصبحِ،

أفَعَى تَفُحُّ.. وذنبٌ يجوعُ!!<sup>(1)</sup>

### المبحث الثالث : الزمن

#### أولاً : مفهوم الزمن

والزمان لغة : هو " اسم لقليل الوقت وكثيره، ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن. ولقيته ذات الزمين، تريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال: لقيته ذات العويم."<sup>(2)</sup>

وذكر ابن منظور على لسان" قال أبو منصور الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها قال : وسمعت غير واحد من العرب يقول : أقمنا بموضع كذا وعلى ماء كذا دهرًا، وإن هذا البلد لا يحملنا دهرًا طويلاً، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل".<sup>(3)</sup>

ونستشف من هذا التعريف أنّ الزمان يقصد به: مدة معينة من الوقت يمضي في مكان معين، وهو أقل من الدهر، وقليل الوقت زمن، وقد يكون قليل الوقت شهر أو شهرين، أو فصل من السنة، وله مدة بداية ونهاية." وهو قطع في أثناء التسلسل الزمني المنطقي للعمل الأدبي ويستهدف استطراد يعود إلى ذكر الأحداث الماضية".<sup>(4)</sup>

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/340.

<sup>(2)</sup> الجوهري، الصحاح، مادة زمن. 6/272

<sup>(3)</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة زمن. 13/199

<sup>(4)</sup> علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.ط، بيروت - دار الكتاب العرب، الدار البيضاء، مطبعة المكتبة الجامعية، 1985، ص 97



في الزمن " أنه الوسيط الدائم في الأدب كما هو في الحياة"<sup>(1)</sup>، والإحساس بالزمن يكون "إحساساً نفسياً خالصاً يقاس بوقعه على النفس وتأثيره عليها، وأجمل منا قيل في الزمن هذا الشبح الوهمي المخوف الذي يقتفي آثارنا حيثما وضعنا الخطى بل حيثما استقرت بنا النوى، بل حيثما تكون وتحت أي شكل، وعبر أي حال تلبسها، فالزمن كأنه هو وجودنا نفسه".<sup>(2)</sup>

ويعتبر الزمن "عنصراً جمالياً أساسياً في الكثير من الفنون وهو قاعدة بنيوية رئيسية في تطور الحدث."<sup>(3)</sup>، وسأتناول الزمن عند الخطيب ضمن المحاور التالية: الاسترجاع الفردي والاسترجاع الجمعي، والاستباق والحذف .

## ثانياً : أقسام الزمن أولاً: الاسترجاع الفردي

الاسترجاع يعني "كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها"<sup>(4)</sup>، فالشاعر يترك الأحداث في الزمن الحاضر ليعود إلى الماضي بما فيه من أحداث وشخصيات وأماكن . والاسترجاع هو أحد الأساليب التي يبتكرها الشاعر، ويستطيع أن "يؤلف نوعاً من الذاكرة القصصية التي تربط الماضي وإيقاف للسرد المتنامي للعودة إلى الوراء"<sup>(5)</sup> وهو "التنقل في الشخصية بين الماضي والحاضر".<sup>(6)</sup> واسترجع شاعرنا في شعره أحداثاً وأماكن ومشاعر كثيرة، ففي قصيدة "جهتي تنكر الخيانة" يبدأ المقطع بالفعل كان، وذلك أن الوطن بالنسبة له أصبح حتماً يراوده لا يستطيع الوصول له، وهنا يسترجع بشوق وحنين بعضاً من صور الوطن، الوطن الجميل الهانئ، فالذكريات في كل مكان به، وهي في كل زمان في الضحى والمغيب، وتراه يحدث الرمال، وبناجي الأصيل، فالشاعر يتذكر وطنه في كل أوقات النهار والليل، يقول: ( الخفيف)

(1) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د.ط، الكويت -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998، ص200.

(2) الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، د.ط، الأردن - جامعة اليرموك، 1980، ص97.

(3) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، ص199.

(4) جينت، جيرال، خطاب الحكاية، ص51 .

(5) الجنداري، إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د.ط، دمشق - تموز للنشر والتوزيع، 2013، ص106.

(6) قصرابي، مها حسن، الزمن في الرواية العربية، د.ط، بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004، ص194.

كَانَ لِي مَوْطِنٌ يَرِفُ هِنَاءً

(1) فِي ضُلُوعِي، وَنَشْوَةٍ فِي وَجْيِي

لِي فِي كُلِّ خَطْوَةٍ مِنْهُ ذَكَرِي

وَعِنَاقٌ مَعَ الضُّحَى وَالغُرُوبِ

وَحَدِيثٌ إِلَى الرِّمَالِ، وَنَجْوَى

(2) لِلأَصِيلِ المُلْتَوِّنِ المَخْضُوبِ

جعل الخطيب من أوقات النهار أشخاصاً يعانقهم ويحدثهم ويناجيهم، فالزمن بالنسبة له ما هو إلا ذكريات جميلة وماضي لا يمكن الفكاك منه.

ويكمل مخاطباً (برتقالة الكوخ) سائلاً إياها عن طيف المحبوبة ويأتي بزمان آخر، وهو الليل (الظلام) ليسرد لنا كيف جاءت المحبوبة بخطى خفيفة خوفاً من أن يلمحها أحد، فطفولته أصبحت له رؤيا والرؤيا ربما تتحقق، وأحلام العودة هي كالفراش الذي يُلقى بنفسه في الضوء، يقول: (الخفيف)

أَيْنَ يَا بُرْتَقَالَةَ الكُوخِ مِيعَادِي

أَمَا تَلْمَحِينَ طَيْفَ حَبِيبِي

سَاعِيًّا فِي الظُّلَامِ يَخْطُو رَفِيقًا

بِالْحَصَى، خَشِيَةً انْتِبَاهِ الرَّقِيبِ

أَيْنَ رُؤْيَا طِفُولْتِي قُرْبَ سَيْلِ

وَعَلَى مُخْمَلِ الرِّيَاضِ العَشِيبِ

تِلْكَ أَحْلَامِي الصَّغِيرَةُ، أَسْرَابُ

(3) فَرَّاشٍ تَمَرَّعَتْ فِي اللَّهْيَبِ

وفي تذكره لفلسطين بعامة وبلدته بخاصة، نرى المكان والزمان، فالمكان هنا "دار الطفولة" والزمن هو الماضي، الذي يستحضره الشاعر ليبث الأمل في نفسه ويمنحها الطاقة، ففي حوار مع العندليب في قصيدة "العندليب المهاجر" يتذكر تلك الدار، يقول: (مجزوء الكامل)

عَهْدِي بَدَارِ طِفُولْتِي فِرْدَوْسُ أَحْلَامِ

(1) وجيبي: صوت خفقان القلب باضطراب ورجفة

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 99/1.

(3) الخطيب، م، ن، 99/1-100.

الشعرُ بعضُ ربيعها المُتفتِّحِ النامي  
وعلى دواليها ترنم ألفُ خيام  
أنشودةٌ هي، جُمعتُ من كلِّ إلهام  
من نايٍ راعيّةٍ، ومن أجراسِ أغانٍ  
وحفيفِ غابٍ، اختلاجةً جدولٍ هام<sup>(1)</sup>

لقد قام الشاعر بتجسيد صور الطبيعة، وإعطائها صفة الحياة، "فقد استمدت الصّور السابقة نبضها من عناصر الطبيعة لتعطي لنا لوحة فنية متكاملة تتم عن حس مرهف وشاعرية فذة".<sup>(2)</sup>

### ثانياً: الاسترجاع الجمعي

لقد سيطر على الشاعر الضمير الجمعي، فالذكريات عنده جماعية، هو دائماً ما يحدثنا عن همومه عبر هموم شعبه، ومن القصائد التي استرجع الشاعر بها قصصاً جماعية، "أغاني الهوى" يبدأها بالتذكر وإعادة الذكرى في ذهن المحبوبة، ويقول في مقدمة القصيدة " كيف يكون لسوري أو لبناني مثل هذا التراب ويطيب له مع ذلك الإغتراب، أي إغتراب"؟<sup>(3)</sup> فالوطن جميل بكل ما فيه من أنهار وطيور فالشاعر يتذكر أيام الحصاد ويذكر محبوبتهبها، فالنهر يحدث عن حبه والطيور يتعلم الشدو منه، كل ذلك كان في ربيع العمر، أي عمر الشباب، يقول: (المتقارب)

أما تذكرين أغاني الهوى  
على بيدٍ حالمٍ بالذرى  
وما حدتْ النهرُ عن حُبنا  
وما استلهم الطيرُ من شدونا  
وأحلامنا في ربيع السنين

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 196/1.

<sup>(2)</sup> أبو عيدة، أمل جمال، الخطيب حياته وشعره، ص 139.

<sup>(3)</sup> الخطيب، م.س، 115/1.

أما تذكيرين.... أما تذكيرين؟! (1)

يكمل بالاستعانة بالفعل الماضي (كان)، تلك الذكريات الجميلة، وكيف كان يحفر اسمه على الأرزة التي أينعت أوراقها من حب الشاعر، ما زال حبه مخضراً بخضرة أوراق الأرز التي لا تعرى أبداً ونلمح في هذا ديمومة واستمراراً لحيته الأبدية، ونلمح التكرار في القصيدة "أما تذكيرين" ليعتد الحياة في الذاكرة وينشطها وليشرك المتلقي ويلفت انتباهه الى القصيدة، يقول:

وكانت لنا أرزةً وحدنا

تلوح في البعد في المنحنى

حفرنا على ساقها الذكريات

وأغصانها أينعت حُبنا

وأحلامنا في ربيع السنين

أما تذكيرين.. أما تذكيرين؟! (2)

هذا ما بقي للشاعر من وطنه ذكريات يحملها في خياله، ويطوفُ بها محلقاً في سماء حبه لوطنه وأرضه التي رحل عنها مجبراً، وأحلاماً جميلة كانت محفورة على أشجار الوطن. وفي النشيد الثاني من "الطوفان"، جاءت الحكاية في المساء غير أن الشاعر لم يقل (في المساء) بل قال (كان المساء) فالزمن أصبح العنصر المتحرك في القصيدة، يشيع في أرجائه البكاء والعيول، يقول: (الكامل)

كان المساء تشيع في أرجائه

أنغام حذاءٍ شجيّ النوح ذاهلٍ (3)

هنا أطلق الشاعر العنان لخياله واصفاً عمق مأساته، لقد أصبحت الأوراق موتى تشيع جنازتها، يقول:

كجنازة الأوراق في شجن الخريف

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/117.

(2) الخطيب، م. ن، 1/117.

(3) حذاء: هو الذي يغني وراء الأبل ليقودها. ابن منظور ن لسان العرب، مادة (حدا)

(4) الخطيب، م. س، 1/166.

## على ضفافِ يَلْتَوِينِ بلا جداول<sup>(1)</sup>

يوظف عنصراً آخر من عناصر الدراما وهو الشخصية (الثعابين) رامزاً بها للعدو، الذي يترصد للفلسطيني ليناال منه، مشيراً للزمن (هو الليل) الذي ينسج خيمته من بكاء النساء الثكالي، لقد تأزرت الشخصية والزمن لرسم الصورة المأساوية لما حلّ بالشعب الفلسطيني، يقول:

كانت ثعابينُ الجليلِ تَفُحُّ مِلءَ دُرُوبِنَا،

والذعرُ ينبضُ في المفاصلِ

والليلُ ينسجُ في العشيّةِ خيمَةً

مَوْصُولَةً من كلِّ أسمالٍ<sup>(2)</sup> الثواكلِ<sup>(3)</sup>

جاءت ملامح المساء والليل وللثعابين مصورة لمظاهر الطبيعة، تتكاتف عليه وعلى أبناء شعبه، لتسبب لهم الألم، لا ويل لترقص على جرايحهم.

كل هذا لم يحرك ساكناً عند أبناء العروبة، بل أصبحوا هم الآخرين كالغيلان في الظلام، تنتظر من تسبب له الرعب، يقول:

وكلايُنَا ينبحنَ أطيافَ الهواجِسِ

في الظلامِ، ووهمِ غيلانِ الغوائلِ.<sup>(4)</sup>

تغير المكان وتغيرت الشخصيات، فالفلسطيني حلّ مكانه (اليوم) ويرمز به للعدو وأصبح الفلسطيني خارج وطنه، يقول:

وعلى ضفافِ شريعةِ الأردنِّ

حطَّ اليومُ ينبعُ فوقَ أغصانِ البلايلِ..<sup>(5)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 166/1.

(2) أسمال: الثوب البالي.ابن منظور، م . س، مادة (سمل )

(3) الخطيب، م . س، 166/1.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 167/1.

(5) الخطيب، م ن، 167/1.

وتتم الحكاية بالبكاء على الأرض المفقودة، وعلى فراق الأحبة هنا أدرك المهجر عن أرضه قيمة التراب، أدرك حنينه إليها " وهناك فرقٌ بين الحنين الفلكلوري المجاني، والمعاناة الفعلية، وثمة أيضاً درجات للمعاناة والحساسية لا يمكن أن تساوي بين مقتلع من أرضة بالقوة ومنفي مؤقت".<sup>(1)</sup> وبعد أن أصبحت المنازل والمزارع كئيبة، يقول:

دمعٌ.. وألقينا وداعَ الراحلين  
على مزارعنا الكئيبة والمنازل  
ولقد عرفنا أي حزنٍ عبقرِيٍّ  
يومذاك تُحسُّه أضلاعُ راحلٍ  
فإذا بنا، قَبِلَ النوى المشؤومِ،  
نحتفنُ الترابَ بكلِّ راعِشةِ الأناملِ  
للثأر .. للذكرى.. تُرابك..

يا فلسطينَ المخاضِ، ومُرضِعِ السُّمْرِ البواسلِ..<sup>(2)</sup>

يصب الشاعر جام غضبه على من فرط في القضية، وجعل نفسه وأبناء شعبه غنماً تسير وجعل من الزمان بشكل عام قحط لا خضرة فيه، فالراعي كالذئب يدعو على فريسته ويأكلها لقد سار الشاعر على هدي النجوم يتذكر التاريخ الماضي ويبكي عليه، يقول:

سِرنا على هدي النُجومِ، نُسامرُ التاريخَ

وَهُوَ يَفْضُ أسفارَ الأوائِلِ

غَنماً على قَحْطِ الزمانِ...

رُعاتُها = ذُوبانُها..

تقسيم مَقْتولٍ، وقاتلٍ!!...<sup>(3)</sup>

(1) المناصرة عز الدين، جمرة النص الشعري، ص 249.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 167/1.

(3) الخطيب، م. ن، 167/1.

عمد الشاعر إلى رواية حكايته باستخدام الرموز "والواقع أن الرمز في الشعر ليس إلا وجهها من وجوه التعبير بالصورة".<sup>(1)</sup> الواضحة (فالليل، الثعبان، اليوم، هم أعداء والحكام، ذئاب)، والشعب هو الفريسة المرتقب سقوطها لينقضوا عليها.

وفي "أغنية انتصار لطرواده" يسترجع الشاعر أحداثاً حصلت في الشام عام(1957)<sup>(2)</sup> في ذلك المساء الذي كادت الشام تسقط بيد الأعداء فيوم العدوان على دمشق لا يماثله يوم، ولم يُصب بمثله مُصاب، وكأن المساء لم يُطل على دمشق قبل ذلك اليوم، فالزمن هنا(قبل اليوم، المساء) يقول :  
(الرجز)

كَأَنَّ قَبْلَ الْيَوْمِ لَمْ يَغْمِ عَلَى مَدِينَةِ مَسَاءٍ

النَّهْرُ ضَاعَ مِنْ لَهَا تِهِ النَّشِيدُ

لا شاعرٌ هناك يسأل الضفافَ مقطعي غناءً..<sup>(3)</sup>

تكاثف كل ما في الشام من أجل الدفاع عنها، فالبرغم من ضعف المآذن ونحالتها إلا أنها شامخة تدعو وتبتهل إلى الله أن يبعد هذا الكرب، يقول:

كَانَتْ تَمُدُّ عُقْمَهَا شَجِيَّةَ الدَّعَاءِ

مآذن الشَّامِ

كَأذْرِعِ نَحِيلَةٍ تَلُوْحُ فِي الْغَمَامِ..<sup>(4)</sup>

لا شيء يقي من العدو، فالقلاع لا تحمي والحصون لا تمنع الخطر، والبروج ليس لها سبيل للدفاع والطيور لم تستطع العودة، بل ظلت تائهة في سماء المدينة، لقد جعل الشاعر من العدو طاعون يتنفس في فضاء الشام ولا بد من قمعه، يقول:

لَوْنُ النُّجُومِ حَالٍ

ضَلَّتْ الطِّيُورُ فِي مَتَاهَةِ السَّمَاءِ

فلا البرُوجُ.. لا القِلاعُ.. لا الحُصُونُ

(1) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، ص195.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 267/1.

(3) الخطيب، م،ن، 271/1.

(4) الخطيب، م،ن، 271/1.

تقي، إذا تنفّس الطاعونُ في الفضاء!!..<sup>(1)</sup>

"يقال النص الفني الشعري الرفيع والسامي يكشف عن نفسه بنفسه، فيه دلالاته ومغزاه من داخل بنية تشع دلالاته الفكرية والفنية لتمنح الوجود الإنساني بعداً جمالياً قائماً على الدهشة والسّمو والابتكار".<sup>(2)</sup> هذا ما قيل في شعر يوسف الخطيب وهذا ما نلمحه في أغلب قصائده، فهو يعبر عن همّ وحزن دفين في نفسه ونفوس أبناء شعبه، وذلك عند تذكرهم لكل مصيبة وكارثة حلت بهم وكأن أيامهم وشهورهم أصبحت رموزاً للمآسي والأحزان، في قصيدة "بالشام أهلي والهوى بغداد" المقطوعة<sup>(3)</sup>، يعود بنا الشاعر إلى الوراثة ثمان وستين سنة، إلى ذلك المكان الذي أصبح رمزاً للمأساة وهو قرية "دير ياسين"<sup>(4)</sup>، وكعادته لم يسرد لنا أحداث القصة بأسلوب مباشر، بل أصبح للشاعر "طاقة تحويلية" مدهشة، حيث يتحول دم الشهداء إلى عليقة مشتعلة، "العليقة هذه النبتة الكائن في الواقع باعتبارها مفردة من مفردات الطبيعة الحية، تتحول من خلال عملية التخيل إلى كائن فنيّ جمالي مدهش وساحر، أي يتحول التفصيلي العادي والمألوف إلى الجمالي المدهش واللا مألوف"<sup>(4)</sup>، يقول: (الرجز)

كَانَ وِرَائِي .. دَمُهُمْ .. فِي دِيرِ يَاسِينَ ..

أَظَى عُلَيْقَةً

تَشْتَعُلُ الشَّمْسُ عَلَى عُصُونِهَا

تَغْرُلُ مِنْ أَسَى جُفُونِهَا .. عَبَاءَةَ الشَّفَقِ،<sup>(5)</sup>

ففي الليل انتشع الشاعر بدمهم وأخذ يطارد الصباح، متخذاً الحلم والأرق صاحبين له، فالليل والصباح زمانان متقابلان جعل منهما الشاعر عنصرين مهمين للحكاية، يقول:

لَيْلَةٌ أَسَلَمْتُ عَبَاءَتِي الرِّيحَ

وَأَتَشَحَّتْ دَمَهُمْ أَطَارِدُ الصَّبَاحَ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/271.

(2) حسن، ناهض، الخطيب، ذاكرة الأرض، ص20.

(3) دير ياسين: قرية فلسطينية تم تدميرها بتاريخ 1948/4/9م حيث قامت قوات الهاجانا الصهيونية بقتل ما يزيد على مئتي شخص من سكانها.

(4) حسن، ناهض، الخطيب، ذاكرة الأرض، ص 20.

(5) الخطيب، م.س، 3/137.



وَاتَّخَذْتُ صَاحِبِيَّ..الْحُلْمَ.. وَالْأَرْقَ (1)

لقد تنازل الشاعر عن القتال بالسيف وعده قتالا لا فائدة منه، وأخذ على نفسه العهد بالانتقام لهم عن طريقة الكتاب فقلمه الضلوع، وراح يستصرخ المعتصم في الأمة العربية، ولكن ما من مجيب لقد صُمّت آذان العرب، وأُغلقت عيونهم وكأن شيئاً لم يكن، يقول:

خَلَيْتُ سَيْفِي .. صَدِئاً .. مَكَائَهُ

مُلَقَى عَلَى هَيْكَلِهَا الْعَظْمِيِّ

شَارَةَ الرَّجُوعِ

وَانْتَزَعْتُ مِنْ أَسِنَّةِ الضُّلُوعِ

رَأْسَ قَلَمٍ

كَتَبْتُ عَهْدَهَا بِهِ .. سَأَنْتَقِمُ ..

وَوَظَّلَ خَلْفِي .. دَمُهُمْ ... يَصِيحُ بِي

أَنْ أَسْبِقَ الرِّيحَ إِلَى خِيَامِ مَازِنِ (2)

وَأَنْ أَدُقَّ بَابَ الْمُعْتَصِمِ (3)!!.. (4)

لقد تناص الشاعر مع التاريخ، "وجعل بواباته الناصعة ملاذاً في عصر الانكسارات والضياع فكانت خيام مازن، وباب المعتصم، وغار حراء، إشارات إلى توهج حضاري سابق تتحرك قبالته "دير ياسين" (5).

وفي قصيدة "المدينة الضائعة المفتاح" يفتتح الشاعر قصيدته بالفعل (كان)، ليصف لنا المكان (الدلتا) قبل المجزرة، فالمكان آمن وهادئ والعصافير تغرد، والزغاليل ترقد بسلام آمنة، ولكن ماذا حل بهذا المكان في ذلك الزمان، يقول: (الرجز)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 137/3.

(2) خيام مازن: هم بطن من بطون العدنانية وتكونت منهم القبائل العربية ويذكرهم تكون الفروسية العربية فتلك القبائل هي من فتحت أفريقيا ومصر والمغرب.

(3) المعتصم، هو ابن هارون الرشيد ثامن الخلفاء العباسيين، كان شجاعاً وقوياً، ومن أشهر المعارك التي خاضها فتح عمورية

(4) الخطيب، م . س، 137/3.

(5) أبو عيدة، أمل جمال، الخطيب حياته وشعره، ص123.

كان نيسانُ على الدّلتا..زغاليلَ

وأعشاشَ حَديقةً..

كانَ أسرابَ حَساسينَ

على بَرِيَّةِ الشَّامِ طليقةً..<sup>(1)</sup>

يسترجع الشاعر أحداث (دير ياسين) ليربطها بأحداث "بحر البقر"<sup>(3)</sup> في مصر ويأتي الزمن متنوعاً بتنوع الجرائم المرتكبة بحق الشعوب، لقد ذكر التاريخ "الزمن الحقيقي للمجزرتين وهو زمن واقعي الثامن من نيسان والتاسع منه في سنوات متفرقة، ولكن النتيجة واحدة القتل والتشريد حدث ذلك في وقت الضحى، يقول:

كيفَ أضحى ..ليلةَ التاسع ..

في أوديةِ القدس، ثعابينَ ..

وفي الثامن ..

في جلبابِ النيلِ ..حريقه؟!..<sup>(4)</sup>

---

<sup>(1)</sup>الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 274/2 .

<sup>(3)</sup> بحر البقر: تم قصف جوي اسرائيلي لمدرسة بحر البقر بمحافظة الشرقية بمصر، أثناء حرب الاستنزاف بتاريخ 1970/4/8 واستشهد فيها ثلاثون طفلاً ودمرت المدرسة بالكامل.

<sup>(4)</sup> الخطيب، م . س، 274/2.

### ثالثاً: الاستباق:

"وهو" يتمثل في إيراد حدث آت، أو الإشارة إليه مسبقاً، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث". (1)

في قصيدة "نغم لم يتم" يستشرف الزمن المستقبل، حيث يستشرق الشاعر حاله في المساء، عند عودة الطيور إلى أعشاشها ليروي لنا ما سيشرع به ويعانيه، وهو يهيه نفسه لاستقبال هذا الزمن، يقول:

في الأمسيات..

حين تجنح الطيور عبر ساحة الشفق

لا عش لي..

وحين يظمأ السراج في الدجى إلى رمق

لا كأس لي..

فأنشد العزاء في الحروف تأكل الورق. (2)

يهرب الشاعر من أحزانه وآلامه إلى الكتاب فتراه يجعل الحروف شيئاً مادياً يأكل الورق. بعد أن كان يائساً مكتئباً عليه هالة الحزن في المساء، تراه ينفذ عن نفسه هذا الحزن في الصباح ويهيه ذاته إلى نسيان الهواجس وعدم الاكتراث بالدنيا، ورفض الذل والموت كالعبيد يقول:

حتى يكذب الصباح

كل ما روت هواجس الأرق

فلن تعز كسر الحياة

إن نضحت دونها العرق

ولن أموت عند نعلك الحفي بالعبيد

يا قدر!!!... (3)

(1) المرزوقي، سمير، جمي شاكور، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، دط، بغداد - دار الشؤون الثقافية العامة، 1986، ص76.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 264/1.

(3) الخطيب، م، ن، 256/1.

ونلمح الأمل عند الشاعر في استشرق الغد عندما نادى على رفاق النضال، ودعاهم إلى الثورة ولو كانت العظام هي الحطب الذي سيشعل النار، كما يدعوهم إلى عدم ذم الزمان لأن الزمان هو من له الحق بدمنا ومعائبتنا، وبهذا نرى الشاعر يستيق الحدث من خلال الزمن (الغد) ويستخدم كلمة الزمان بشكل عام وهنا تعني الماضي، بدلالة عدم العتاب ذلك أن الإنسان لا يعاتب بشيء حدث ومضى، يقول:

يا أيها الرفاقُ..

أشرعوا الحياة للغد الذي اقترب

من أين نُشعلُ الدُجى

إن نحنُ لم تكن عظامنا الحطبُ

يا أيها الرفاقُ لا تعاتبوا الزمانَ،

بلْ له العتابُ!!<sup>(1)</sup>

الإنسان الإيجابي هو من ينظر إلى الغد ويسعى إلى تغييره، هو من يضيء الشموع ولا يلعن العتمة ، ولا يقف مكتوف الأيدي يبكي ويشكو القدر، فالمستقبل بيده، هو من يقرره، يقول:

نحنُ الذين نَفْعُرُ الأكفَّ

قانعين بالذي وهبُ

نحنُ الذين نعرفُ الشكَاةَ دائماً،

ونجهلُ الغضبُ

ونؤفدُ الشموعَ.. نحرُقُ البخورَ..

عندَ مذبحِ القَدَرِ!!<sup>(2)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 265/1.

(2) الخطيب، م. ن، 265/1.

وفي قصيدة "شثيمة" يفتتح قصيدته بـ "غدا" ليستبق الأحداث وليتنبأ بعمل الأجيال اللاحقة تجاه من تخاذل ونسي القضية، فالجيل الآتي سيلعنهم بكل خطوة من خطاه، فكل ما حلّ بالشعب وأبنائه هو نتيجة التخاذل وعدم الثورة والمطالبة بالحقوق، يقول: (مجزوء الوافر)

غداً، يا جيلنا الآتي  
تَضِلُّ خُطَاكَ، فَالْعَنَّا  
على أجدائنا العَفَنَاتِ  
قَمِّ ما شِئْتَ، فَالْعَنَّا  
لأنَّ الشُّوكَ في قَدَمَيْكَ،  
من أَعْقَابِ ما كُنَّا<sup>(1)</sup>

يؤكد الشاعر في هذه القصيدة على مبدأ المقاومة والتضحية بالدم، وعدم الموت سد دون مقاومة، حتى يأتي المستقبل "الغد" القادم مشرقاً وملوناً ولكن هيهات، لما يدعو له، يقول:

فلو أنا نُرِيقُ دِماءَ قَتَلانَا  
مُواجِهَةً من العَيْنينِ، والصدرِ  
وَلَوْ أَنَا وَهَبْنَا الجُرْحَ قُرْبانَا  
فَمِنْ أوصالِنَا، بِرِغابِنَا، يجري  
لَزَيْنَا الغَدِ العَرَبِيِّ ألوانا ..  
ولكنَّا نموتُ سُدَى... مِنْ الظهرِ!!<sup>(2)</sup>

وفي "نفير البعث" على لسان العراق يرى المستقبل مشرقاً بالحرية والنصر، مستقبلاً مضيئاً ذلك أنّ حزب الشاعر حزب البعث لبي نداء بغداد، وسيجعل الأرض لظى تحت أقدام العدو وبعبارات دالة وموحية نسج قصيدته، مع نسجه لأحلامه لقد جسد الشاعر العبارات، فالحلم ثوب منسوج، والشقاء شرايين تنزف دمعاً ودماءً: يقول:

أنا في قَرارِ الليلِ، أنسجُ، لم أزلْ حُلْمَ الضياءِ  
حُلْمَ الغَدِ الضاحي يَرِفُ على جُفونِ الأبرياءِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 341/1.

(2) الخطيب، م. ن، 341/1.

النازفينَ الدمعَ، والدمَّ، من شرايينِ الشَّقَاءِ  
أنا كاظِمُ الغيظِ الدفينِ، وفي صَبْرِ الأنبياءِ  
أَتَوَعَّدُ الطاغِي.. ويوماً سوف يَجْمَعُنَا لِقَاءٌ<sup>(1)</sup>

العراق لن تظماً سيسقيها الشاعر غيثاً من دماء المناضلين، وسيضاء دريها بنار أشعلت من لهيب  
الدماء، هذا الحلم والأمل لا بد أن يتحققا لا محالة، لمن يؤمن بالنصر ولو كان ثمنه الدماء يقول :

لن تظمأي يا دارَ السلام، وألفَ لبيك الفداء  
وتغيثي دمنًا، جمامَ الكأسِ، واسقينا الرجاء  
هذا وقودُ الصُّبحِ، نُشعلُ من لظى دمنًا ذكاءً  
كي تعبّرَ الأجيالُ للغدِ دريها الحرَّ المضاء  
ويشيعُ ضوءُ الفجرِ ملءَ عيونها العُبرِ الظَّماءِ  
مشدودةَ الأعناقِ، والأحداقِ، لفتةً كبرياءً<sup>(2)</sup>

استطاع الشاعر أن يكسر الحاضر ويخرج إلى الزمن المستقبل، علّه يجد حُلْمه فيه ذلك الحلم  
المفقودة في زمنه الحاضر، والقصيدة جمعت بين عناصر الدراما (المكان والشخصيات) لتتفاعل مع  
بعضها .

ومن الأمثلة على الاستباق قصيدة "الباب المفتوح" حيث بدأها من نهايتها وهو غياب الأب عن أبنائه  
باحثاً عن لقمة العيش، "وأية خيبة إنسانية مليئة بالمرارة تبعد الإنسان عن أحب الناس بسبب الكفاح  
من أجل الحصول على الحد الأدنى من الكرامة الإنسانية "لقمة العيش"<sup>(3)</sup>، يقول:(الرجز)

وَجْهٌ أَبِي غَابَ، فِي رِغَابِنَا

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 221/1.

(2) الخطيب، م . ن، 221/1.

(3) حسن، ناهض، الخطيب، ذاكرة الأرض، ص92.

نَلْمَحُهُ، وفي سُدى سَرَابِنَا

يَأْتِي، وَلَا لُقْمَةَ فِي جِرَابِنَا

لَكِنُّهُ يَخْجَلُ مِنْ عِتَابِنَا

(1) فَيَسْرُحُ اللَّيْلُ وَرَاءَ بَابِنَا!!

يعود الأب في الليل إلى داره لكنه يخجل من مواجهة أبنائه، ذلك أنه لا يحمل ما يقوتهم من طعام فيعود وقلبه مكسور، وأي حزن يصيب الأب الذي لا يؤمن لأبنائه أدنى حد من الكرامة، يقول:

يَأْتِي لَنَا فِي اللَّيْلِ خَطْوُهُ الضَّرِيرُ

الْلَاهُثُ الْكَابِيَّ أَمَامَ كُلِّ نَيْرِ

يَجِيئُنَا، يَمْسُحُ لَعْنَةَ الْمَسِيرِ

لَكِنَّ شَيْئاً فِي جِدَارِنَا الْفَقِيرِ

يَصُدُّهُ.. يُوَجِّعُ قَلْبَهُ الْكَسِيرِ (2)

حفلت هذه القصيدة بالأزمنة المختلفة، وكان لكل زمن فيها أثره النفسي في نفس الشاعر، ونراه يشبه الأب بالنملة العمياء الباحثة عن طعام لتخزنه في فصل الشتاء، أطفاله يتمنون عودته حتى لو كانت عودته خائبة، وحتى لو لم يحصل على أي قوت، يقول:

كَنَمَلَةٍ عَمِيَاءٍ فِي أَيَدِي الدَّرُوبِ

رَاحَ أَبِي وَرَاءَ رِزْقِنَا يَجُوبُ

لَوْ حَفَنَّا قَمْحَ، بِيَادِرِ السُّهُوبِ

لَوْ دُونَ غَلَّةِ الشِّتَاءِ، لَوْ يُوُوبُ

أَوَّاهَ مَا أَغْنَى، وَأَبْخَلَ، الْجَنُوبِ (3)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 302.

(2) الخطيب، م. ن، 1/ 303.

(3) حسن، ناهض، يوسف الخطيب، ذاكرة الأرض، ص 95.

يستخدم أسلوب الحذف ليكمل لنا قصة الأب فيقول "صيفان"، أي سنتان يختصر فيهما احداثاً لم يعلم ما حلّ بالأب فيهما، ولا كيف حاله، ولا يُعرف هل من أهل الأرض أي من هم فوقها أم هو ميت؟، وإن كان قد مات فهل بكاه أحد؟ ووضع له ضريحاً يؤيه، أم بقي متروكاً بلا قبر، يقول:

صَيْفَانِ .. لَمْ يَمُرَّ مَوْسِمٌ شَحِيحٌ

أَيْنَ يَحُومُ، أَمْ تَرَاهُ يَسْتَرِيحُ !!

أَمْ يَرْفُدُ الْآنَ عَلَى فَلَاحِ شَيْخٍ

مُلَقَىً وَلَا نَائِحَةً وَلَا ضَرِيحُ

رداؤه البالي نثارُ ألفِ ريحٍ !!<sup>(1)</sup>

ويكمل متسائلاً متفائلاً لعل والده جمع المال لكي يعود إليهم، هازماً الأوقات متفوقاً على النوم فطيور الصيف المهاجرة عادت إلى مساكنها وهاجرت مرة أخرى، يقول:

صَيْفَانِ .. طَيْرُ الْهَجْرِ مَرَّتَيْنِ عَادَ

هَلْ أَمَحَلَ الثَّرَى ..؟ أَمْ أَكْثَرَ الْجَرَادُ !؟

لَعَلَّةَ الْآنَ يُغْدُ فِي الْوَهَادِ

يَهْزُمُ نَوْءَ الشَّمْسِ، يَطْرُدُ السُّهَادَ

يُلْقِي يَدَيْهِ فِي كُنُوزِ سِنْدِبَادٍ !!<sup>(2)</sup>

لقد أصبحت رؤية الأب بالنسبة لأبنائه حلماً كسقوط المطر في الصحراء، أي هو أقرب للمستحيل ويرسم لنا صورة حزينة من واقعه، عندما يتواصل مع القصة التاريخية (عمر والمرأة) التي تغلي الحصى بالقدر، فالعائلة والصغار جوعى، ينتظرون الطعام وعودة الأب، ولكن في الحكاية نار وقدر وحصى وليس فيها عمر، يقول:

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 303/1.

(2) الخطيب، م.ن، 304/1.



وَجْهٌ أَبِي وَعْدُ الشِّتَاءِ لِلْقَفَازِ  
وَلَمْ تَزُلْ قَدْرٌ لَنَا، بِدُونِ نَارِ  
تَغْلِي الحَصَى لِجُوعِ إِخْوَتِي الصِّغَارِ  
وَبَابُنَا عَيْنٌ يَشُدُّهَا الجِدَارُ  
على مسالكِ الجنوبِ.. في انتظار<sup>(1)</sup>

وفي قصيدة "الباب المفتوح" جاءت لتروي لنا حكاية شعب بأكمله، تنتظر وانتظر العودة دهرًا طويلًا لقد حُرِمَ الأبناء من آبائهم، وكذلك الآباء حرّموا من أبنائهم، ولم يستطيعوا الحصول على أبسط حقوقهم، لقد عبرت القصيدة عن الأحزان والآلام التي كانت تدور في خلد الشاعر.

#### رابعاً : الحذف

"يُعد الحذف من الآليات الزمنية التي تُسرّع السرد، حيث يقفز السارد عن فترات مختلفة في طولها وقصرها، متجاوزاً بذلك أحداثاً ووقائع، فهذا يسكت السارد عن تناوله للفترة المحذوفة، ويشير إلى الفترة الزمنية المحذوفة"<sup>(2)</sup>. والحذف "حذف محدد" أم غير مشار إليها (غير محدد)<sup>(3)</sup>.

ويظهر الحذف في العديد من قصائد الشاعر "يوسف الخطيب" كقوله (منذ تشرين) و(منذ آلاف السنين) ومن أمثلة ذلك قصيدة "العيون الظّماء للنور" يذكر الشاعر مدة الحذف وهي " منذ تشرين"، وهنا يختصر الشاعر عدة أشهر ما بين تشرين وآذار في أبياته، ليظهر حال الشعوب ما بين تلك الشهور، فالسماء يعلوها الضباب، ربما أراد الشاعر في هذا المقطع أن يبين أفعالاً يقوم بها الفلاح في هذا الشهر، من حراثة الأرض وبذرها، ولكنه ينتقل مباشرة إلى شهر آخر وهو آذار، الذي تكون الأرض قد انبتت وتفتحت الأزهار، وأخذت الأرض زينتها من كل الألوان، يقول: (مجزوء الخفيف)

منذُ تشرينَ والضَّبَابُ سِتَارُ

والمحارِيتُ، والضَّنَى، والبِذَارُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 304/1.

(2) الشياب، صدام علاوي، البنية السردية في شعر ممدوح عدوان، ص 86.

(3) جينيت، جيرال، خطاب الحكاية، ص 117.

يا شعوباً تشرئبها آذاز!!<sup>(1)</sup>

تعاونت شهور السنة على الفلسطيني، لتجعل من وطنه وطناً للغرباء يعيثون فيه الفساد، فبعد أن كان نيسان بدايةً للدفع والحصاد، أصبح موسماً للغربان وعنواناً للمجازر، يقول:

مالنا مَوسِمَ دَفِيءِ الحنانِ

نرتجيه على يدي نيسانِ

صارَ نيسانُ مَوسِمَ الغربانِ

من دُموعي سَقَيْتُ هذي السنابلِ

فاحصديها لسَيدي يا مناجل!!<sup>(2)</sup>

يكمل باستخدام الحذف مرة أخرى بقوله "يا ليالي الشتاء"، طالباً منها أن لا تستبيح دموع الأطفال والثكالي، ويصورها بإنسان يبكي ولكن لا داعي للبكاء، لأن هذي الدموع غزيرة تكفي لري الأرض يقول: (الخفيف)

يا ليالي الشتاء، لا تسفحي الدمع

غزيراً، فالدمعُ فينا غزيرُ

من مآقي أطفالنا، وثكالاتنا

شِتاؤ، فكلُّ يومٍ مطيرُ<sup>(3)</sup>

يحشد الشاعر أزمنة مختلفة (كغد، يوم)، ليبين لنا دورة الحياة، وهي نظرة سوداء مظلمة ، لا أمل فيها غير ارتقاب الغد والخلص فيه، ومحاسبة كل ظالم على ظلمه، يقول: (الخفيف)

وغداً في الحصاد، في معبدِ الشمس،

ستكوى جباهنا والظهورُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 136/1.

(2) الخطيب، م . ن، 136/1.

(3) الخطيب، م . ن، 137/1.

هذه دَوْرَةُ الحَيَاةِ.. رَوَى سوّد،

وهذا ظِلَامُنَا المَخْمُورُ

لم نَزَلْ نَرَقِبُ الخِلاصَ، ولا بَدَّ

سِيَّاتِي بَعَثَ لَنَا، وَنُشُورُ

يَوْمَ نَمْضِي إِلَيْكَ أَيَّهَا العَاتِي

ويَوْمَ الحِسَابِ، يَوْمَ عَسِيرُ<sup>(1)</sup>

يستشرق المستقبل المضيء، ويعود إلى الماضي البعيد بقوله (وقديما) ليتذكر امتلاكه لهذه الأرض، فالأرض لنا نحن سادتها ولسنا عبيدها، يقول:

وقديماً كانت لنا هذه الأرضُ

ولسنا أقتانها يا أمير!!<sup>(2)</sup>

وفي قصيدة "الطوفان" النشيد الثاني، يجعل الحذف آلاف السنين، يختصر الشاعر أحداث هذه القرون بحدث واحد مهم، بقي في التاريخ له صداه، وهو (السبي البابلي)، ويذكر لنا اسم القائد الفارسي "نبوخذ نصر" علانية في القصيدة، وهو من سبى اليهود إلى خارج فلسطين وشردهم، وجعلهم عبيداً يهيمنون في كل مكان، يقول: (تدوير الكامل)

من ها هنا ..

من قبل آلاف السنين ..

على مدى تلك المفاوز والمجاهل

كانت جهات الأفق تزخر من "نبوخذ"

بالسبايا، والبيارق، والجحافل

نفس الطريق .. وعكسه ..

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 137/1.

(2) الخطيب، م. ن، 137/1.

أرأيت كيف تعودُ أَسْمِدَةً

أزاهيرُ الخمائلِ؟!..(1)

اليهود هم الذين لقبهم ب(غزاة يوشع) القائد من بني إسرائيل، الذي دخل فلسطين بعد النبي موسى عليه السلام، ما هم إلا عمال يصهرون الحديد من أجل أن يوضع بأرجلهم، ونساؤهم أصبحن ملكاً للفرس، يقول:

وَعُزَاةٌ "يُوشَعٌ" ..

يَصْهَرُونَ فَلَزَّ مَا سَلَبَتْ أَكْفُهُمُو

لِأَرْجُلِهِمْ سَلَاسِلُ

وَنِسَاءُ "إِسْرَائِيلَ" قَدْ حُتَّتْ جَدَائِلُهُنَّ

وَانشَقَّتْ عَنِ السُّوقِ الْغَلَائِلُ

مَا بَيْنَ ذُرْعَانِ الْجُنُودِ مَذَلَّلَاتُ اللَّحْمِ

قَدْ أَخْنَتْ عَلَيْهِنَّ الْكَلَاكِلُ (2)

تغير الزمن، وكذلك الواقع، ليصبح شعباً آخر مُساقاً لليهود مشرداً، وتكسر القيود عن أمة وتوضع بأيدي أمة أخرى، وليبقى سوط نبوخذ على عنق الفلسطيني، بفعل اليهودي، وليظهر لنا زمن آخر وحذف غير محدد وذلك عندما قال "سجوف الأمس"، يقول:

من ها هنا .. واسترسل التاريخُ

يُوقَدُ فِي سُجُوفِ (4) الأمسِ لَاهِبَةً المشاعلُ

وَيَظَلُّ يَغْمِرُنَا مِنَ الْوَتْرِ الَّذِي

يَسْتَنْقِفُ الْأَجْفَانَ حَبَّاتِ الحناظِلُ

فكأنَّ سوطَ "نَبُوخَذِ"

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 168/1.

(2) الخطيب، م . ن، 169/1

(4) سجوف: الستر، من السدفة والظلمة.

باقٍ على أعناقنا..

وعن الأفاعي الرُّقْطِ زائل!!<sup>(1)</sup>

صوّر الخطيب عن طريق الحذف واقع الفلسطيني المهجر من أرضه، من خلال ربط قصته بقصة السبي البابلي .

وفي قصيدة " نفيير البعث " بالغ الشاعر في الزمن المحذوف، وهو من "ألف عام" ليُخيل للقارئ أن تهجير الشعب الفلسطيني واتخاذ الخيمة مسكناً منذ ألف عام، وربما هذا نتيجة الأثر النفسي الذي عاناه الشاعر نتيجة غربته وارتحاله، وهنا تجمعت عناصر الدراما الزمان ألف عام والمكان الخيمة، والشخوص الشمس التي جسدها بإنسان يعانق كل الكون وينسى الشعب الفلسطيني وما بين اليأس والأمل جاءت أبيات القصيدة، يقول: (السريع )

مِن أَلْفِ عَامٍ وَالذُّجَى خَيْمَةً

أَحْيَاؤُنَا فِيهَا، وَمَوْتَانَا

كَأَنَّمَا الشَّمْسُ عَلَى دَرَبِهَا

تُعَانِقُ الكَوْنَ، وَتَسَانَا

وَرُبَّمَا أَلْمَهَا أَنْ تَرَى

بَعْدَ ثِيَابِ العَزِّ أَكْفَانَا

بَعْدَ الحِجَابِ السُّمْرِ مِنْ أُمَّتِي

نَوْمًا عَلَى الخَسْفِ، وَإِذْعَانَا

حَتَّى خَرَجْنَا مِنْ قُبُورِ الذُّجَى

نُؤْتَلُّ المَجْدَ الَّذِي كَانَا

لَمَّا نَفِيرُ البَعثِ دَوَّى عَلَى

أَجْدَاثِنَا العُغْبَرِ، وَنَادَانَا<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/169-170.

<sup>(2)</sup> الخطيب، م . ن، 1/216 .

هذه القرون الطويلة كانت عبارة عن ذل وهوان وإذعان للعدو، وهي بكاء على الماضي المجيد لفترة طويلة حتى احتدم نفي البعث، واستصرخ الأمة وناداهها من أجل الأخذ بالتأثر.

وفي قصيدة "الشرق والأصنام" جاء الحذف غيرُ محدد الزمن فالزمن في قوله "مذ جفاك الأحباب" خاطب الشاعر شخصا بعينه وهو الدكتور "محمد مصدق"<sup>(1)</sup> حيث اسقط الشاعر الحدث الرئيسي وهو ثورته ضد أمريكا ليركز على علاقته بأحابيه وعلى جزائه نتيجة ثورته، يقول: (الخفيف)

لَكَ فِي الْمَوْتِ سَلْوَةٌ وَعِزَاءٌ

مُذْ جَفَاكَ الْأَحْبَابُ، وَالْأَعْدَاءُ

أَنْتَ حُرٌّ، فَمَا يُضِيرُكَ مَوْتٌ

رَبِّ مَوْتٍ يَرْتَدُّ عَنْهُ الْفَنَاءُ

رُبَّ حَتْفٍ تَمَثَّلَ الْخُلْدُ فِيهِ

وَتَمَنَّى لَوْ ذَاقَهُ الْأَحْيَاءُ<sup>(2)</sup>

هذه المفردات (أحباب، أعداء، خلد، فناء، وأموات وأحياء)، استحوذت على القصيدة معبرة عن حال الشاعر وشعوره بالحزن على موت المناضل .

وفي "أغاني مارس" في قصيدة "المسيح والزنجية ماري"، جاء الحذف غير محدد، يقول: (الخفيف)

مُنْذُ كَانَ الْإِنْسَانُ فِي أَوَّلِ الْبَدْءِ

جَنِينًا، وَكَانَتْ الْأَشْيَاءُ

لَمْ يَكُنْ يَسْتَوِي النَّهَارُ وَاللَّيْلُ

فَكَانَ الدُّجَى .. وَكَانَ الضِّيَاءُ

نَحْنُ ضِدًّا خَلِيقَةً، لَا تَقُولِي

(1) محمد مصدق : (1882-1967م) وزير عدل إيراني ومحامي وحاكم لأذربيجان، ثار ضد بريطانيا وأمريكا فخلعته أمريكا وبريطانيا في عملية (أجكس).

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 89/1.

تَلِدُ الماسَ فَحْمَةً سوداءُ

جِبْهَتِي غُرَّةُ الصبَاحِ إِذَا هَلَّ،

وَحَذَاكَ مَا يُنْبِخُ المَسَاءُ

فاخفِضِي الطَّرْفَ عَن بُلُوغِ جَبِينِي

فَأَنَا العُرْ، مُفْرَدًا، والعلاءُ (1)

لقد أجرى الشاعر حواراً بين المسيح والزنجية وهنا إشارة منه إلى الرئيس الأمريكي "أيزن هور" (2)، ليقول له: أنه العربي صاحب الجباه البيض والعزّ والعلاء، ولا مقارنة ما بين غُرّة الصباح ودخول المساء، فالصبح مشرقٌ والمساءً مظلم معتم.

بعد استعراضنا لعناصر الدراما عند الخطيب، يمكن القول: أنه استطاع أن يسرد لنا العديد من القصص التي عايشها من خلال سرده لأحداث هذه القصص، عبر قصائده من خلال الحدث الصاعد والحدث الهابط، فركز على أحداث مهمة دون غيرها والتي تركت صداها عبر التاريخ من خلال الابتداء بالحبكة، حيث جاء بالحدث في بداية قصائده، واختصر أحداثاً كثيرة عندما ركز على حدث دون غيره وذلك في بداية السرد.

تنوعت الأماكن عند شاعرنا بتنوع حله وترحاله، وكانت الأماكن بالنسبة له إما مغلقة مثل الخيمة، وجاء بها بصورتها الايجابية والسلبية، وعند حديثه عن الأماكن الواسعة، كانت بالرغم من اتساعها، مقفلة ضيقة، لأن كل ما في الأرض لا يغني عن فلسطين التي ظهر مدى حبه وحنينه إليها، وبرزت مدن أكثر من غيرها في تلك القصائد، منها يافا، التي ظلت مدينة الحلم بالنسبة للشاعر، ولا ننسّ القدس والخليل، اللتين أحبهما الشاعر وتعلق بهما، وهناك بعض المدن العربية التي احتلت في قلبه مكاناً عزيزاً، كبغداد التي ربط بينها وبين مدن الجليل الأعلى.

وعند استعراضنا لعنصر الزمن في قصائد الشاعر، كانت الذكريات هي المحرك الرئيسي لقصائده وخاصة الذكريات الجمعية، لأن الشاعر لم يعالج همومه بعيداً عن هموم شعبه، بل اندمج فيها و عاشها لحظه بلحظة، وإن كان هناك بعض الذكريات الفردية الخاصة به، ولكنها ارتبطت بصورة أو بأخرى بذاكراته الجمعية.

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/286.

(2) ينظر: الخطيب، م. ن، 1/277-278.

الفصل الثّاني:

عناصر الدراما (2)

المبحث الأول: الشّخصيات

المبحث الثّاني: الحوار

المبحث الثّالث: الصراع



## المبحث الأول: الشخصيات

### أولاً: الشخصيات لغة واصطلاحاً

في اللغة : جاء في لسان العرب أن مادة (ش، خ، ص) تعني الإنسان أو غيره، لأن الشخص "جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد.. والشخص، كل جسم له ارتفاع وظهور"<sup>(1)</sup>.

وفي الاصطلاح: عرفها إبراهيم حمادة بأنها "الواحد من الذين يؤدون الأحداث الدرامية على المسرح في صورة ممثلين...، والشخصية هي مصدر الحكمة التي يمكن أن تتطور من خلال الأفعال والأقوال التي تصدرها الشخصية"<sup>(2)</sup>.

وتعد الشخصية من أهم العناصر في العمل الدرامي، "وهي اصطلاح يصف الفرد من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية والإدراكية، المعقدة التنظيم التي تميزت عن سواه"<sup>(3)</sup>.

ولا بد "لبنية الشخصية الدرامية ما يتصل ببنائها بناءً درامياً، وقدرة المؤلف على رسمها وتجسيد أفكارها وانفعالاتها؛ حتى تكون من لحم ودم، وهي محددة السمات تسلك سلوكاً يتناسب وطبيعتها"<sup>(4)</sup>.

وتعتبر الشخصيات "وسيلة المؤلف المسرحي لترجمة القصة، فهذه الشخصيات بما تقوم وبما تفعل... ويضطرم داخلها من حياة مكونة من عواطف، أفكار وأحلام وبما تشترك فيه من صراع المسرحية"<sup>(5)</sup>.

والشخصية تمثل "العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية"<sup>(6)</sup>.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش خ ص)، ص 45/7.

(2) حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، ص 156.

(3) رضا، حسين، الدراما بين النظرية والتطبيق، ط1، بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972، ص 351.

(4) ينظر: رضا، حسين، المصدر نفسه، ص 380-433.

(5) رضا، حسين، م.ن، ص 635.

(6) رضا، حسين، الدراما بين النظرية والتطبيق، 635.

وقد عُرفت الشخصية في علم النفس "بأنها نظام ثابت من الخصائص المعقدة الذي عن طريقه يمكن أن تتقن هوية نمط الفرد"<sup>(1)</sup>.

وقال فيها إبراهيم حمادة "بأنها الواحد من الناس الذين يؤدون الأحداث الدرامية في المسرحية المكتوبة، أو على المرزح في صورة الممثلين،"<sup>(2)</sup> والشخصية كما سنرى "من لوازم البناء الدرامي الأساسية فهي والحدث في كثير من الأحيان شيء واحد، فالحدث لا يتم إلا بها ومن خلالها ودوافع الحدث تكمن في باطن الشخصية، كما أن الشخصية عامل مسبب في الحكمة الدرامية، بالإضافة إلى الفكرة لا يتمثل إلا بين يديها وقد تكون غير مشاركة في الأحداث ولكنها قد تكشف عن موقف خاص من الحياة، وطريقة معينة في الاستجابة للتجربة،"<sup>(3)</sup>

### ثانياً: أنواع الشخصيات عند يوسف الخطيب

تميز الشاعر يوسف الخطيب بثقافته الواسعة، سواء في التراث الأدبي أم الديني أم التاريخي بشهادة العديد من الأدباء الذين عاصروه، لهذا جاءت الشخصيات متنوعة ومتعددة عند شاعرنا الذي جعل منها نافذته التي يطل بها على هموم شعبه أولاً، ثم على همومه ثانياً، فما عاناه الشاعر كشخصية رافضة للواقع السياسي، فرفضه جعل منه مطارداً خارج وطنه، فالأديب "أي كان اتجاهه لا يستطيع أن ينسلخ عن الواقع المادي والاجتماعي الذي يعيش في ظله"<sup>(4)</sup>، وهنا يبرز مأساة حرية الكلمة في البلاد العربية"<sup>(5)</sup>، لذا اتكأ الشاعر على شخصيات متنوعة لبث هذه الهموم و الآمال إلى قارئ شعره ومن هذه الشخصيات:

### أولاً: الشخصيات الرمزية

وظف الخطيب الشخصيات الرمزية في العديد من قصائده، ومن الرموز التي وظفها الشاعر النسر في "أسطورة النسر والخفاش" وفيها اتكأ الشاعر على رمز النسر ليبرز لنا شخصية ثائرة مناضلة هي شخصية "عدنان المالكي"<sup>(6)</sup>، هذه الشخصية التي نالت منها الأنظمة العربية بالتآمر على مقتلها.

(1) الجبوري، محمد محمود، الشخصية في ضوء علم النفس، د.ط، بغداد - مطبعة دار الحكمة، 1990، ص19.

(2) حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية، د.ط، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية، د، ت، ص 185.

(3) دوام، مجدي، البنية الدرامية في شعر المهجر، ص13.

(4) إدريس، سهيل، محاضرات عن القصة في لبنان، د.ط، لبنان - معهد الدراسات العالمية، 1957ص162.

(5) غنيم، كمال أحمد، المسرح الفلسطيني، ص525-526.

(6) وهو الركن العقيد الدمشقي الثائر، الذي تم تصفيته من خلال تفريغ مسدس في رأسه، من قبل عناصر الشرطة السورية وكان ذلك بعد خروجه من السجن، بعد أن مكث فيه بضعة أشهر، ينظر، الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 199/1.

وقد جمع الشاعر في هذه القصيدة بين رمزين متضادين وهما النسر ويرمز به للتائر، والخفاش ويرمز به للعدو، ففي وطن الشاعر هذان الرمزان المتضادان، فالخفاش طائر يعيش في الكهوف وفي الظلام، يقتات على فريسته في الليل حتى لا تكاد ترى منه شيئاً، هذه الخفافيش "العدو" هم محتالون، يقول: (مجزوء الرمل )

في بلادي خَدْرٌ يَعْقُدُ أَوْصَالَ النَّيَامِ

في بلادي .. لم تزلْ تأوي خفافيشَ الظلام

عبرَ كهفِ الليلِ، تختالُ على كلِّ حُطامٍ<sup>(1)</sup>

مقابل هذه الشخصية "الخفاش" هناك شخصية شامخة تأبى ألا تعيش في القمم المرتفعة، رافضة مقاومة للرياح أينما هبت، له السماء ملعب يسرح ويمرح فيه، له عينان حادتا البصر ترى من مكان بعيد يقول:

كَانَ فِي الْقِمَّةِ نَسْرٌ يُدْرِكُ النَّجْمَ عِلَاءَ

جَامِحٍ فِي مَلْعَبِ الْأَرْيَاحِ، يَرْتَادُ السَّمَاءَ

فِي مَدَى عَيْنِيهِ تَلْقَى عَالِماً رَحْباً مَضَاءً<sup>(2)</sup>

هذا النسر، التائر لم يقتصر نضاله على مكان واحد، بل يمتد ليصل الوطن العربي قاطبة ويصعد الشاعر بالأحداث ليبين لنا ما كان دور هذه الشخصية، يقول:

وهُوَ مِنْ عَلَيَّاهِ يُلْقِي عَلَى الْفِيحَاءِ ظِلَّةً

كَانَ يَرَعَى قِمَّةً شَامِخَةً الرَّأْسِ مُطَلَّةً

قِمَّةً شَمَاءً.. مِنْهَا يَتْبَعُ النَّيْلُ وَدِجْلَةٌ<sup>(3)</sup>

ترك النسر التائر الدنيا في شهر نيسان وقد كان شاباً صغيراً، وهنا أصبحت الغابة مستباحة للأعداء مرة أخرى، وقد استخدم الشاعر رمزاً آخر للعدو وهو الأفاعي والذئاب ولعل القاسم المشترك

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 201/1.

(2) الخطيب، م. ن، 202/1.

(3) الخطيب، م. ن، 202/1.

بين هذه الرموز هو الغدر، والاختباء في الجحور، فالذئاب والخفافيش لا تظهر إلا في الظلام، باحثة عن فريسة، يقول:

يا لَشَعْبِي، رِيَعَتِ الْقَمَّةُ بِالنَّسْرِ الْمُصَابِ

وَدَعَّ الْأَيَّامَ فِي نَيْسَانَ، فِي زَهْوِ الشَّبَابِ

فَإِذَا الْغَابَةُ نَهَبَتْ لِلْأَفَاعِي وَالذِّئَابِ<sup>(1)</sup>

قاوم البطل وناضل من أجل الحرية، حتى أثنى بالجراح ولا بد للجراح ممن يضمدها، ولكن من؟ الثوار هم من يضمّدوا جراح بعضهم، أراد الخطيب من خلال قصيدته أن "يوقظ فينا حياة جديدة"<sup>(2)</sup> حياة باحثة عن الحرية والنصر، يقول:

ذَلِكَ النَّسْرُ الَّذِي أَرَخَى عَلَى السَّهْمِ جِرَاحَهُ

بَعْدَ أَنْ خَلَّفَ فِي الْأَرْضِ، وَفِي الْجَوِّ، مَنَاحَهُ

ضَمَّدُوا يَا أَيُّهَا الثُّوَارُ، بِالْغَارِ، جِرَاحَهُ<sup>(3)</sup>

فعملية الرمز هنا" نابعة مما يرمز إليه، أو هو بالأحرى لا قيمة له مطلقاً إلا بما يبرهن على الفكرة، ويؤكددها، إن الرمز الفني تركيب لفظي أساسه الإيحاء بما يستعصي على التحديد والتقرير، وإن أهمية الرمز في صورته الأدبية بقدر ما هي في الزمن."<sup>(4)</sup>

ثانياً: الشخصيات الأسطورية :

لجأ الشعراء إلى الأسطورة "وجعلوها رافداً مهما لشعرهم الحديث، حيث وجدوا فيها (مورداً) سخياً للشعر، يجدون عن طريق معانيها الكثير من أفكارهم و مشاعرهم مستغلين ما في لغه الأسطورة من طاقات ايجابية خارقه ومن خيال طليق"<sup>(5)</sup> .

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 202/1.

(2) درو، اليزابث، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة: محمد الشوش، د.ط، بيروت - مكتبة شيحة، د.ت، ص 38 .

(3) الخطيب، م.س، 202/1.

(4) أحمد، فتوح، الرموزالرمزية في الشعر المعاصر، د.ط،مصر- دار المعارف، 1977، ص193.

(5) شعث، أحمد جبر، الأسطورة في الشعر الفلسطيني، د.ط،خانيونس- مكتبة القادسية، 2002، ص2.

وكما قال الشاعر عن أسطوره في مقدمة القصيدة "وبغير قليل من التأثير بأجواء هذه الأسطوره الإغريقيه وإيحاءاتها الملحمية المثيرة للشاعر الإنجليزي شيلي بوجه خاص".<sup>(1)</sup> جاءت القصيدة بعنوان "مشيئه الجبار" وهو (أسطورة البروميثيوس) " لقد صُلب على صخرة عاتية في جبال القوقاز، ثم أرسل له نسرًا ينهش كبده بالنهار، ثم يتركه بالليل فينمو، ويظل (بروميثيوس) فيما تقول الأسطورة يعاني هذا العذاب سنين طويلة حتى ظهر من سلالة البشر بطل عملاق، هو هرقل الذي صوب للنسر من قوسه سهماً أرداه قتيلاً"<sup>(2)</sup>، ولكن الخطيب لم يُرد لأسطوره أن تبقى مقيدة، بل أطلقها من قيدها وبيداً القصيدة بضمير المتكلم أنا ويخبر عنه بكلمة مشعل، أي الضوء الذي لا ينطفئ، يقول:(الكامل )

أنا مشعلٌ، أنا مارحُ جبَّارُ

لا الريحُ تُخمدني، ولا الإعصارُ<sup>(3)</sup>

هذا المارح سيحرق عدوه ويمد السنة اللظى المشتعلة، وسيوقد النار حتى ينجلي الليل،: يقول:

سأمدُّ في الآفاقِ السنةَ اللظى

حُمرًا، لها في الخافقين أوارُ<sup>(5)</sup>

ولأحرقنَّ الليلَ حتى تنجلي

أسدافهُ<sup>(6)</sup>.. فتوقدي يا نارُ<sup>(7)</sup>

ولكن لمن سيحرق هذه النار؟ ولمن سيضيء الليل، سيضيئها للميتين وللمعذبين في الأرض، و ستكون له ساحة الثأر وساحة الحرب، يقول:

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 108/1.

(2) مندور، محمد، الأدب وفنونه، ص111.

(3) الخطيب، م . س، 109/1.

(5) أوار: شدة حر الشمس ولهيبها، أو النار المشتعلة.

(6) أسدافه : الليل وسواده.

(7) الخطيب، م . س، 109/1.

## للميتين دموعهم وجراحهم

(1) ولجذوتي ساح الوغى، والثأر

يُسقط الشاعر آماله على الشخصية، التي جعل منها سبيلاً للخلاص، وزوالاً للعار، وبزوغ شمس الضحى، يقول:

ولسوفَ أَعْسِلُ جبهتي حتى تُرى

مثلَ الضحى، ويزولَ عنها العارُ

أنا "ما أريدُ"، ولن أظلَّ مُشرداً

أقسمتُ.. لا أرضى.. ولأختارُ<sup>(2)</sup>

لقد ترقب الشاعر بحرقه وشوق "سماح صرخة الميلاد معلنة أخيراً أن مارد خلاصنا العربي بصيغة الفرد والجماعة، قد أتى في آخر الأمر"<sup>(3)</sup>، من هنا جاءت الشخصية الأسطورية "بروميثيوس" في قصيدة "مشيئة الجبار"، معبرة عن آمال الشاعر وأحلامه في صحوة وفي نصر قريب، ونلاحظ في القصيدة استعمال الشاعر للثنائيات مثل (الحياة والفناء)، "فاختياره للمفردات ليصنع سبيكة تعبيرية مشحونة بكل عوامل الإرهاق الجسدي والنفسي"<sup>(4)</sup>، ونلمح الحركة الواضحة في مفردات هذه القصيدة كتلاطم، صخب، يقول: (مجزوء الكامل)

وأطلَّ من عَينيه شَوْقٌ .. للحياة .. وللِفناءِ

كَتَلَاطِمِ الأمواجِ، بالأمواجِ، في صَحْبِ الشتاءِ

كإرادةِ الإنسانِ، خارجةً على حُكْمِ القضاءِ<sup>(5)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 109/1

(2) الخطيب، م. ن 109/1.

(3) الخطيب م. ن، 108/1.

(4) الطنوسي، شكري، مستويات البناء الشعري، د. ط، القاهرة - الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998، ص 375.

(5) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 108/1.

وبأمل واضح يتابع القصيدة، فهذا المارج "بروميثيوس" له عينان كالقنديل لهما ضياء مسحور والقنديل هنا هو الثأر للعدالة التي طالما حلم بها الشاعر، والقنديل الآخر هو الثأر ممن خان وباع وتاجر بأرض يحرم الاقتراب منها، يقول:

وأطلّ من عينيهِ قنديلا ن مسحورا الضياءِ

ثأرُ العدالةِ أن تموتَ سُدَى .. وثأرُ الكبرياءِ<sup>(1)</sup>

يكمل لنا رسم صورة لشخصيته، صاحبة العينين المضيئتين والشفيتين المنتفضتين بالعزم والإباء، وله جبين مغسول ولكن ليس بالماء بل بالأمل، وهذا الجبين كالليل المضاء والمغسول بواسطة النجوم، ولكن كما قلنا ليس بالماء، ولكن هنا جاء الغسل بالرجاء، يقول:

شَفَتَاهُ تَنْتَفِضَانِ بِالْعِزْمِ الْمُجَنِّحِ، وَالْإِبَاءِ

وَجَبِينُهُ الْمَغْسُولُ بِأَلْمَالِ، كَاللَّيْلِ الْمُضَاءِ

عَسَلَتْ حَفَافِيَهُ النُّجُومُ بِكُلِّ بَارِقَةٍ الرَّجَاءِ<sup>(2)</sup>

هذه الثورة الأسطورة سيعود ماردها عبر الزورق الضال، سيعود وستكون عودته على بحر من الدماء، وسيعود وبصوت عال ومجلل، وقد جعل الشاعر للفضاء أسواراً سيخترقها هذا الصوت صوت هذا المارد، والذي أراد به صوت الثورة، يقول:

سيعودُ زورقُهُ الضَّلِيلُ، على خِضَمٍّ من دِمَاءِ

ويَظَلُّ يُرْعِدُ في الرِّيحِ، وعبرَ أسوارِ الفِضَاءِ<sup>(3)</sup>

يكرر ما جاء في بداية القصيدة ليؤكد على الثورة وعلى التمرد، وإعادة الحقوق المسلوبة، وظهور (بروميثيوس العربي) معلناً الثورة والتمرد يقول:

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 111-110/1.

(2) الخطيب، م. ن، 111/1.

(3) الخطيب، م. ن، 111-110/1.

"أنا مشعل، أنا مارح جبّار"

لا الريح تُخمدني، ولا الإعصار<sup>(1)</sup>

### ثالثاً: الشخصيات الدينية

"يعد الدين من أبرز المكونات الحضارية التي تشكل وعي الإنسان، وتحدد اتجاهاته الفكرية والثقافية لما يتمتع به من سلطة وقوة وتأثير فهو أكثر المصادر التصاقاً بوجودان الأمة"<sup>(2)</sup>، لذا عمد الشاعر إلى الإلتكاء على الشخصيات الدينية، إما لإظهار الانكسار والإخفاقات أو لإظهار النصر والتحدي، ومن الشخصيات التي استحضرها في "بكائية" شخصية السيد المسيح عليه السلام، فلامح الشخصية" مستمدة من الموروث المسيحي، وخصوصاً الصلب والفداء والحياة من خلال الموت"<sup>(3)</sup>، وتبدأ المعاناة بالصلب ونزف الدماء، يقول: (مجزوء الوافر )

ذراعُ يسوعِ واهيةً  
تنزُّ دماً على الخشبِ ..  
وعيناهُ سراجُ مغارةِ يبكي  
بلا هُذبٍ ..<sup>(4)</sup>

يسقط الخطيب آلامه وأحزانه من خلال قصة الصلب، فقد كان مطارداً منبوذاً من قبل السلطات مما جعله يتذكر ما حل بالمسيح من صلب، وشخص المغارة مكان مولد السيد المسيح بسراج يبكي على حاله.

يتطور الحدث وينمو في مشاهدته المأساوية الحزينة، ويمزج الشاعر بين الفعلين الماضي والمضارع ليكمل لنا الحكاية التي لم تنته بعد، فشخصية السيد المسيح هي الفلسطيني الذي يصلبه اليهود في كل يوم، يقول:

ومُشرعةً يدهُ  
كمن يحنُّ إلى عناقِ أبٍ  
فلم صاغوا أعلى فؤديه<sup>(5)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 110/1-111.

(2) سالم، نورية سعد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر الليبي، مجلة فكر وإبداع، عدد75، 2013، ص128.

(3) عشري، علي زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص82 .

(4) الخطيب، م .س، 40/2-41.

(5) فؤديه: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.



تاج الشوك، من ذهب؟!..  
ودافق جرحه شفق  
بأعلى الطور، لم يغب!!..  
لأن يسوع روح الله،  
في عرق وفي عصب..  
لذاك .. يظل يقتله اليهود..  
يموت.. في العرب!!..(1)

ربط الشاعر ما بين قصة المسيح والعرب مع اليهود، فكلاهما من يريد العدو نهايته منذ الآف السنين والقاسم المشترك بينهما هو الوقوف على الحق وعدم التنازل. فشخصية السيد المسيح عبر صلبه ومحاولة قتله من قبل اليهود، فالفلسطيني توحيد "مع صاحب الرسالة في موقف اليهود منه بإعلانهم حرباً ضرورياً عليه أيضاً، وكان لا يخامر شك في أن هؤلاء اليهود حاربوا التاريخ مرتين مرة في شخص السيد المسيح الذي جاء ثورة على فسادهم، ومرة أخرى حين وجد اليهود الصهاينة في الشعب الفلسطيني مسيحاً آخر، يرفض عروضهم في المنزلة تماماً كما يرفض الانسلاخ عن ترابه الذي طمعوا فيه.(2)

وفي قصيدة " تقاسيم على الخفيف " ربط الشاعر ما بين المسيح والمنفيين في جبل الزهور فالمسيح ترك روما بما فيها من صخب وفرح، وذهب ليقض عيده مع مبعدي مرج الزهور الذين قضوا شتاءهم في لبنان ففي "عن عيد يسوع"، يقول:(الخفيف )

كان يقضي "يسوع" في كل عام

عيد ميلاده وراء البحور

ثم يوماً، أدار ظهراً لروما "

سأهراً ليلة بمرج الزهور!!"(3)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 41/2.

(2) صليح، إسماعيل محمد، أحمد دحبور، تجربته الشعرية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1990م، ص 165.

(3) الخطيب، م . س، 237/1.

ويستحضر شخصية يوحنا في قصيدة "بالشام أهلي والهوى بغداد"، وهومن عمد المسيح في نهر الأردن، يقول: (الرجز)

كَأَنَّ يُوحَنَّا هُنَا مَرًّا إِلَى بِشَارَةِ الْمَجِيِّ

هَا هُنَا اسْتَقَرَّ رَأْسُهُ قَادُوسَ عَسَلٍ

وَهَا هُنَا اسْتَحَمَّ جِسْمُهُ فِي لَبْنِ الضَّوَّارِيِّ (1)

#### رابعاً: الشخصيات التاريخية

"يعد التاريخ منبعاً ثرياً من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الارتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي وفق رؤية إنسانية معاصرة، تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحاته وأحلامه، وهذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثير" (2).

عمد الخطيب على توظيف ثقافته التاريخية في العديد من قصائده، فاستحضر عدداً من الشخصيات التاريخية، ليعبر بها عن واقع الأمة في فترات مختلفة، "وقد استطاع الخطيب إشباع نزعتة الثورية المتمردة والتعبير عن حنينه لوطنه، وتوقه لوحدة الأمة العربية وللحرية، والعدالة من خلال استحضاره لنماذج الشعر القديم" (3)، وإسقاط همومه وأحزانه عليه، "ذلك أن الشاعر له القدرة على فهم التراث واكتشاف الآخر" (4) "ففي "أرض المعاد" ليلى العامرية "لم تترك المنازل وبقيت على عهدا مع قيس فليلى الخطيب هي فلسطين الحبيبة المعشوقة، التي يحلم دائماً بالعودة إلى ربوعها، فشخصية ليلى هنا ما هي إلا شخصية الشاعر يطل من خلالها على أحلامه، يقول: (الخفيف)

نَكْرُونِي، بِاللَّهِ، أَطْيَافَ مَاضِيٍّ

أَضَعْتُ التَّرَاثَ مِنْ أَجْدَادِي

وَأَعِيدُوا فِي مَسْمَعِي بَحَّةَ النَّايِ

وَمَا أَنْشَدَ الرَّبُوعَ الْحَادِي

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 150/3.

(2) موسى، إبراهيم نمر، توظيف الشخصيات في الشعر الفلسطيني، ص 117.

(3) جبريل، خميس محمد حسن، التناسل في شعر يوسف الخطيب، ص 66.

(4) الجيار، مدحت، قصيدة المنفى، دراسة في شعر رواد الإحياء، ط 1، دار المعارف، 1999، ص 69.

خَلْتُ "إِلَى" هُنَاكَ لَمْ تَبْرِحِ الرَّسْمَ

وَوَظَلْتُ، وَاقِيسَ "، فِي مِيعَادِ

حِينَ مَالَتْ عَلَى التُّرَابِ وَعَيْنَاهَا

كَنْجَمِينَ عُبْرًا بِالرَّمَادِ (1)

وفي قصيدة "سوق العبيد" نوع الشاعر في الشخصيات التاريخية وجاء بها بمواقف مغايرة لموقفها الأصلي ذلك أن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي<sup>(2)</sup>، فهارون الرشيد الخليفة العباسي رمز القوة والجهاد، هو في القصيدة عكس شخصيته القوية، ما هو إلا حاكم عربي لا يأبه بما يحل بالشعب الفلسطيني، بل يقف متفرجاً يسكر وينظر إلى الشعب وهو يُباع ويُشترى، يقول: (مشطور الرمل)

وَيَمُرُّ الْمَوْكِبُ الرَّسْمِيُّ فِينَا

جَاءَنَا الْيَوْمَ رَسُولٌ يَشْتَرِينَا

لَمْ يَزَلْ يَسْكُرُ هَارُونُ الرَّشِيدُ

وَأَنَا كَالْقَرْدِ فِي سَوْقِ الْعَبِيدِ!! (3)

وبأسلوب النداء يستغيث بأحرار الأرض ويدعوهم على الثورة، ويسالهم عن موعدها، و يكمل مقاطعاً أخرى من القصيدة، ويستحضر قصص العدل وعبارات ردها التاريخ على لسان شخصيات كان لها بصمة في واقع الأمة، فعمر رضي الله عنه، لم يحابٍ لعمر بن العاص وابنه، بل عامله بالمثل، وقال اضرب ابن الأكرمين، يقول: (مجزوء الرمل)

أُيْهَا الْأَحْرَارُ، قَدْ بُحَّتْ صُدُورُ الْهَاتِفِينَ

فَمَتَى مَوْعِدُنَا بِالْفَجْرِ، وَالنَّصْرِ، يَحِينُ

فِي دَمِي دَفْقَةٌ ذَكَرَى مِنْ يَنَابِيعِ السَّنِينِ

وَمَمْضَةٌ .. قِصَّةٌ عَدَلٍ مِنْ حِكَايَا الْأَوَّلِينَ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 122/1\_123 .

(2) العشري، على زايد، استحضار الشخصيات التراثية، ص120.

(3) الخطيب، م . س، 128/1.

لم أزل أسمعها دوايةً عبرَ القرون  
"عمرُ الخطَّابِ ..

"والمصريُّ ..

" وابنُ الأكرمين !!.. (1)

ويستحضر الشاعر الشخصية "متألقة في أبعادها مع مرجعها التاريخي ليخلف بها علاقات جديدة مع عناصره الأخرى أحداثاً كانت، أو شخصيات وقد يستحضرها متخالفة مع نصها التاريخي (2) "

واستحضر الخطيب شخصية "هاشم" التي ألبسها القناع فهاشم جد النبي، صلى الله عليه وسلم، ورمز بها إلى نسل الهاشميين، ولكن "هاشم" الأردني "عبد الله بن الحسين" وقف مكتوف الأيدي عند قرار تقسيم فلسطين، وقال عنه الخطيب "نسل الدراويش" ففي قصيدة "الطريق إلى يافا" بعنوان "رحلة صيف"، افتتح قصيدته بذكر هاشم، يقول: (الرمل)

هاشمٌ خلفَ قطارِ النُّوقِ

جنِّي بلا خُفَّينِ، يطوي البيدَ طيًّا

من بَحُورِ الهنْدِ من أسنامِها

العُوجِ، ومن دُوبِ العتيقِ البابلِيِّ

ما دَهَى الصحرَاءِ، ترتدُّ

إلى خِلفِ، إلى كهفِ، من الدَّهرِ نِسيِّ (3)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/129.

(2) خواجة، علي حسن، الشعر العربي الحديث في فلسطين، (مرحلة الريادة) دراسة أسلوبية، رسالة دكتوراة، معهد البحوث العربية، 2000، ص 264.

(3) الخطيب، م . س، 2/90-91.

لقد أعطى هاشم قوة خارقة يقطع بها الصحراء ويطويها، ولكن ما الذي بدل القوة ضعفاً؟ والنور إلى الظلمة؟ وهذا مما قيل فيه "بأن المؤلف الفني الحق يجب أن يخفي وراء مضمونه المحدد شيئاً أعمق بكثير"<sup>(1)</sup>، يقول:

يا "تَبوكاً" كُلما مرّت بِها

قافلةً، تُرْعِشها سُقيا نبيّ

أقفرّت من وحيها الصحراءُ

لما اندلعتْ في الأرضِ بالبعثِ السخيّ

تلكَ، مدُّ العينِ، أَطلالُ

زمانٍ غائبٍ في وَهَجِ الآلِ، قَصِيّ<sup>(2)</sup>.

يصعد الشاعر بالأحداث ويتساءل عن حال الصحراء التي أصبحت قاحلة محتاجة إلى سقيا الأنبياء، " فالصحراء مثلت للفلسطيني التيه والعذاب والموت "<sup>(3)</sup> وطريق اللاعودة، يقول:

هاشِمٌ عادٌ، وفي أكياسِه

تمرّ، وخبْشاشٌ، وسِحْرٌ بدويّ

وتَلاقينا .. رَضينا لُعبةً

الرُّعيانِ في الأردنِّ و"الطرشِ" الغَبيّ<sup>(4)</sup>

يكمل حكاية هاشم الذي عاد مستبدلاً أرض فلسطين بأكياس من التمر والخبشاش، وتدخل شخصية أخرى وهي الفلسطيني الذي اقتنع باللعبة، ورضي أن يكون بالأردن دون وطن، رضي بوطن بديل له، يقول:

(1) حاتم، عماد، مدخل إلى تاريخ الآداب الأوربية، ص395.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 91/1.

(3) عودة، علي محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ط1، د.ن، 1997، ص14.

(4) الخطيب، م . س . 91/2.

ها هنا نحن - بلا يافا-

متاعُ السيِّدِ المولى، وميراثُ الصَّبِيِّ

ها هنا، مُنذُ صباحِ النَّفْيِ

ننساقُ إلى مَدُودِ رَبِّ هاشمِيٍّ

إننا سائبةُ السلطان،

كَيِّ الوشمِ في كلِّ جبينِ أُرْدُنِيٍّ (1).

ماذا كانت النتيجة ؟ أصبحت أرض فلسطين ملكاً لليهود، والفلسطيني أصبح بلا أرض بلا يافا، وأصبحنا في أرض الأردن نُعمرها. لقد أصبح وشم العار في جبين كل من تخاذل عن نصرته الشعب الفلسطيني، ووافق على بيعنا.

وفي قصيدة "الطريق إلى يافا" تجتمع عناصر الدراما، فالزمان مغيب الشمس والمكان يافا والشخصية "هاشم"، هو نخاس يبيع ويشترى الشعب ويُحول حياة الشعب إلى جحيم وقطران، فبناء الشخصية يساعد في خلق الظروف النفسية المطلوبة للانبعاث العفوي الحيوي للفعل" (2) فالحدث الرئيسي هو الهجرة من أرض الوطن، وتركها دون العودة لها لتتحول الحياة إلى جحيم، يقول: (الرمل)

يومَ غابَ الضُّوءُ عن يافا،

اختبأنا الليلَ، وانسدَّتْ على السُّلبِ المغارةُ

هاشمٌ ذاكَ على مدخلِها

المرجُوم، نخاسٌ، وها نحنُ التجارةُ

واغتربنا في المدى الأسفلِ،

نقتاتُ العمى، نئنُ في درعِ المحارةِ

نحنُ من أغمضَ في الصُّبحِ،

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 91/2-92.

(2) زاخوفا، يوريس، فن الممثل والمخرج، ترجمة: عبد الهادي الراوي، د.ط، عمان -وزارة الثقافة، 1997، ص90.

من استمهل، من نام على الدرب نهاره

نحنُ أبحرنا على القطران،

أبحرنا، انتجعنا الليل، خيمنا قراره<sup>(1)</sup>

واستحضر الشاعر شخصية "نبوخذ نصر" وهو شخصية فارسية قامت بسبي اليهود وطردهم من فلسطين وتدمير هيكلهم، واعتمد الشاعر على عنصر الزمن في الدراما ليبدأ قصته، حيث جاءت شخصية نبوخذ كرمز للقوة، ويقابلها شخصيات أخرى وهي اليهود، يقول: (مجزوء الكامل)

من ها هنا ..

من قبل آلاف السنين..

على مدى تلك المفاوز والمجاهل

كانت جهات الأفق تزخر من "نبوخذ"

بالسبايا، والبياريق، والجحافل.<sup>(2)</sup>

ويمكن القول أن الشاعر الخطيب من الشعراء "الفلسطينيين الذين نهلوا من التاريخ شيئاً وافراً للتعبير عن قضاياهم الوطنية والقومية والإنسانية العادلة، ودافعوا عن كينونة الأمة التي ينتمون إليها، وقاوموا العدو الذي جردهم من أرضهم لكنه لم يستطع تجريدهم من تاريخهم، فرسموا صورة الوطن في نفوسهم وأرواحهم قبل أن يرسموها في شعرهم، وكانوا حكايا الدم المسفوك الذي يروي شعر النكبة، وشعر التاريخ على حد سواء في قصيدة شعرية مجبولة بدمهم وبتراب الوطن".<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 96/2-97.

(2) الخطيب، م . ن، 168/1.

(3) موسى، إبراهيم نمر، توظيف الشخصيات في الشعر الفلسطيني، ص120.

## خامساً: الشخصيات الأدبية

من الشخصيات الأدبية التي وظفها الشاعر في قصائده (المتنبي) إذ استحضرها في "بطاقة معاينة إلى أبي الطيب المتنبي"، و أجرى معه حواراً مباشراً، رابطاً قصته بقصة المتنبي وليظهر من خلالها الواقع المر الذي يعيشه الشاعر، وليكشف من خلال معاينة المتنبي عن معاناته، وليبشر المتنبي بأن حاله مهما كان صعباً هو أحسن من حال الخطيب، يقول: (البسيط)

"تبي كِنْدَةً"، فا هنا أن قَضَيْتَ ردي

فغيرك اليوم، يحيا، وهو مؤوود

ما من تَعَرَّيتَ لا مُستعظماً أحداً

ما بيدُ أمسِكُ، مما أضحتِ البيدُ؟! (1)

يرى الخطيب أن زمان المتنبي أحسن حالاً من زمانه، " فالماضي هو الحاضر، لأنه جو الحياة (2) " وعلى الرغم من تشابه قصتهما بالهجرة والتنقل إلا أن المتنبي تنقل وارتحل بإرادته. وترتكز القصيدة على أكثر من شخصية، فالمتنبي يمثل شخصية المظلوم "والعرب العجم"، هم الظالم، أرضهم خالية من الحياة، وهناك ما يعزي المتنبي وهي قصائده التي يهرب إليها أن ضاقت الدنيا به، أما الخطيب فلا عزاء له، ينادي الخطيب المتنبي ويحاوره "والحديث إلى الشخصية يحقق للقصيدة لونا من الموضوعية" (3)، يقول:

ذاك الزمانُ الذي مِنْهُ بكيتَ أسَى

عليه أبكي، وبعضُ الجرحِ تَضْمِيدُ !!

إنَّ ضِيقَ من عَجَمٍ تَطوي إلى عَرَبٍ

جُرْدُ القفارِ، وسلواكُ الأناشيدُ (4)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 216/3.

(2) مندولا، الزمن والرواية، ص164.

(3) العشري، علي زايد، استدعاء الشخصيات، ص212.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 216/3.



فقول كلمة الحق كلفت الشاعر ثمناً غالياً، تشرد وطُرد، لقد استطاع من خلال التعبير الرمزي أن يُعطي دلالة أعمق، يقدم نصاً فنياً درامياً من خلال استحضاره للصور والمواقف التي رفضها الشاعر وعبر عنها، يقول:

إلا أنا، راصداً رهن الدجى حُلماً،

لكنني باقترافِ الخُلم، مرصودُ

ما "شِعْبُ بَوَّانٍ"<sup>(1)</sup> من حيفا وكرمِليها

والتُرْجُمانُ سُلَيْمانُ، وداوودُ !!

وما "الفتى العربيُّ" الحُرُّ في وَطَنِ

له الدَّوالي به، إلا العناقيدُ؟!!

فاكبِجْ جَوادِكَ، ما "الْفُسْطاطُ" دانيةً

يبقى لقصداك "بالشهباءِ" مقصودُ

تحوّلت بوصلاتٌ عن مرافئها

ومكَّه الخُلمُ أمست وهي "مدريدُ"

واشهدُ بربِّكَ هذا "السُّلَمُ" تُوَقُّهُ

سُمَّاً، ويغشاهُ "شُعَارٌ" كما الدُّودُ !!<sup>(2)</sup>

لم يعد للعربي من وطنه إلا العناقيد، أما الدوالي فأمست لغيره، وتحوّلت البوصلات والمرافئ عن القضية المحورية، تحرير أرض الوطن كاملة، أرض فلسطين وأصبح السُّلَمُ هو الطريق الوحيد ولكن هذا الطريق هو سُمٌَّ يفتك بأوصال الفلسطيني، وبخاصة من خسر أرضه وهجر منها، لأن طريق

<sup>(1)</sup> شعب بَوَّانٍ: وهو موضع كثير الشجر والمياه وهو من جنان الدنيا يقع بأرض فارس بين أرجان والنوتيدجان.

<sup>(2)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 217/3.

العودة أغلقت أمامه. لقد ألبس الخطيب القصيدة " الثوب الدرامي ليسهم بنقل الأفكار والمشاعر الكامنة في نفس الفنان وإبرازها في صورة عميقة التأثير كما استغلها في تصوير الواقع الإنساني العام" (1)

#### سادساً : شخصية المرأة

كانت المرأة بالنسبة للشاعر رمزاً للعطاء والخصب والقوة، وكثيراً ما ربط بينها وبين الأرض في قصائده، ولكنها لم تكن محوراً لتلك القصائد، " توسم الشاعر في المرأة خلاص الأمة" (2) فتراه في غير قصيدة يذكرها إما باسمها "جميلة بوحيرد" أو بأعمالها التي تقوم بها "تكلّى كربلاء" "وموقعة كربلاء هي تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، ولكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتتكيل أدى إلى فشلها وإلى موت مأساوي لبطلها ومشعل وقودها " الحسين بن علي، "ولم يكن سبب هذا الفشل نقصاً أو قصوراً في دعوة صاحبها أو مبادئه إنما سببها أنها كانت أكثر مثالية ونبلاً مع واقع الفساد يسري في أوصاله" (3)، ففي قصيدة "تكلّى كربلاء" يرسم لنا الشاعر شخصية امرأة طاعنة في السن تسير بين القبور، وترش الماء عليها، لقد ظهر لنا عُمر المرأة من خلال القصيدة كما أظهر لنا الشاعر عن حالها الرث من خلال قوله "رَحَلُ الثمانين العجاف، ووصف لنا شحوبها، ففي المقبرة شاهد على التاريخ مكتوب عليه رثاء لمن في القبور، يقول: (الرجز)

كانت تَلْمُ خَطْوَهَا إِلَى قُبُورِ كَرْبِلاءِ

تَصُبُّ عِنْدَ آسِهِ شاحِبَةً، إِبْرِيقَ ماءِ

عُكَّازِها .. رَحَلُ الثمانينِ العِجافِ والعِياضِ

يَدُقُّ لاهِئاً على حَصَى المَدِينَةِ الخِلاءِ

لشاهِدِ هِناكَ، شاخِصِ إلى السِماءِ

مَنْقُوشَةً عليه آيَةٌ شَجِيَّةُ الرِثاءِ (4)

(1) السيد، محمد علي، النزعة الدرامية في الشعر العربي، ص119.

(2) الخطيب، م . س، 237/3، .

(3) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية، ص121.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 301/1.

تمحورت الأحداث حول شخصية واحدة وهي "تكلّي كربلاء"، التي اعتادت النهوض في آذان الفجر للابتهاال إلى الله والدعاء إليه أن يسوق الغيم ويروي السنابل العطشى، ودعائها موصولة حروفه بعذابات الأنبياء، يقول:

كانت تقوم، في آذانِ الفجرِ، تُرسلُ الدعاءَ

الساعدانِ شُعبتِا بلُوطِةٍ بلا لِحاءِ

مصلوبتانِ.. والحُروفُ من عذابِ الأنبياءِ:

"يا من تَسوقُ الغيمَ" في رُؤى السنابلِ الظّماءِ

"ياربَّ يا رحيمُ" أَعْطنا منافذِ الرجاءِ<sup>(1)</sup>

وصل الخطيب إلى نهاية الحكاية حين عمد إلى تأزم الفعل الدرامي والوصول به الى النهاية وهو موت المرأة، ولكن صوت عكازها لم يزل على الطرقات يلهم الأجيال الحب والعطاء، يقول:

كانت.. ولم تَعُدْ تجولُ في قبورِ كربلاء!!

لكننا.. إذ تَهْدأُ الدُروبُ ساعةَ المساءِ

كأنما يأتي لنا من عمقِ صمتِها نداء:

تنقيلُ عُكا زها على الطّريقِ خافتُ الأداءِ

يلهمنا وَقَعَ النشيدِ ... قبل مَطْعِ الغناءِ!!<sup>(2)</sup>

ماتت العجوز ولكن القصة لم تمت، فقصة كربلاء وما حل بها من ذبح وتكيل مستمرة وباقية عبر الأزمنة والأيام، باعتبارها رمزاً من رموز الدم العربي النازف في جسد العراق حتى اليوم<sup>(3)</sup>، فالحق دائماً ما يلاقي العداة والمقاومة، وفي كل يوم كربلاء .

وفي "مطالع جزائرية" تلمح شخصية المرأة الثائرة "جميلة بوحيرد"، وهذه الشخصية كانت حاضرة في ذهن الشاعر فهي نموذج شريف، لأن الثورة تهيب أبطالها وتطرح عليهم قضاياها القومية والأخلاقية

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 301/1-302.

(2) الخطيب، م.ن، 302/1.

(3) موسى، إبراهيم نمر، توظيف الشخصيات في الشعر الفلسطيني، مجلة عالم الفكر، ع2، مج33، اكتوبر 2004، ص128.

والوجدانية، ويكاد اسم "جميلة" ومعناها أن يكون صفة للثوار وليس اسماً لشخصية واحدة"<sup>(1)</sup>، وهي هنا شخصية شكا الشاعر همومه لها وأراد أن يقدم لها هدية، ولكن لم يجد سوى الدموع، يقول:

"جميلة" اسمي لأنني مُشردٌ بلا وطن  
لأنني مُرتحلٌ أهيّم في متاهة الزمن  
وليس لي قيثارة، ومُنتهى ربابتي وتر  
لأنني ما زلتُ أحلبُ النياقَ، أكتسي الوبر  
فهذه هديتي إن لم يخب لشاعرٍ أملٌ  
كلُّ الذي لَدَيَّ باقَةٌ من الدموعِ والحَجَلِ !!<sup>(2)</sup>

وفي قصيدة "سلامٌ لكن إناث العروبة" توسم الشاعر في المرأة خلاص الأمة العربية، ونراه يصورها بالمطر للأرض، فهي التي تتحلل بالبارود من موقع القتال هي مناضلة تقاوم المحتل، تحمل الحجارة في كفيها تسير كالزوبعة دون خوف، نراها تسير حافية لا تخاف من الرصاص، وهذه الصورة التي رسمها الشاعر كثيراً ما شاهدناها خاصة في الانتفاضة الأولى، يقول:

سأرسُمُك الآنَ، عذراءَ كلِّ النساءِ،  
وفي عطشِ الأرضِ، حُبلى غيومِ السماءِ،  
تواعدتِ سرّاً، وصُبحَ قيامتِنَا المنتظرِ..  
أماناً لِقَلبي ..أيا امرأةً .. حَبَقاً يانِعاً ..  
تتَحَلَّلُ بارودَ خطِّ القتالِ ..  
ويا رُوحَ زوبعةٍ ..في سِماتِ الخَفَرِ !!

(1) خشبة، سامي، قضايا معاصرة في المسرح، بغداد، دار الحرية، سلسلة الكتب الحديثة رقم 249، 1970، ص62.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 152/2-153.

سَأرْسُمُكَ الْآنَ، عِبْرَ زِقَاقِ الْمُخِيمِ

عَفْرَاءَ.. حَافِيَةً.. تَحْتَ نَحِّ الرِّصَاصِ

كَأَنَّ قَدْ تَوَهَّجَ فِي رَاحَتِكَ الْحَجَرُ .. (1)

#### سابعاً : شخصية الشاعر

للشخصيات الثائرة حظوة عند الشاعر الخطيب فتارة يمدحها وأخرى يشكو همه لها، واستطاع الشاعر أن يهرب من الانكسارات بالجوء إلى الأمل بالنصر، وكان ذلك عبر شخصية الشاعر التي طالما استتهضها في قصائده، ففي "قم فأندر في الشرق" برزت لنا شخصية المغاوير الثائرة المناضلة ليرسمها لنا في أجمل صورة، فهم أقوياء لهم جباه سمر قوية معطاءة، عيونهم تلمع كالشهب ، قوتهم تتحدى الأمواج وتقاومها، وأخبار بطولاتهم لم تسجلها الكتب بعد، يقول:(الخفيف)

هكذا أقدم المغاوير لَمَّا

أذن البعث للفدا، واستجابوا

كاندلاع اللهب من جذوة الشمس

ففي كل حدقتين شهاب

والجباه الصلب في ملعب الريح

كما تشمخ الجبال الصلاب

يتقطبن بالمشيئة والعزم

سطوراً لم يشتملها كتاب

والصدور الشداد يلطمها الموج

فيرتد وهو منها حباب (1)

ومن أبرز الشخصيات الثائرة في قصائد الخطيب شخصية "اللاجئ"، وهي كما أسلفنا في الحديث عن الحدث الصاعد، وهي قصة حقيقية لشخص يسمى "أحمد العجوري"، ذلك الفدائي الذي اعتاد العودة الى أراضيه (1948) من أجل أن يجني ثمار وطنه، يقول: (المتقارب )

يقولون، كان فتى لاجئاً

إلى خيمة في الربي مشرعه

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 239/3.

(1) الخطيب، م.ن، 228 .

تُطَلُّ بَعِيداً، وَرَاءَ الْحُدُودِ

عَلَى الْجَنَّةِ الْخَصْبَةِ الْمُمْرَعَةِ<sup>(1)</sup> (2)

الشخصية الرئيسية التي تقوم عليها الحكاية "حكاية لاجئ"، هي الفتى اللاجئ، وتتمو هذه الشخصية من خلال الأحداث التي حصلت معها عبر مكانين و زمانين مختلفين، فالمكانة الأول بيارات فلسطين، و الثاني خيمة اللجوء، وفي المكان الأول زمان جميل وذكريات لم تغب عن باله، لقد جفا النوم مضجعه وهو بعيد عن أرضه، يقول:

وَكَانَتْ لَهُ ذِكْرِيَاتٌ هُنَاكَ

وَكَوْخٌ يُطَلُّ عَلَى مَزْرَعَةٍ

وَكَمِ أَرْقَتْ نَاطِرِيهِ الطُّيُوفُ

وَطَيْفُ الرُّقَادِ جَفَا مَخْدَعَهُ

يُرْجَى مَرَارَةَ كَأْسِ الْمَمَاتِ

إِلَى يَوْمٍ ثَارٍ ... إِلَى مَوْقِعَةٍ

وَكَانَ نِدَاءً، وَكَانَ فِدَاءً

وَأَسْلَمَ لِلَّهِ مَا أُوْدَعَهُ<sup>(3)</sup>

تحولت حياته إلى أحلام بالعودة وأصبح كل همه أن يثأر لوطنه، ولم تعد حياته تهمه، بل أراد أن يهبها لوطنه وشاء له ذلك عندما أسلم روحه لله، بعد أن قاوم وألقى بنفسه للموت كالنسر عندما يرتمي في الزوبعة، لقد نزلت دموعه على ثرى فلسطين، يقول:

تَقَحَّمُ هَوْلَ الرَّدَى رَاسِحاً

كَمَا يِرْتَمِي النَّسْرُ فِي الزَّوْبِعَةِ

وَيَحْكُونَ .. لَا أَلَمٌ هَاجَهُ

وَلَا الْجُرْحُ فِي قَلْبِهِ أَوْجَعَهُ

سِوَى أَنَّ عَيْنَيْهِ قَدْ غَامَتَا

وَأَسْبَلَتَا فِي الثَّرَى أَدْمَعَهُ<sup>(4)</sup>

(1) الممرعة: الخصبة.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 233/1.

(3) الخطيب، م.ن، 233/1.

(4) الخطيب، م . ن، 234/1.

يعود الخطيب إلى الوراء قليلاً، ليقص علينا حدث استشهاد فتى بطل مقدم كالنسر لم يشغل باله جرحه ولا ألمه، بل الذي أحزنه هو أغماض عينه وعدم رؤية ثرى الوطن ثانية، يقول:

أبكي على وطنٍ ضائعٍ

قضى قبل أن يجتلي أربعة؟

أبكي حبيباً له في الخيام

دعاه الرحيل، وما ودعه؟<sup>(1)</sup>

تساعد الحدث الدرامي عند الشاعر عبر تساؤلات عديدة، عن سبب بكاء البطل فدواعي البكاء كثيرة ومتنوعة، فحزنه على موته دون العودة إلى وطنه من جهة، وعدم وداعه للأحبة من جهة أخرى، يقول:

يقولون لما هوى مُثخناً

وشدّ على جرحه أضلعه

وأوشك يخبو السراج سوى

ثوانٍ ضبابيةٍ مُسرعةٍ

تلقت ملء الربي و الوهاد

يُحدّق في وطنٍ ضيّعه

يودُّ لو أن دوالي السماء

وأنهارها تستقي منبعه

فأعرز كفيه في حفنتي

تراب، تكونانِ ذكرى معه!<sup>(2)</sup>

جاءت نهاية هذه الشخصية مأساوية موجعة للقلب، فأحلامه لم تتحقق بالعودة وجراحه أتعبته وأخذ الضوء يذهب من عينه شيئاً فشيئاً، فما كان منه إلا أن أمسك بكفيه تراب الوطن ليحمله ذكرى معه. لا يشعر بقيمة الشيء إلا من فقده ولا يوجد شيء يماثل فقدان الوطن، فالوطن بمثابة الروح للجسد. أراد الشاعر أن ينقل لنا معاناة اللاجئ عبر معان مؤثرة، لأن "الشاعر الحق لا يدرج في

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 234/1.

(2) الخطيب، م.ن، 234/1.

شعره إلا المعاني التي تحرك الجمهور وتؤثر في النفوس"<sup>(1)</sup> يقال "الموت ليس فناء ولا رمز فناء إنما دورة جديدة من دورات الحياة غير المتناهية"<sup>(2)</sup>.

ومن الشخصيات العربية الثائرة الدكتور محمد مصدق، الذي لقبه "سبارتكوس"<sup>(3)</sup> فهو كما قال عنه: مفجر ثورة العبيد في الشرق"<sup>(4)</sup>، ينادي الشاعر على الثائر في قصيدة "الشرق والأصنام" ويقول له إن العرب في غفلة عن النضال ولا جدوى من استنهاضهم، فهم مصابون بأمراض ليس لها دواء إلا يدك، فالخطيب جعل من العرب والعدو مرض، لم يشف على يد الثائر، يقول: (الخفيف)

يا رسولَ الأحرارَ فيمن تُنادي

ليس يُجدي العبيدَ هذا النداءُ

أزمنَ السُّلِّ في الصدورِ، فهيهات

على راحتِكَ يَشْفَى الداءُ

حينَ أيقظتَ أُمَّةً صَفَّقَ الشعبُ

وَعَنَى، فَكلُّهم نُصرأُ

فإذا كَبَلوكَ في القيدِ غدراً

قِيلَ طاغِ طغى، وهذا الجزأُ

الرُّعاعُ المسكينُ في الشرقِ يَنساقُ

أمامَ القويِّ كيف يشأُ

يَسْتوي عندهُ المُدجِّلُ والهادِمُ

(1) عباس، إحسان، تاريخ النقد العربي عند العرب، ص 561.

(2) ضيف، شوقي، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط6، مصر - دار المعارف، ص 225.

(3) سبارتكوس: كان عبداً من رقيق الأمبراطورية الرومانية وزعيماً ثائراً، نظم ثورةً للعبيد انتصر فيها على الرومان ولكنه قتل على يد ماركوس كراسوس.

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 88/1.



## ما نَبَتِيهِ، وَالْبِنَاءُ<sup>(1)</sup>

لقد عُوقِبَ هذا النَّائِرُ، فَمِنْ خِلالِ عِقَابِهِ يَعْاقِبُ مَنْ هُمْ خَلْفُهُ، حَتَّى لَا يَفْكَرُوا فِي الثَّوْرَةِ، وَهُنَا رِيبُ الشَّاعِرِ بَيْنَ قِصَّةِ النَّائِرِ وَالْوَأَقِعِ السِّيَاسِيِّ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، فَالْأَرْضُ الدَّامِيَةُ مَا كَانَتْ لِتَضِيْعِ لَوْلَا ضِيَاعِ حُرِيَةِ التَّعْبِيرِ، وَالدِّفَاعِ عَنِ الْأَرْضِ.

لَقَدْ جَعَلَ الشَّاعِرُ مِنَ النَّائِرِ مَرَّةً رَسُولَ الْأَحْرَارِ، وَأُخْرَى زَعِيمَ الْأَحْرَارِ، وَلَكِنْ الْمَفَارِقَةُ فِي الْقَصِيدَةِ أَنَّهُ تَمَنَّى لَهُ الْمَوْتَ الشَّرِيفَ، لِيَكُونَ مَوْتُهُ نِدَاءً يُوَقِّظُ الْأَخْرِينَ مِنْ أَجْلِ ثَوْرَةٍ تَهْزِ الْأَرْضَ وَيَأْسَلُوبُ النِّدَاءَ يَخَاطِبُ هَذَا النَّائِرَ، يَقُولُ:

يَا زَعِيمَ الْأَحْرَارِ فِي سِجْنِ طَهْرَانَ

تَمَادَى فِي ظَلْمِكَ الْأَغْيَاءُ

أَتَمَنَّى أَلَيْكَ مَوْتاً عَظِيماً

تَتَنَادَى مِنْ هَوْلِهِ الْأَرْجَاءُ

وَيَقُومُ الشَّرْقِيُّ مِنْ رَقْدَةِ الْمَوْتِ

كَرِيماً تَهْزُهُ الْأَصْدَاءُ<sup>(2)</sup>

"كَانَتْ الْمَقَاوِمَةُ فَاتِحَةً دَامِيَةً لِعَهْدٍ جَدِيدٍ لَا يَعُودُ فِيهِ الْفِلَسْطِينِيُّ ضَائِعاً فِي الرِّيحِ، مَبْعَثِراً دُونَ أَفْقِ يَلْمِهِ، بَلْ صَارَ مَقَاتِلاً يَبْحَثُ لَاعِنَ حَيَاةٍ يَسْتَحِقُّهَا فَقَطْ، بَلْ مَوْتٌ يَلِيْقُ بِهِ أَيْضاً، صَارَ الْمَوْتُ بِمَا يَجْعَلُ فِيهِ مِنْ بَطُولَةٍ تَرَاجِيدِيَّةٍ طَرِيقاً إِلَى حَيَاةٍ أَكْثَرَ حُرِيَّةً وَعَمَقاً، وَمَنْ تَلَاخَمَ الصَّوْتِ وَالْحَيَاةِ ضَفِيرَةَ فِلَسْطِينِيَّةٍ وَاحِدَةٍ وَوَلَدَتْ مَرِحَلَةَ أُخْرَى تَطْفَحُ، حَتَّى حَافَتِهَا الْأَخِيرَةَ، بِالْحَنِينِ وَالْبَطُولَةِ وَالتَّوْتَرِ"<sup>(3)</sup>.

## ثَامِناً: شَخْصِيَّةُ الْمُتَخَاذِلِ

يُوجِهُ الْخَطِيبُ مِنْ خِلالِ قِصَائِدِهِ نَقْداً وَاضِحاً إِلَى الشَّخْصِيَّاتِ الْمُتَخَاذِلَةِ، الْوَاقِفَةِ مَوْقِفَ الْمُتَفَرِّجِ تَجَاهَ مَا يَحْصُلُ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، فِي قِصِيدَةِ "الْعَيُونَ الظَّمَاءُ لِلنُّورِ" يَرْسِلُ الْخَطِيبُ رِسَالَتَهُ إِلَى الْحُكَّامِ الَّذِي سَكَنُوا الْقُصُورَ عَلَى حِسَابِ أَبْنَاءِ شَعْبِهِمُ الْجِيَاعِ الْعَرَاءِ، يَقُولُ: (الْخَفِيفُ )

سَيِّدِي.. هَذِهِ جَمَاجِمُ قَتْلَانَا:

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 91/1.

(2) الخطيب، م.ن، 93-92/1.

(3) محمد العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، ط1، الأردن - عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997، ص154.

عُرُوشٌ مَزْهُوَةٌ، وَقِصُورٌ  
سَيِّدِي.. هَذِهِ قَدَارَةٌ أَيْدِينَا:  
رِيَاشٌ<sup>(1)</sup>، وَمُخْمَلٌ، وَحَرِيرٌ  
وَالدَّمُوعُ الَّتِي نُرِيقُ مَعَ اللَّيْلِ،  
كُؤُوسٌ عَلَى الشِّفَاهِ تَدُورُ  
نَحْنُ يَا سَيِّدِي غِذَاءٌ لِيَالِيكَ  
وَ هَذِهِ قُرْبَانُنَا الْبُخُورُ  
كَمْ عَصَرْنَا جِرَاحَنَا مِلءَ كَفِّكَ  
لِيُشْفَى غَلِيلُكَ الْمَسْعُورُ  
يَوْمَ كُنَّا فِي عَتَمَةِ الْكَهْفِ، أُسْرَاكَ  
وَ فَوْقَ السَّقُودِ<sup>(2)</sup> يُشْوَى الْأَسِيرُ  
ثُمَّ تَلْقَى عِظَامُنَا .. ثُمَّ تَلْتَفُ  
بُرَاةً<sup>(3)</sup> مِنْ حَوْلِهَا وَ صُقُورُ  
يَوْمَ كُنَّا - وَأَنْتَ فِي حَائِطِ الْكَهْفِ -  
فَرَاشًا مُمَرَّغًا لَا يَطِيرُ<sup>(4)</sup>

يتابع القصيدة ليجمع بين المتناقضات فالسيد هو "عنكبوت" وهو في الوقت نفسه فارس ليل، ولكن على من ؟ على أبناء شعبه، يقول:

أَيُّهَا الْعَنْكَبُوتُ .. يَا فَارِسَ اللَّيْلِ  
تَجَبَّرَ .... فَأَنْتَ أَنْتَ الْقَدِيرُ  
مِنْ عِظَامِ الْمَوْتَى سَيَاطُكَ وَالتَّاجِ  
الْمُفْدَى .. وَالصَّوْلَجَانُ الْأَثِيرُ<sup>(5)</sup>

(1) رِيَاشٌ: اللباس الفاخر .

(2) سَقُودٌ: عود من حديد يوضع عليه اللحم ليَشْوَى. الوسيط

(3) بُرَاةٌ: نوع من أنواع الصقور الصغيرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بزا )

(4) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 136-135/1.

(5) الخطيب، م.ن، 136/1.

وفي قصيدة "العيد يأتي غداً" وجه رسالة أخرى إلى أبناء شعبه الذين توقفوا عن النضال، ليصف لنا حالهم وهم جياع، مذلولو الهامات، يقول: (مشطور الخفيف)

الظلامُ الحَزِينُ يجمعُ قومي

في إَسارينِ، مِنْ غَباءٍ، وَظلمِ

كَجِياحِ عَلى مَوائِدِ وَهمِ

مُنذُ ذَلَّتْ هَماثُنا، وِانحَينا

وَعلى أَرِجْلِ الطُغاةِ أَرتمينا

خَجَلِ الصُبحِ أَنْ يُطِلَّ عَلينا<sup>(1)</sup>

لقد شخص الصبح بإنسان يخجل من لقاء المتخاذلين الذين ارتموا تحت أرجل الأعداء يطلبون الرضا منهم. يكمل القصيدة، ليظهر لنا عنصراً آخر وهو المكان فالمكان هنا مغلق معتم يرقص الموت حوله ويحرسه تلة من الأنذال، يقول:

في كُهوفِ عَتيقَةٍ ما نَزَلُ

يَرُقُصُ الموتُ حَولَنا وَالزَوالُ

في كُهوفِ، حُرَّاسُها أُنذالُ!!<sup>(2)</sup>

جمع الشاعر بين شخصية الحاكم وشخصية المتنازل عن حقه والراضي بالذل، فالبرغم من الرضى بالذل إلا أن الحاكم لم يرض عن الشعب.

وفي القصيدة نفسها يعود الشاعر ليرسل رسالة أخرى إلى رفاقه في القيد، ويخبرهم بأن لا عتب على الحكام والقادة العرب، بعد أن باعوا ضمائرهم وتخلوا عن الأوطان، يقول: (الخفيف)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 152/1.

(2) الخطيب، م. ن، 153/1.

يا رفاقي في القيد، لا يعتبُ المجدُ

على قادةِ لنا وقياصرِ

من يُباعونَ في المَزادِ إلى الغربِ

ويُشرونَ ملءَ سوقِ الضمائرِ<sup>(1)</sup>

الخطيب لم يصرح بشخصية العدو في العديد من قصائده، بل أشار إليها، فالعدو خفاش وأفعى، وقرصان، وطير ليل .

ففي قصيدة "في سوق العبيد" جاءت شخصيات متنوعة في القصيدة، وأطلت علينا بصورتها الإيجابية والسلبية ومن الشخصيات التي رمز بها للعدو والقرصان، الذي ملأ الأرض قتلى وأنين وقبور، يقول:

وعلى شاطئنا القُرصانُ منشورُ السَّفينِ

مُطلقُ الأعلامِ في الآفاقِ، مزهُوٌّ لجبينِ

يَمَلأُ الليلَ قُبوراً، وَ ضَحايا، وأنينِ

والثَّكالي، في زوايا الليلِ، يندُبِنَ البنينِ<sup>(2)</sup>

فشخصية القرصان فرحة متباهية بقتل الأبناء، لم يعد يهمه بكاء الأمهات على أبنائها . ويظهر لنا العدو على صورة خفاش في قصيدة "أسطورة النسر والخفاش" فالعدو يرقص ويختال على حطام العظام، يقول: (مجزوء الرمل)

في بلادي خَدَرَ يَعْقِدُ أوصالَ النِّيامِ

في بلادي.. لم تزل تأوي خَفافيشُ الظلامِ

عبرَ كهفِ الليلِ، تَخْتالُ على كُلِّ حُطامِ<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 155/1.

(2) الخطيب، م.ن، 131/1.

(3) الخطيب، م.ن، 201/1.

العدو بالرغم من قوته وجبروته إلا أنه يسكن الكهوف ولا يظهر إلا ليلاً، فهو جبان يخاف من صاحب الحق ويخشى لقاءه .

وفي قصيدة "بحيرة الزيتون" جاء العدو على هيئة طيور هي بواقع الحال رمزاً للتشاؤم، يقول: (مجزوء الوافر)

تَظَلُّ البُومَةُ الحدباءُ، والخَفَّاشُ، والغِرْيَانُ

تَحومُ على جِدَارٍ، كان للأحلامِ يوماً، كان!!

على آثارِ دربٍ كان مَغذَى النَهْرِ، والبُستانِ<sup>(1)</sup>

وفي قصيدة "المدينة السافلة" تلك المطولة التي قسمها إلى خمسة عناوين ففي عنوان "أشباح" صور لنا العدو ثعبان يعيش في القبور، يفح بصوته ويبقى مختبئاً متربصاً لفريسته ليبلغها ويفرغ سمه فيها مسبباً لها الألم ثم يهرب دون عقاب، يقول: (مجزوء الوافر)

ثُعابينُ القُبورِ تَفحُّ،

ثم تَسيلُ في الحُفْرِ

كِلابُ مَدِينَةِ الموتى،

فهل بِيديكَ من حَجَرٍ!؟

تَعودُ تَفحُّ.. تَنهَرُها ..

تَفحُّ.. تَسيلُ في الحُفْرِ

تُعَتَّقني مفاصلِهِم

طَلِيَّ من قِيحِها القَدْرِ<sup>(2)</sup>

ينادي الشاعر العدو ويصفه بالجلاد صاحب الكف الأسود، وهو داء يسري في العروق، هو سمٌّ في صدور أصحاب الأرض، ذلك أنه أراد معاينة الثوار فجاءت النتيجة عكس ما توقع، فالسم يصبح في

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 250/1 .

(2) الخطيب، م . ن، 46/2 .

بعض الحالات دواء شافياً، يناديه فهو عبد لمطامعه ذليل لها، وكما علمتنا الأيام أن الحق يبقى ويسطع نوره مهما تعرض للقوى، وأن الباطل سيهزم وتكسر شوكته بشهادة الأيام والليالي، يقول:  
(الخفيف)

أِيْهَذَا الْجَلَّادُ، يَا أَسْوَدَ الْكَفِّ

تَقَدَّمِ، فَأَنْتِ، أَنْتِ، الدَّاءُ

أَنْتِ كَالسُّمِّ فِي الصَّدْرِ، وَكَمْ ذَا

مِنْ سُمُومِ الرِّقْطَاءِ يَأْتِي الشِّفَاءُ

أَنْتِ، يَا عَبْدُ، يَا ذَلِيلُ، تَقَدَّمِ

نَقَذَ الْحُكْمَ فَهَوَ قَوْلٌ هُرَاءُ

لَا يَمُوتُ الْأَحْرَارُ، بَلْ أَنْتِ تَفْنَى

عَنْ قَرِيبٍ، وَيُبْعَثُ الشُّهَدَاءُ!!<sup>(1)</sup>

---

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 93/1.

## المبحث الثاني : الحوار

### أولاً : مفهوم الحوار

الحوار لغة: "الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحارة وحوراً رجع عنه وإليه"<sup>(1)</sup>، ومنهم من قال الحوار "المجاوبة ومراجعة النطق والكلام والمخاطبة، وقد حاوره وتجاوزاً : تراجعوا بينهم، وهم يتراوحون ويتجاوزون"<sup>(2)</sup>، وفي التعريفين السابقين إشارة إلى عملية التفاعل من خلال الحوار، وبهذا لا بد للحوار أن يكون بين شخصين أو أكثر.

وقيل عن الحوار أنه: " حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح."<sup>(3)</sup>، وفي رأي أرسطو هو "فن البحث عن الحق."<sup>(4)</sup>

والحوار عند عز الدين إسماعيل " هو قبل كل شيء لغة الأشخاص أنفسهم، أو هو لغة المؤلف التي كان من الممكن أن تتحدث بها شخصيات بذاتها ومن حديث الشخص تستطيع أن تعرف عنه كل شيء"<sup>(5)</sup>.

فعندما يتكلم الشخص تبرز لنا أهم معالم شخصيته، ويظهر بذلك طبيعة الصراع ومدى قوته وصلابته، كما تظهر لنا مواقف الشخص وأفكاره ومدى قدرته عن الدفاع عنها والتمسك بها.

وبالحديث عن الحوار الشعري فهو "حكاية الواقع مضافاً إليه عنصر التشويق والخيال والتصريف الشخصي"<sup>(6)</sup> فالخيال والتشويق عنصران مهمان في القصيدة أو في جزء منها.

ويعتبر الحوار "ظاهرة بارزة في بنية القصيدة المتكاملة، وليس الحوار مقصوداً لذاته، إنما هو وسيلة لتقديم حدث درامي أو هو نوع من الفعل."<sup>(7)</sup>

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح و ر)، 217/4.

(2) الزبيدي، تاج العروس، مادقن (ح و ر)، 108/11.

(3) ابراهيم انيس واخرون، المعجم الوسيط، حرف الحاء، ص (205).

(4) أرسطو، فن الشعر، ص124.

(5) إسماعيل، عز الدين، نقد الشعر، ص248.

(6) عمارة، أحمد، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، ط1، 1414هـ، ص11.

(7) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية، ص281.

وللحوار وظائف من أهمها دفع اللغة نحو الحركة من أجل نقل الصورة إلى المتلقي والتأثير عليه وبهذا يكون الحوار "هو المسؤول عن تقديم الشخصيات والتعريف بها، وبيان الصراع الذي يدور بينها وما يترتب على ذلك من سير الأحداث إلى نهايتها"<sup>(1)</sup>.

" والحوار بما يتسم به من حركية يكسب القصيدة الغنائية حداً درامياً"<sup>(2)</sup> فعلاقة الحوار بالحركة علاقة مهمة وقوية حيث تعمل هذه الحركة من خلال الحوار على " دفع الصراع إلى الأمام دائماً، ويشق له سبله حتى يبلغ غايته"<sup>(3)</sup>، وهناك من أكد عن كشف الحوار للشخصيات من أمثال روجر فقال: " أنه يدل على طبائع الشخص وداخل النفوس ويسهم في تطوير الشخصية ويوضح الموقف ويساعد على معرفة الفعل الدرامي، ويحلل أسبابه ويدفعه باتجاه الذروة، ويساعد على تلوين الموقف باللون العام ويعمل على نمو العمل واكتماله"<sup>(4)</sup>، وهناك من أشار إلى الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي عندما عرف الحوار " على أنه حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو من يُنزله مقام نفسه كرية الشعر أو خيال الحبيبة."<sup>(5)</sup>

## ثانياً: أقسام الحوار

### أولاً: الحوار الخارجي

هو "حديث شعري يتناول موضوعات شتى للوصول إلى هدف معين، يدور بين طرفين أو أكثر في النص الواحد، سواء كان هذا النص قصيدة أم مقطوعة أم بيتاً واحداً"<sup>(6)</sup>،

وهو "الأداة المركزية التي تعرض الحوادث وترسم الشخصيات"<sup>(7)</sup>

(1) تميم، بن علي، السرد والظاهرة الدرامية، ط1، المغرب - المركز الثقافي، 2003، ص124.

(2) أبو أصعب، صالح، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، د.ط، بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ص313.

(3) الأشر، عبد الكريم، غروب الأندلس وشجرة الدر، دط، المكتبة الحديثة، 1965، ص125.

(4) بسفل، روجر، فن الكاتب المسرحي، ترجمة ديريني خشبة، د.ط، القاهرة - نهضة مصر، 1978، ص223.

(5) عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ط1، بيروت- دار العلم للملايين، 1984، ص100.

(6) عبد العزيز، عبد الرحمن، الحوار في الشعر العربي، ص6 .

(7) الحكيم، توفيق، فن الأدب، د.ط، مصر - دار مصر للطباعة والنشر، د.ت، ص140.



وتكمن أهمية الحوار الخارجي كونه "بؤرة مهمة في بنية العمل الدرامي".<sup>(1)</sup> لقد ارتبط الشاعر يوسف الخطيب بواقعه ارتباطاً وثيقاً، فأخذ يتأمل ما يدور حوله وينسج من هذا الواقع حكايا ليحبر عنه، ولكن لم يكن هذا على حساب ذاتية الشاعر، لأن واقعية الشاعر لا تعني بالضرورة "إغفال الذاتية، بل إن ذاتية الفنان مستمدة من الواقع المحيط به".<sup>(2)</sup>

ومن الأمثلة على الحوار الخارجي الواقعي الذي يصف واقع الفلسطيني بعد النكبة، قصيدة "دمشق والزمن الرديء"، لقد أظهر الحوار علاقة الشاعر مع أبناء الأمة العربية الذين وقفوا مكتوفي الأيدي اتجاه القضية، ويبدأ هذا الحوار بوصف هذا العالم العربي، الذي غرق في اللهو والمجون، يقول<sup>(2)</sup>:

ورأيتُ إسكافيَّ رُومةَ يُوسِقُ<sup>(3)</sup> التيجانَ

فَوقَ المدِّ، لِلشرقِ العجيبِ !!..

شرقِ "النَّبوةِ \_ والحريمِ"،

مدى "الزلازلِ \_ والركودِ"،

دمُ "التجمُّدِ \_ واللَّهيبِ" !!..

\_ ما تلكَ؟..

\_ أحذيةٌ ..

\_ لِمَنْ؟

\_ لِحِباهِ أقبالِ<sup>(4)</sup>

---

(1) الحيايني، محمود خليف خضير، استجابة المتلقي في قصيدة الدراما العربية، د.ط، عمان - دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2014، ص 127.

(2) مهران، رشيدة، الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر، ط1، الإسكندرية - الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص 21.

(3) يوسق: حملها.

(4) أقبال: ملك من ملوك اليمن أو زعيم قبيله.

وراءَ البحرِ، زاهيةِ النُّدوبِ ..

\_ أعرفتَ منَ أنا؟ ..

\_ لا..

\_ أنا العربيُّ منَ جَبَلِ الخَليْلِ،

ضَلَلْتُ، وافترقتُ دُرُوبِي

أنا من حملتُ على جهاتِ الأرضِ فاجعةً

الثُّرابِ الخَصبِ، والزمنِ الجديبِ<sup>(1)</sup>

لقد عرّف الشاعر بنفسه أنّه عربيّ ولم يقل فلسطيني، ليعبر عن عروبتّه علاقةً وطيدةً بالأُمَّة العربيّة، ولكن هو ضل الطريق فلم يعد العربي من به نخوة، أو من يدافع عن حق أحد.

ولعل لجوء الكثير من الشعراء الرومانسين إلى الإطار القصصي فراراً، من الكشف المباشر عن عواطفهم، فتكون الفرصة كبيرة للتأثير النفسي والقدرة على الإيحاء لتوليد المعاني النفسية والشحنات الانفعالية.

لقد أراد الشاعر الكشف عن الصورة الحقيقية للأمة العربية، وذلك "عندما يضعنا أمام مفارقة تصويرية فيلاده كبيرة ملء الأرض ووسع الشمس ولكنه بلا وطن"<sup>(2)</sup>، يقول:

وأنا الذي وطني أرتحالُ الشمسِ ملءَ الأرضِ،

لكني بلا وطنٍ

منذاً يُصدّقني!!!

أبليتُ نعلي في الرمالِ، وفي الجُرودِ<sup>(3)</sup>

أدقُّ أبواباً وتدفعني..<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 133 .

(2) أبو عيدة، أمل جمال، يوسف الخطيب حياته وشعره، ص75.

(3) الجرود: صحراء قاحلة.

(4) أبو عيدة، أمل الخطيب حياته وشعره، 2/ 135.

لقد فُوبل بالرفض من الجميع، وهنا صوتان صوت الشاعر والصوت الآخر، صوت العربي الغافل عن الحقيقة، ومن خلال ذلك الحوار نلمح العذاب الذي يعاينه الشاعر، فهو يتكلم ولكن الصوت الآخر لم يفهم عذابه، ولغته أضحت غير مفهومة للآخرين وكأنه من عالم لا يعرف ولا يفهم ، فلم يستطع أحد فهم مدى الجرح والحزن الذي يعاينه حتى لو أجاب عن الأسئلة كلها، لأن عذابه مكنون في داخله لا يستطيع أحد أن يفهمه، يقول:

\_ مَنْ أَنْتَ ؟..

\_ مِنْ عَرَبِ الْخَلِيلِ..

\_ وَعَمَّ تَبْحَثُ ؟..

\_ عَنْ ثَرَى حُرٍّ، وَعَنْ سَكَنٍ

\_ هَلَا أَقَمْتَ بِنَا ؟..

\_ أَقَمْتُ هُنَا..

\_ فَمَا يُشْفِيكَ؟!..

\_ هَمَّ لَيْسَ يُبْرِخُنِي..

\_ مَا ذَاكَ؟!..

\_ جُرْحُ الرُّوحِ فِي اللَّطْرُونِ

\_ لَمْ أَفْهَمْ عَذَابَكَ!..

\_ كَيْفَ تَفْهَمُنِي،

وَأَنَا الَّذِي وَطَنِي ارْتِحَالُ الشَّمْسِ مَلءَ الْأَرْضِ،

لكني بلا وطن!!..<sup>(1)</sup>

اتسم الحور الدرامي بالحركة السريعة وتسارع في الأحداث بين طرفي الحوار، معبراً عن مظاهر الألم والضعف الذي أصاب جسد الأمة العربية، وأعتري أوصالها .

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 135 .

وفي قصيدة "سيأتي الذي بعدي"، جاء الحوار بشكل غير مباشر، ذلك أن الشاعر تخيل من يخاطبه ويسأله عن حاله، لم يأت الحوار على صيغة (قال، قلت) بل جاء على لسان الشاعر بـ (لأقول) وتخيل من يسأله عن همه وحاله فأجابه، يقول: (الطويل)

تُسائلُ عن حَلِّي، وعن همِّ ترحالي

وما زادُ أسفاري، ومرساةَ آمالي؟

أقولُ، وبي قصدُ الغريبِ، وكبرُهُ ..

لِيِ الراحةُ العزلاءُ، والهدفُ الغالي

وحسبي جبينٌ ضيَّاتٌ جراحُهُ

ضياءَ رِذاذِ النجمِ في الفلكِ العالي

وحسبي تهيجُ النارِ في الموتِ أحزفي

وتمسحُ تيجانَ القياصرِ أذيالي<sup>(1)</sup>

لقد جاءت إجابات الشاعر عن نفسه شامخة رافعة الرأس، فجبينه به ضياء كضياء النجوم في السماء، وكلماته تُشعل النار في الموت حتى القياصر والملوك، يتخيل بأنها تمسح على ذيله. يكمل الشاعر إجابته عن السؤال بوصف حال شعبه الذي شرد وأستبيح ماله وأرضه، ويقسم أن يأخذ بثأره مهما طال الزمن، يقول:

تحدِّثُ أن شعبي يُباعُ، وموطني

يُبأحُ، وأن أغلي الحصى قوتَ أطفالي

وبُلغتُ في غارِ العذابِ رسالتي

تنزِيلُ جبريلُ الخيامِ فأوحى لي

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 79/2 .

حرامٌ على عيني الرقاد، وأمّتي

شتات، وآفاقي تناثر أطلال

لأبتدرن الصُّبحَ قبلَ اشتعالهِ

وأورثُ في عمقِ السكينةِ زلزالي!!<sup>(1)</sup>

يكمل مجيباً من يسأله عن حاله، بأنه أصبح منتقلاً مرتحلاً حاملاً معه آماله، له همة قوية لا يستسلم لأحد، ولو كلفه ذلك التشرّد والتنقل من مكان لآخر، فقول الحقيقة والتمسك بها يستحق هذا الثمن، يقول :

تُسائلُ عن حَلِّي، وَعَن هَمِّ تَرحالي

وما زادُ أسفاري، وَمَرساةُ آمالي!؟

تَرَحَّلْتُ، لا أرضى الرِّضاَ عندَ لَذَّةٍ،

ولي هَمُّ مَوْتُورٍ، وهِمَّةُ جَبَّارٍ

ومذُ قلتُ في رَهطِ المُلوكِ نُبُوعتي

تَغَرَّبْتُ في أهلي، وشُرِّدتُ في دراي!!<sup>(2)</sup>

ومن "تقاسيم على الخفيف" بعنوان "بين قمح وزؤان"، أدار الشاعر حواراً بين القمح الذي رمز به لنفسه، والزؤان الذي رمز به للمغترب عن قيمه ومبادئه، يقول: (الخفيف)

قال لي: ما تزالُ شاعرُ ورنٍ

وقوافٍ، ورنّةٍ في خطابك

قلتُ: هذي، نَعَم، حَصيدةُ حَقلي

صاعُ قَمحٍ، ولا زؤانُ<sup>(3)</sup> اغترابك!!<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 80.

(2) الخطيب، م . ن، 2/ 80.

(3) زؤان : ما ينبت بين نبات الحنطة ويكون لونه أسود

(4) الخطيب، م.س، 2/ 223.

عبارات مكثفة حملت معاني كثيرة معبرة، فالشاعر له حقلٌ يزرعه قمحاً، وقمح الشاعر أفكاره وشعره المتمسك بهما رغم معاقبته عليها، والزؤان هو الرضى بالإغتراب عن الوطن والمناداة بهذه الفكرة، والتشجيع على الرحيل الفكري، وتبني أفكار الآخرين والرحيل الفعلي البعد عن الوطن، وتصوير محاسن الغربة.

وفي حديثه عن الغربة والغريب، ظهر الحوار معبراً عن الصراع الداخلي في نفس الخطيب، ليقول لابنته في "تسألين الغريب" ليس للغريب سوى الأسى والعذاب المقيم، يقول: (الخفيف)

تَسْأَلِينَ الْغَرِيبَ، مَا فِي جِرَابِهِ

غَيْرِ بُوْحِ الْأَسَى، وَنَارِ عَذَابِهِ

يَا ابْنَتِي، لَوْ عَرَفْتِ مِنْ طَارِقِ اللَّيْلِ

شَرِبْتَ الصَّبَاحَ مِنْ أَهْدَابِهِ!!<sup>(1)</sup>

و"بلا جواب" مثال آخر على الحوار الخارجي الذي يمثل العقاب لمن يبوح برأيه ويتمسك به، ليكون جزاءه الموت، يقول: (الخفيف)

قَالَ مَا الْمَوْتُ، قُلْتُ: غَفْوَةٌ دَهْرٍ

قَالَ: مَا الْبَعْثُ، قُلْتُ: يَوْمَ حِسَابٍ

قَالَ: مَاذَا نَكُونُ، قُلْتُ: أَعْذَنِي

دُونَ فَصْلِ الْخِطَابِ، فَصَلْ رِقَابٍ!!<sup>(2)</sup>

جاء الحوار بين الشاعر وضمير الغائب، ويتميز هذا المقطع "بشدة التكتيف والتركيز والاقتصاد اللغوي، وبعض الشذرات الفلسطينية التي تتناول قضايا كبرى، كالموت والبعث والمستقبل"<sup>(3)</sup>، اختصر الشاعر العديد من التساؤلات في إجابة واحدة وهو "فصل رقاب"، وذلك جزاء من يحاول التمرد على الحكام، وقول رأيه، وهذا دليل على عدم الديمقراطية.

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 229.

(2) الخطيب، م.ن، 2/ 231.

(3) حسن، ناهض، يوسف الخطيب، ذاكرة الارض، ذاكرة النار، ص25.

وفي قصيدة "إمنع الخمرة عني" جاء الحوار ما بين الإنسان والجنّي، عندما حضر الإنسان على بوابة الليل، ونادى على الحاشية ليطل عليه الجنّي ويحاوره وعن طريق السؤال والإجابة، جرى هذا الحديث بينهما، يقول: (الرمّل )

جئْتُ بابَ الليلِ،

ناديتُ على حاشيةِ القيل<sup>(1)</sup>،

أطلُّ الحارسُ الجنّي من أعتَم كُوه<sup>(2)</sup> ..

مَنْ وراءَ البابِ

إنسانٌ

وما خطبُك؟

رَحَالُهُ أَحلامٍ، وَبِي مَسُّ نُبوَّة...<sup>(3)</sup>

وجاءت المفارقة عبر إجابات الشاعر عن أسئلة الجنّي "قد ضيعني بيتي"، فالشخص هو من يضيع المكان، وليس المكان من يضيعه، لقد تغرب الشاعر وأصبح مطلوباً في كل مكان، حتى نفسه لا يستطيع العودة لها وهنا كانت المشكلة الكبرى، يقول:

عُدْ إلى بيتك

قد ضيَّعني بيتي !! ..

إلى أهلك

مَطْلُوبٌ مِنَ الْمُفتي !! ..

إلى نفسك

يا ليت .. هنا أعمقُ فَجْوَةٌ!!!...<sup>(4)</sup>

استمر الحوار بين الجنّي والإنسان "ذات الشاعر" وأراد أن يقابله مع سيد الليل، وسأله ماذا يريد، وكانت الإجابات صادمة، فهو يريد ما ينسيه همومه، (أفيون، غيبوبة، عفاريت، غلمان)، يقول:

(1) القيل : من ملوك اليمن في الجاهلية.

(2) كُوه : خرق في الجدار.

(3) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 29/3

(4) الخطيب، م.ن، 30/3.

ما أنبئني سيّد الليلِ إننّ؟..  
قلّ له: بالبابِ من يسألُ  
تعميرةً أفيون.. وغيبوبةً نشوة..  
وحرّياً؟..  
قمرًا أبيض، رجراج القفا  
وكحولاً؟

(1) وعفاريت، وغلّماناً، وشهوة..

يستمر الحوار عبر تساؤلات الجني عن شخصية هذا الإنسان الذي يسعى إلى الغيبوبة والنسيان، لقد عرف الجني أشخاصاً أكثر من عشاق وأفاقين وحنّالات وصفوة، ولكنه لم يعهد أناساً مثل الشاعر، يقول:

فلمن تمني بحقّ الزفت...  
قد مرّ بهذا البابِ عُشاقٌ، وأفاقون  
عدّ الكشك في البرغل...  
(2) أخلاط حنّالاتٍ ... وصفوه؟....

يرد الشاعر على تساؤلات الجني، ليخبره بأنه عندما كان يرعى غنم السلطان، جاءت امرأة ووعده بجزر الواق فاضن أنها بعيدة منه، وكانت قريبة ولكن لا يدركها، يقول:

كنتُ، حتى أمسٍ، وفي سادرة القطعان  
أرعى كلاً السلطان  
لما ضيّعتني امرأةٌ ... في موعدٍ..  
وصفت لي جزر الواق إليه  
وهي مني قيدُ خطوه.. (3)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 30/3.

(2) الخطيب، م.ن، 30/3.

(3) الخطيب، م.ن، 31/3.



لقد عبر الشاعر عبر حوارهِ مع الجنى عن حالة نفسية معينة، حيث الظلم الاجتماعى والغربة المكانية والنفسية .

وفى قصيدة "أنهض من جنازتي وأمشي" راوح الخطيب ما بين السرد والحوار، لىبرز الصراع الدائر بين ذات الشاعر وموقف العرب، وهنا" استحضر الخطيب الصليب وأسقطه على المعاناة موحداً بين الإنسان والمسيح عذاباً، وبين الأرض والصليب احتلالاً،"<sup>(1)</sup>، يقول: (الرجز)

قُلْ عَنِّي الطِفْلَ الَّذِي يُوسَمُ مِنْ حَلِيبِهِ  
أَوْسَمَنِي قَتِيلِ حُبْ  
بِى جَسَدُ الْمَسِيحِ مُوثَقاً عَلَى صَلِيبِهِ  
فِي عَالَمٍ بَدُونِ قَلْبِ  
يَا رَاجِمِي شَعْبَ فِلَسْطِينَ عَلَى ذُنُوبِهِ  
مَنْ مَنَكُمُ بَدُونِ ذَنْبٍ !!...  
نعم.. أنا طَفَقْتُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ  
يَا أَيُّهَا الْقُضَاةُ  
لَعْنَتْ فِي السَّاحَاتِ أَسْمَاءَكُمْ اللَّعِينَةَ  
وَقَلَّتْ إِنْكُمْ طُغَاةُ<sup>(2)</sup>

يعود للحوار لىبرز رده على العالم بأسره، بعد أن أتهم بالجنون وقرر الاعتراف بحبه لفلسطين وما فيها، يقول:

وساقتى الجُنْدُ أَمَامَكُمْ بِتُهْمَةِ الْجَنُونِ  
وَقَالَ لِي الْعَالَمُ: قِفْ  
لَا تَسْأَلُونِي أَيُّهَا الْمُحَلَّفُونَ مَنْ أَكُونُ  
فإنني سأعترف<sup>(3)</sup>

(1) أبو عيدة، أمل جمال، يوسف الخطيب حياته وشعره، ص112.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/87.

(3) الخطيب، م.ن، 3/88.

وبنبيرة قوية وحركة إيقاعية سريعة، يسرد لنا الشاعر اعترافه بحب فلسطين، فجسده جزء من فلسطين وألوانها، وهو متوحد بأحزانها، وهو الأمل الذي ينبت في بستانها، يقول:

أنا الذي سجّلتُ في عينيّ عُنوانها

جسدتُ في جسمي فلسطينَ وألوانها ..

أنا الذي جرّعتُ فوق الطُّورِ أحزانها

وإنني الوعدُ الذي ينشُرُ بُستانها<sup>(1)</sup>

يكمل الشاعر قصته، ليذكر لنا أسماء المجازر التي مر بها الشعب في لبنان وقبية، ليخبرنا بأنه صحا من غفوتة، وفهم اللعبة وإن الوعود باتت كاذبة، يقول:

وها أنا ألتقطُ الرصاصَ في عُيونهم

في نارِ لُبْنانَ،

أُسويهِ على صدورهم قلاده

يا أيها الموتُ الذي يُشعلُ بالجرحِ الدُجى

أشهدُ أنكِ الولادة!!

نعم .. أنا نهضتُ من رُفاتِهِم،

صعدتُ من قرارِ وادي الموتِ

أنا جَميعُهُم ..

شبعْتُ موتاً، رُبْعَ قرنٍ، وارتويتُ

أنا شهيدُ غزّة..

شهيدُ قبية..

---

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 88/3.

شَهِيدُ بئرِ زَيْتٍ..

عَفَوْتُ دَهْرًا فِي دُجَى عُيُونِهِمْ ...

لكنني صَحَوْتُ!!<sup>(1)</sup>

جاءت هذه " المعاني النبيلة والمبتكرة والأخيلة والصور الموحية اللَّمَّاحة، والمشرقة واللغة النضرة المطواعة يمكن أن نجدها في هذا المقطع الشعري، لقد عمَّق الحوار من البنية الدلالية والفكرية للنص إذ ركز الشاعر على عدة أفكار ودلالات جوهرية وأساسية وهي القوة والتوكيد والروح القومية"<sup>(2)</sup>.  
وفي قصيدة "بالشام أهلي والهوى بغداد" جاء الحوار على شكل مناجاة ضمن فيها بعض الآيات الإنجيلية، وهنا ناجى الخطيب ربه عبر هذه الأبيات، يقول:

وہا ہما، من تلح سِنْجَارَ، تَمَسَّدَانِ قَمْرَا

وتُذْهِلانِ الجِنِّ، والنَّجُومِ سَوْرَا

وتَدْعُوانِ الله .. أن يسوقَ قَدْرَا ..

\_ "فما تُرِيدُ؟؟..."

\_ "ما أريدُ، يا مَوْلَايَ.."

"أن أشيعَ في عَلاكِ بَدَدَا"

"أريدُ جَبْرِيلاً... وتَنْزِيلاً..."

"وَحَيْلاً لا تُرى... وَمَدَدَا"

"أريدُ أن أصوغَ أَقْنُومِينَ"<sup>(3)</sup>

"في هَوَاكَ .. أَحَدَا.."

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 88/3.

(2) حسن، ناهض، يوسف الخطيب، ذاكرة الأرض، ذاكرة النار، ص24.

(3) أقنومين : وهي أحد مبادئ العالم الثلاث الواحد والعقل والنفس.

"أريدُ يا مولاي، بعدُ

"أن أصبَّ دجلةً في بردى!!..."<sup>(1)</sup>

وفي "أربعون رباعية"، اتكأ الشاعر هنا على الحوار " لتعميق البنية الدلالية في النص ، إذ استند إلى الذاكرة العربية ليؤكد من خلالها عمق ارتباط الفلاح العربي بأرضه وأرض أجداده، من حيث ثمارها وفواكهها ونباتها ومناخها"<sup>(2)</sup> لقد استمد الفلاح الحكمة من نبات الزيتون، الشجرة المباركة ويتواصل الشاعر مع القرآن في مقطوعته، يقول: (مجزوء الرمل)

كان شَيْخٌ يَزْرَعُ الزَّيْتُونَ فِي عَدْوَةِ وادي

قُلْتُ: يَا عَمُّ سَيْسَتَانِي طويلاً مَنبَتُهُ

قال: هذي عَرَسَةُ الحِكْمَةِ فِي رُوحِ بِلادي

هي .. لا شَرْقِيَّةَ الزَّيْتِ .. ولا غَرْبِيَّةً!!"<sup>(3)</sup>

وفي مقطع من قصيدة" أغاني الهوى " جمع الشاعر ما بين أسلوب الحوار والاستنكار، عندما أجرى حوار مع المحبوبة سائلاً إياها عن ذكرياتهم في الوطن، يقول: (المتقارب)

وكانت لنا أرزةٌ وحدنا

تَلُوخٌ مِنَ البُعدِ فِي المُنْحَنِى

حَفَرْنَا على ساقِها الذِّكرياتِ

وأغصانُها أَيْنعت حَبَّتْنا

وأحلامنا فِي ربيعِ السنينِ

أما تَذْكُرِينَ .. أما تَذْكُرِينَ؟! "<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 147/3-148.

(2) ناهض، حسن، يوسف الخطيب، ذاكرة الأرض، ذاكرة النار، ص23.

(3) الخطيب، م.س، 312/3.

(4) الخطيب، م.ن، 117/1.

وفي "أرض المعاد" استطاع الشاعر أن يصوغ قصة من خلال السرد باثاً فيها حزنه وألمه، وأفتتح القصيدة بالضمير (أنا)، ثم جاءت الأفعال الدالة على الحزن والبكاء متتابعة تفيض بالدمع (أرثي، أبكي)، لقد بكى الشاعر حاله وحال شعبه في أرض الغربية، يقول: (الخفيف)

أنا لحنٌ يفيضُ بالدمع، والآه ..

ونائيٌ ملوّع الإنشادِ

جئت أرثي قتلاي في ساحة النور،

وأبكي بعضَ الدموعِ بلادي

إخوتي في الخيامِ قدّمت إكليلي

عزاءً ولم أزل في حدادي

أحسب النازحين لم يبرحوا الدار

سوى أمس، في الصباح النادي<sup>(1)</sup>

ويكمل الحوار في قصته عندما عبر عن حلم أبناء شعبه بالعودة، حين قال على لسانهم يوم قالوا:  
يقول:

يومَ قالوا: غداً نعودُ ... وما عادوا....

وهاموا في كلِّ قفرٍ ووادٍ

ثم سيقوا للرافدين يُعيدونَ

حكايا التاريخ من عهدِ عادٍ!!<sup>(2)</sup>

يُقال "إن أسمى العواطف الأدبية هي التي تحيي الضمير، وتزيد حياة الناس قوة، والأدب الراقي هو ما يثير فينا إنفعالاً وميلاً إلى الحياة الراقية"<sup>(3)</sup>

ثانياً: الحوار الداخلي:

المونولوج: "وهو المحادثة الداخلية في المسرح، أو المونولوج الدرامي وهو ما يميز القصيدة الدرامية، حيث يتواجد متكلم خيالي يخاطب مستمعين خياليين، وحيث تكشف فيه شخصية ما عن

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 121/1.

(2) الخطيب، م.ن، 121/1.

(3) أمين، أحمد، النقد الأدبي، ص31.

طبيعتها والموقف الدرامي الذي يحوطها، فهو عبارة عن رسم غير مباشر لشخصية ما أو أثر أدبي مرتكز على حادثة واحدة، تقدم شخصية خيالية أو حقيقية في حديث من جانب واحد، يوجه للقارئ أو لشخصية أخرى أو لجماعة من الناس<sup>(1)</sup>، وقال عنه روبرت: "هو ذلك التكنيك الذي يستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية، والعملية النفسية لديها دون التكلم على نحو كلي أو جزئي في اللحظة التي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود"<sup>(2)</sup>. فالحوار الداخلي بهذا التعريف له علاقة بخبايا النفس وما يدور بها قبل التكلم به أو كتابته، وممن ربط الحوار الداخلي بذكريات سابقة خليل الموسى حين قال: "الحوار الداخلي يرتبط بنوع آخر من أنواع التفكير، وهو تخيل الذاكرة معتمداً الشخصية في بناء حوارها الداخلي على ذكريات سابقة تعيد الشخصية بناءها"<sup>(3)</sup>، وهذا التعريف يتناسب مع أغلب القصائد التي اعتمد فيها الخطيب على الحوار الداخلي، ومن هذه القصائد "النجسة الحمراء" حين أجرى الشاعر حديثاً مع نفسه تلك النفس الحزينة"، وهنا يكشف عن مدى تعلقه بتراب أرضه الطهور، تراب يافا، أنه مقطع مسرل بالحزن والأسى بسبب عدم قدرة الشاعر على الأتيان بالنجسة الحمراء لحبيبتة"<sup>(4)</sup> فلسطين، بعد أن أصبحت يافا بعيدة لا يمكن للشاعر أن يحقق أمنيته في العودة إليها وأخذ نرجسة حمراء من أرضها ليقدمها للمحبة، وهنا" يناجي وطنه في صورة الحبيب المنتظر"<sup>(5)</sup>، يقول:

أُسيّتي حُزْنٌ شماليّ  
 وأسفار سدى..  
 من أين يا حُبي تُرى آتيك  
 "بالنرجسة الحمراء"!!..  
 مهراً من أقاصي الحُلم؟<sup>(6)</sup>

(1) دوام، مجدي، البنية الدرامية في شعر المهجر، ص16.

(2) همفري روبرت، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة محمود الربيعي، دط، القاهرة - دار غريب، 2000، ص42.

(3) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية المعاصرة، دراسة، دط، دمشق - منشورات اتحاد كتاب العرب، 2003، ص285.

(4) حسن، ناهض، يوسف الخطيب، ذاكرة الأرض، ذاكرة النار، ص30.

(5) أبو عيدة، أمل جمال، يوسف الخطيب حياته وشعره، ص31.

(6) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 111.

يعقد مقارنة ما بين بساتين الأرض وثرى يافا، فيافا لا يماثلها شيء في الجمال ونرجسها لا يماثله نرجس في العالم، ونراه يشخص الشفق بإنسان يبكي، لقد حاول الوصول الى أرض الوطن بكل الطرق، صحب النبع عليه يوصله إلى يافا، لكن دون جدوى، يقول :

ما خَلَيْتُ بُسْتَاناً وِراءَ الشَّفَقِ البَاقِي

وَلَا بَرِيَّةً فِي الأَرْضِ..

\_ لَمْ أَلَقَ الثَّرَى اليَافِيَّ..!!

ما خَلَيْتُ نَبْعاً لَمْ أُصَاحِبُهُ

إِلَى البَحْرِ.. (1)

ينتقل الشاعر من الحوار الداخلي إلى الحوار الخارجي مع المحبوبة، ليقول لها: بأن قلبه مكسور، ومع هذا يقدمه مهراً لحبيبته، إن قبلت به !فنجسة يافا لا سبيل للوصول إليها، ونرجسه قلبه هي ما سيهديها للمحبوبة، يقول:

ويا مَولاي ..

ها قَلْبِي كَسِيرٌ فِي يَدِ الدَّرْبِ،

فإن تَأخُذُهُ عَن مَهْرِ الهوى،

خُذْهُ..

هنا "ترجستي الحمراء "

في قَلْبِي ..

أرح صَدْرِي عَلَى صَدْرِكَ،

إِنِّي مُتَعَبٌ ... مُتَعَبٌ!! (2)

عبر الشاعر بصدق عن مشاعره "، وهذا الصدق الفني ينبع من عاطفة قوية ألتمت بالكاتب أو عاشها وادخرتها نفسه واختلطت بها من خلال تجارب حياته وعلاقات مجتمعه ودخائل نفسه ومكنون ضميره (3) .

وفي قصيدة "جبهتي تُنكر الخيانة"، جمع يوسف الخطيب بين أسلوب الاسترجاع وتذكر الأيام

الماضية والحوار الداخلي من خلال تذكره لأيام الطفولة في وطنه، يقول: (الخفيف)

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 1/ 111.

(2) الخطيب، م، ن، 2/ 112.

(3) نوفل، حسن يوسف، أصوات النص الشعري، ص2.

كَانَ لِي مَوْطِنٌ يَرِفُ هُنَاءً

فِي ضُلُوعِي، وَنَشْوَةٍ فِي وَجْبِي

لِي فِي كُلِّ خَطْوَةٍ مِنْهُ ذِكْرِي

وَعِنَاقٌ مَعَ الضُّحَى وَالْمَغِيبِ

وَحَدِيثٌ إِلَى الرِّمَالِ، وَنَجْوَى

لِلأَصِيلِ الْمُتَوَّنِ الْمَخْضُوبِ<sup>(1)</sup>.

حشد الشاعر العديد من المتقابلات (ضحى ومغيب وأصيل)، "لقد جاءت المتقابلات لفظية ذات رصيد نفسي ووجودي، وأصبح استخدام المتقابلات استخداماً درامياً عندما تدل على أبعاد نفسية حقيقية، أي عندما ترتبط ارتباطاً كلياً بالموقف الشعوري الذي يعبر عنه الشاعر."<sup>(2)</sup>

وفي "أرض المعاد" نلمح الحوار الداخلي عبر الذكريات وكما عودنا فإن حنينه يكون بالدرجة الأولى إلى الأراضي المحتلة عام (1948)، فهو في هذه الأبيات يصرخ في داخله من شدة الألم وذلك بسبب حنينه وشوقه إلى أرض فلسطين، يقول: (الخفيف)

ذَكَّرُونِي بِاللَّهِ، بِالكَرْمِلِ السَّاجِي<sup>(3)</sup>

عَلَى الْبَحْرِ بِالرُّبَى.. بِالْوَهَادِ

بِالظَّلَالِ الْخَضْرَاءِ... بِالكَوْخِ... بِالْجَدُولِ

سُحْقًا لَقَدْ أَضَعْتُ بِلَادِي

بَقِيَّتِ لِي ذِكْرِي الْيَتِيمِ فَقِيدِيهِ..

وَدَمَعُ الْيَتِيمِ فِي الْأَعْيَادِ

بَقِيَّتِ لِي مِنَ الْحَدِيقَةِ أَشْوَاكٌ..

وَقَلْبٌ دَامٍ، وَعَيْنٌ سُهَادٍ<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/ 99.

(2) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دط، القاهرة- دار الفكر العربي، 1967م، ص291.

(3) الساجي: الليل الهادي، غير المظلم.

(4) الخطيب، م.س، 1/ 122.



لقد تجلى حوارهِ في عبارة "سحقاً لقد أضعت بلادي"، وعبارة "بقيت"، لقد حُرم الشاعر من كل شيء جميل ولم يبقَ له إلا الذكرى والألم في عبارات (أشواك، وقلب دام، وعين سهاد، يُتم).

لقد ارتبط حوارهِ الداخلي "بالذكرى" فتعتمد الشخصية في بناء حوارها الداخلي على ذكريات سابقة تعيد الشخصية بنائها<sup>(1)</sup>.

وفي "سوق العبيد" مزج يوسف الخطيب حوارهِ الداخلي مع الصراع الداخلي ليُجعل منه "مادة شعرية جديدة لا تتبثق عن الفكرة الأولى، وإنما عن هاتف جانبي للاشعور"<sup>(2)</sup>، وذلك من موقف الأمة من اليهود وكأنهم أصيبوا بالإدمان على المجازر والقتل والتشريد، ويعبر عن حوارهِ باستخدام (يا أنا) فهو ينادي على نفسه يعلوه اليأس، وذلك عبر العبارات التي حفلت بها القصيدة فهو شمعة تحترق، ودعاء، وخراب، وسجون، يقول:

في ضُلُوعي دَفْقَةٌ عارِمةٌ لا تَسْتَكِينُ

في ضُلُوعي أَنَّنِي أَحيا حَيَاةَ المَيِّتِينَ

يا أَنا .. يا سِلعةً هَيئةً لِلْمُشْتَرِينَ

يا أَنا .. يا قَدْحاً في سَهَرَاتِ المُتَرَفِينَ

يا أَنا.. يا شَمعةً تَحرقُ لَيْلَ الكادِحِينَ

في ضُلُوعي.. دِماءٌ، وجرابٌ، وَسُجونٌ

وَجِبَاهٌ في الدُّجى تَتَرَفُّ حَمَرَ الحاكِمِينَ.

وأنا في السُّور.. في إطِرافَةِ الليلِ الحزينِ

حاضري وَهَمِّ، وَأشباحُ تَرَيَّتْ باليقينِ.<sup>(3)</sup>

(1) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية المعاصرة، ص285.

(2) فرحات، أسامة، المنولوج بين الدراما والشعر، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص27.

(3) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 127.

امتد الحوار الداخلي عبر المقاطع الشعرية، حيث برز من خلال معاناة يوسف الخطيب عبر وصفه المنفى والغربة، لقد عاد إلى عهد الجواري والعبيد ليعبر عن حاله والفرق كبير "بين أن تعيش المأساة وأن تدركها، وهو نفس الفرق بين أن تكون حزيناً وأن تدرك معنى حزنك، فبين الرؤيا القاتمة والإدراك الناصع يتراوح الوجود. بين ظاهر مائل للعيان ومدرك كلي"<sup>(1)</sup>، يقول:

وأرى نفسي في سوق العبيد

يهتف البائع والشاري يزيد

وأرى جارية، مثلي تباع

وأرى شيخاً وأطفالاً جياغ

أفلا دقت نواقيس الصراع؟!

وأرى النخاس في الثوب القشيب

حانقاً يعبت بالسوط الرهيب

ويمر الموكب الرسمي فينا

جاءنا اليوم رسول يشترينا<sup>(2)</sup>

لقد قدم الخطيب "الحوار الداخلي من خلال الفعل المضارع"<sup>(3)</sup> فالفعل أرى كرره الشاعر في أكثر من بيت وكذلك يهتف، ويمر ليقدم لنا عبرها قضيته في المنفى والغربة فهو لم يتكلم عن نفسه فحسب، بل كان ينظر لحاله وحال من حوله وكان الحوار الداخلي، "استبصاراً للتجربة الإنسانية"<sup>(4)</sup>.

وفي قصيدة "بالشام أهلي والهوى بغداد" جاءت القصيدة حزينة باكية، وبايقاع قصصي يشد المتلقي لإيحاءات الوقفة الطليقة الحزينة فهو يتألم بجسمه وقلبه، يقول:

(1) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، ص350.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/ 128.

(3) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية المعاصرة، ص128.

(4) فرحات، أسامة، المنولوج بين الدراما والشعر، ص 30

بَعِيدَةٌ، بَعْدُ، مَوَاعِيدُ الْهَوَى

بَعِيدَةٌ، بَعْدُ، مَرَايِءُ الْحَنِينِ

مَنْ أَضْغَرُ الرُّوْيَا عَلَى مِثَالِهَا

وَأَنْدَرُ الْأَفْقِ .. وَأَطْوَى السِّنِينَ..<sup>(1)</sup>

ومما ذكره عن القصيدة في التقديم لها "إن جميع مرافئ الحنين التي أُنشِئَتْ لبلوغها ليست إلا مجرد بعيدة وحسب"<sup>(2)</sup>، فالوطن "هو مكان الأهل والأحبة حتى أصبح حاضنة في نشاطه الفني يبدع من خلاله همومه ومآسيه التي علقت بذاكرته ووجدانه للتعبير عن مكوناته الذاتية"<sup>(3)</sup> يقول :

بَعِيدَةٌ.....

بَعْدَ نُجُومِ الْمَنَافِي

وَعَدَّ رَمَلِ السَّوَاغِي

وَمَدَّ نَايَ الْأَسَى، وَقَوَّافِي الْأَنْبِي

وَإِنْ جَسَمِي لَمْضْنَى .. وَإِنَّ قَلْبِي حَزِينٌ..<sup>(4)</sup>

يُظهر الشاعر صراعه الداخلي عبر الحوار الداخلي الذي عبر به عن بعد المسافات بينه وبين الوطن، وكعادته يظهر لنا الحنين إلى الوطن، واتخذ يوسف الخطيب من الآلات الموسيقية والقوافي الشعرية أداة ليعبر بها عن هذا الحزن (فناي الأسى وقوافي الأنين)، ويكرر الشاعر كلمة بعيدة، لتحمل في داخل حروفها كمّ الألم الذي يعانيه، وحجم المسافة التي تفصله عن الأمل بالنصر، "ولأن الشعر كلام وجداني...فهو يختلف عن الكلام الشعري"<sup>(5)</sup>، وقال في مقدمة القصيدة إن "إبرة بوصلتي هي التي كانت تخذعني طيلة الوقت، ومنها أيضاً أن جميع مرافئ الحنين الذي اتقد شوقاً لبلوغها

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 135/3.

(2) الخطيب، م.ن، 135/3.

(3) قيدوح، عبد القادر، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص 244 .

(4) الخطيب، م. س، 135/3.

(5) كوهن، جان، الكلام السامي (نظرية في الشعرية)، ترجمة: محمد الوالي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2013، ص 86.

ليست إلا مجرد بعيدة وحسب، فهي قائمة فعلاً في ذات مكان ما لا بد أن يتراءى يوماً ... وفي ذات زمان آت لا بد أن يأزف آخر الأمر".<sup>(1)</sup>

لا يشعر بالغبرة إلا من احترق بناورها، والتهب بلهيبها، فأصبح كل ما في الوطن من المستحيل الوصول إليه، ولكن مظاهر الطبيعة تحاول مواساته والتخفيف عنه، فالبرق يومئ له أن وطنه تجمعت عنده البوابات السبع، يقول:

بَعِيدَةٌ، بَعْدُ، مَعَانِيهَا .. أَغَانِيهَا

وَقَطْرُ الْكُرُومِ

مَنْ وَاوَدَّتْنِي الْمَاءُ .. وَالصَّحْرَاءُ ..

وَالْحُلْمَ .. وَعِلْمَ النُّجُومِ ..

وَهِيَ الَّتِي مَثَلَهَا الْأَفْقُ هُنَا

وَيُومِيءُ الْبَرْقُ إِلَيَّ أَنَّهَا هُنَاكَ ..

تَقُومُ بَوَابَاتُهَا السَّبْعُ عَلَى جَدَاوِلِ السَّنَا

وَتَخْلُدُ الشَّمْسُ عَلَى قُبَابِهَا .. وَتَحُلُمُ الْأَفْلَاكُ ..<sup>(2)</sup>

يحاور الخطيب نفسه متسائلاً من سيكون رسوله ليحمل الوعد؟ ويجيب نفسه أنه هو من سيحمل المنديل والقنديل ليعبر إلى الأرض، وقلبه هو من سينزل بيتها، يقول:

فَمَنْ رَسُولِي عِنْدَهَا اللَّيْلَةَ .. أَنِّي أَنَا ..

لَعَلَّ لِي وَعَدًا وَعَيْنِيهَا

وَمِنْدِيلاً .. وَقِنْدِيلاً عَلَى شُبَّاكَ ..

وَمِضْنِ رَسُولِي أَنَّنِي عَابِرٌ سَمَتَهَا

وَأَنَّ قَلْبِي نَازِلٌ بَيْتَهَا لَا يَرِيمُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 134/3.

(2) الخطيب، م . ن، 136-135/3.

خُذِي لَهَا جُرْحِي .. لَهَا الصَدَى

وَأُخَذُ لَهَا بَوَّحِي .. حَفِيفَ النَّسِيمِ..<sup>(1)</sup>

يطلب من النسيم والصدى أن يحمل جرحه وبوحه إلى فلسطين محبوبته، بهذا استطاع يوسف الخطيب أن يعبر عن صراعه الداخلي بكلمات تكاد تحمل الحزن والأسى، كلمات تعبر عن نفسها لقوله: " سأترك لهذه القصيدة الملحمية أن تقص عليكم حكايتها بذاتها"<sup>(2)</sup>.

الخطيب أرق مضجعه حاله وحال شعبه، فعبر عن ألم شعبه بضمير (الأنا) ليتحدث بلسان شعبه، ويروي مأساته ففي قصيدة "ولو رضيت خلاء النفس" يوازن الشاعر بين ماضٍ وحاضر من خلال الحوار الداخلي، ليكشف بهذا الحوار " نوازع الشخصية ومواقفها ويمنحها الحرية في تقديم قضيتها والدفاع عنها"<sup>(3)</sup>، يقول: (البسيط)

مَوْتَايَ زَرَعُ المَدَى، مَا قُمْتُ عَنْ جَدَثٍ

إِلَّا إِلَى جَدَثٍ فِي الأَهْلِ أَبْكِيهِ

"أَسْتودِعُ اللهُ فِي الأُرْدُنِّ لِي وَطَنًا"

رَأَيْتِ عَلَى أذُنِ الدُّنْيَا مَرَاتِيهِ

وَيَوْمَ كَفَنْتُ فِي بَغْدَادَ مُعْتَصِمِي

لَمْ أَدْرِ أَنْ صِلَاحَ الأَئِدِينَ تَالِيهِ

لَمْ أَدْرِ أَنَّ "تَبَوَّكَأ" جَفَّ دَافِقُهَا،

وَلَا نَبِيٍّ، مَدَارَ الأُفُقِ، تَسْقِيهِ

يَا أَيُّهَا الكَأْسُ، لَا مَسَّتْ طَلِيَّ شَفْتِي،

وَأُمْتِي خَلَفَ وَهَجَ الأَلِ فِي التِّيهِ

وَلَوْ رَضِيْتُ خَلَاءَ النَّفْسِ مِنْ وَطَنِي

أَرْضِيْتُ عَنْ حَنْظَلِ السَّاقِي، دَوْلِيهِ<sup>(4)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 135/3.

(2) الخطيب، م. ن، 133/3.

(3) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية، ص285.

(4) الخطيب، م.س، 139 /2.

وفي مقطع آخر من القصيدة أعطاها الشاعر رقم (6)، يشتد الحوار الداخلي عند الخطيب عبر الصراع الداخلي، هذا الصراع الذي عايشناه مع أغلب قصائد الشاعر، فالشاعر دائم الرفض لموقف أمته وما بين اليأس والأمل يبدأ مقاطعه الشعريه يقول:

كأنني الآن جميعُ أمّتي .. أموتُ..

لكِنني أقرأ في الرؤيا

أني أنا "الخضر" الذي سأقتل الطاغوث

وأنني، ثانيةً، أحياء.. (1)

ويعود" ليبنى حواراه الداخلي على ذكريات سابقة"، (2) وهي ما حل بالفلسطيني في عجلون في أيلول الأسود ليرحل عبر الذكريات الى ما حل في بيروت، وصبرا وشاتيلا، هذه المفاصل التاريخية في القضية لقد طورد وشرد أبناء الشعب من مكان إلى مكان دون نصير، يقول:

كأنّ سضيقَ الكون .. عجلونٌ ..

ومدّ العين .. بيروتٌ ..

ومدّت سفرة الموتِ على الأفقِ

وأولمت شواءها النيرانُ !!..

صباحها..

سويّت من جلدة جبهتي .. ربابةٌ ..

وسقّت هودجاً .. وناقاةً..

أوردُها ..

لم أدر أنه الطوفانُ !!..

وكان أسطولُ أبي .. من ورضقٍ..

نبتتُ كلَّ فلكِ البحرِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 140.

(2) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية المعاصرة، ص 285.

وانتذبت قِمةَ العِصيانِ!!..<sup>(1)</sup>

يتابع القصيدة باحثاً عن الخلاص لكن دون فائدة، ليس هناك ما يساعده على الوصول إلى ما يريد، حياته أصبحت مطاردة منذ اليوم الذي خرج به من أرض الوطن، يقول:

لكنني ضيّعتُ علياءَ الذرى

لم أدخر إلى معارج السماءِ متناً

وها أنا أصدعُ قِمةً تخونني ..

ألهتُ في بلوغها .. وهي تغوصُ أدنى..

أهيمُ وسعَ الأرضِ فيما جَبَلِ

يُعطي لي النجوى

وجبريلاً .. وتنزيراً.. وشلالَ ضياء..

لكنني ضيّعتُ أعلى الطورِ، أبراجي

ومذُ صَعرتُ أوداجي

شربتُ الوحلَ، والزَّقومَ، في سِيناء..!!<sup>(2)</sup>

المبحث الثاني: الصراع

أولاً: مفهوم الصراع

في اللغة: صرع: الصرع وهو "الطرح أرضاً .. صارعه فصرعه فصرعه يصرعه صرعا، فهو:

مصروع وصرع والجمع صرعي، والمصارعة والصراع، معالجتها أيهما يصرع صاحبه"<sup>(3)</sup>.

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/ 140.

(2) الخطيب، م . ن، 3/ 141.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة، ص، ر، ع، 8/ 197.

في الاصطلاح: جاء في معجم المعاني "أن الصراع هو تباين الشخصيات في عمل درامي أو خيالي، وخاصة التباين الذي يؤثر على العقدة تضارب الاهداف مما يؤدي إلى الخلاف أو التصارع بين قوانين أو جماعتين"<sup>(1)</sup>. والصراع هو "العمود الفقري للعمل الدرامي"<sup>(2)</sup>، حيث يكون الصراع الدرامي "بين إرادتين متقابلتين، أو قوتين كالشر والخير والعقم والخصب، وتحاول إحدى القوتين قهر الأخرى"<sup>(3)</sup>، ومما نلاحظه أن أي عمل درامي لا يقوم إلا بالصراع، ذلك أن الصراع يظهر موقف أي قوة من قوة أخرى، وبهذا يكون للصراع علاقة بالحدث، "ولا وجود للحدث دون الصراع"<sup>(4)</sup>.

ونحن نرى الصراع بصورة المختلفة في حياتنا، "فلا تكاد تفرغ الحياة كل يوم من صورته الصراع سواء بين أشخاص وآخرين حول مبدأ أو بين الشخص ونفسه حول فكرة أو نزعة"<sup>(5)</sup>، ليبين كل شخص موقفه، والصراع من الناحية الفنية بين الشخصيات مع أنفسها أولاً ومع بعضها ثانياً ومع الواقع ثالثاً"<sup>(6)</sup>.

ويعد الصراع من أهم العناصر الفنية في المسرحية، "وإذا كان الحوار هو المظهر الحسي للمسرحية، فإن الصراع هو المظهر المعنوي لها"<sup>(7)</sup>. والقصيدة ذات الطابع الدرامي تقوم على الصراع، ذلك أن الإنسان والصراع وتناقضات الحياة هي العنصر الأساسي لكل قصيدة لها، هذا الطابع"<sup>(8)</sup>، ويستطيع الإنسان إبراز موقفه وإرادته من خلال الصراع، وهذا يعني "إبراز ممارسة الإنسان لإرادته في صراعه مع نفسه أو مع الآخرين أو مع بيئته أو مع القوى المحيطة، من خلال عرض هذا الصراع بين المفردات نستطيع أن نستكشف صفاتها وأبعادها النفسية"<sup>(9)</sup>.

(1) معجم المعاني، [www.almaany.com](http://www.almaany.com).

(2) حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، ص16.

(3) الموسى، خليل، بنية القصيدة العربية، ص 278.

(4) حمودة، البناء الدرامي، ص118.

(5) إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه، ص240.

(6) عصفور، عبد الجابر، النقد الأدبي الحديث، ص221.

(7) العناني، حنان، الدراما والمسرح، في تعليم الطفل، ط5، عمان - دار الفكر للطباعة والنشر، 2000 - 1420، ص39.

(8) أبو عيدة، أمل يوسف، الخطيب حياته وشعره، ص72.

(9) ماتسين، ت، أ س، النوت الشاعر الناقد، (ت)، إحسان عباس، د.ط، صيدا - بيروت، 1969، ص319.



والصراع الدرامي هو : ذلك الصراع الذي ينمو من تفاعل قوى متعارضة (أفكار ومصالح وإرادات، تحاول كل منها هزيمة الأخرى"<sup>(1)</sup>، كما يعتبر الصراع هو: "العنصر الذي يميز المسرحية عن غيرها من فنون الأدب"<sup>(2)</sup>

## ثانياً: أقسام الصراع

### أولاً: الصراع الخارجي:

وهو "الصراع الذي يجري بين بطل المسرحية وقوة خارجه عن ذاته"<sup>(3)</sup> كما يعتبر "لب البناء الدرامي".<sup>(4)</sup>

لقد عايش الشاعر كثيراً من المآسي التي مر بها شعبه، عايشها بكل أحاسيسه، رأى ما حدث في دير ياسين، وحرب حزيران التي باعدت بينه وبين روحه فلسطين، عايش تخاذل الأمة وتنازلها عن البقية الباقية من هذه الجنة، ففي قصيدة "بالشام أهلي والهوى بغداد" أو في تسمية أخرى لها "كذابة هي كل طيور الهوى" سرد لنا الشاعر قصص شتى فمن مجزرة دير ياسين إلى قصة علي بن أبي طالب إلى غيرها من القصص، فقد جاءت هذه القصيدة بالمعنى الحقيقي للملحمة حيث جمع فيها الشاعر ما بين الحوار والصراع بنوعيه الداخلي والخارجي والتواصل التاريخي، وجاء في ما أعطاه الرقم (13) الصراع الخارجي، وكان صراعه مع العالم الخارجي الذي رفضه أين ما حل ففي "ظل الصراعات السياسية تتحالف الجماعات ضد الأفراد العزل، وتدوس الآلة الساحقة تحت وطأتها كل فرد مخالف أو محايد"<sup>(5)</sup>، لقد تصادمت مشاعر الشاعر ما بين الحب والكراهية، فالشاعر فرح وبيكي من شدة الفرح للقاء أهله، يقول:

أحسُّ أنني أدوبُ فرحاً

(1) فتحي، ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، دط، تونس - المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، 1986، ص222.

(2) مندور، محمد، الأدب وفنونه، د.ط، مصر - القاهرة، دار نهضة مصر، ص110.

(3) مندور، الأدب وفنونه، ص110.

(4) رحاحلة، أحمد زهير، القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر، ط1، الأردن، عمان - دار حامد، 2012م 1433هـ، ص126.

(5) معتصم، محمد، الرؤيا الفجائية في نهاية القرن وبداية الألفية الثالثة، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2003، ص176.

حَتَّى الْبُكَاءِ .. يا رَبِّي بِلاِدي ..

تَحُونُني عِنايَ في لِقائِكُم

أُحِبُّكُم ... أُحِبُّكُم ..

(1) يَصيرُ في شَفافَةِ النَّدى فُواِدي ...

ولكن بماذا يقابل ؟ " هو يفاجأ بموقفهم الغريب حيث يرفضون استقبله "؟<sup>(2)</sup> ، هذا الحب ؟ يقابل بالتحديق والرجم، والنظر إليه بصورة غريبة، فالشاعر يتلهف لرؤية أبناء وطنه، وهم يسلطون عليه الأطفال لرجمه، ومع هذا يصرح بحبهم، يقول :

فَما لَكُم، مِن عَجَبٍ، تُحَدِّقُونَ ؟ ..

أرَدْتُ أن أَقولَ إنني أُحِبُّكُم ... فَعُوني ..

لا تَنظُرُوا إِلَيَّ هَكذا

لا تَدعُوا الأَطفالَ يَرجُمونِي ... !!

لا تَأخُذونِي سَاحةَ المَدينَةِ .. اسمعونِي ..

أَكرهُكُم .. لا تُطَلِّقوا جُنونِي ... !!

أَكرهُكُم .. أَكرهُكُم .. ولا أَحِبُّ أَحَدٌ ..

حَتَّى أَصَبَّ بِجِلَّةٍ .. عَلى شِفاهِ بِرَدي ... !!<sup>(3)</sup>

وليُظهر الصراع ويُظهر أسبابه، وهو امتلاك من لا حق له بالملك، وترك صاحب الملك دون ملك يرثه، فوطن الشاعر لم يسجل في صحائف الدنيا بل جعله يسجل في صحائف السماء، ليعبر عن حقه في وطنه التي تقاسمه غيره وهنا يبرز الصراع .

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 154/3.

(2) العيد، يمنى، تقنيات السرد الروائي، ص72.

(3) الخطيب، م.س ، 155/3.

لقد "برز الصراع في القصيدة من خلال المواقف المتصارعة نتيجة الاختلاف أو التصادم في الآراء والحقائق والإرادة، فالشاعر سيقدر ثمة حقائق يرفضها قومه، وهنا يبرز الصراع"<sup>(1)</sup>، كل ما في الوطن للشاعر وأبناء شعبه وهذا حقيقة لا يستطيع أحد أن يغيرها، مهما طال الزمن أو قصر، وحتى لو تقاسموه فيما بينهم، يقول:

إرثُ أبي هذا..

وأنتم اقتسمتموه دون علمي

وهو مُسجَّلٌ على صحيفة السماء باسمي

هؤلاء... وماؤهُ.... حقولهُ.... سيولهُ..

تَوحدتُ رُبوعهُ بِجِسمي ..<sup>(2)</sup>

نمى جسد الشاعر وكبر وامتزج مع كل ما في وطنه، فهو يتنفس هواءه، ويشرب ماءه، يأكل من حقوله، ويسير فوق ترابه هما شيء واحد، لا يفصل بينهما حتى لو بعدت المسافات وطال الفراق .  
ومما سبب الألم للشاعر هو عدم احساس الآخرين بألمه وحزنه، لقد تبدلت مشاعرهم، حتى شعر بأن الجميع ضده، يتباهون في السكر وكأنهم في غيبوبة عما يجري له، وحاولوا أن يحرموه حتى من التعبير عن حبه بالكتابة، يقول:

فَمَا بِالْكُمْ تَزْدَرِدُونَ فِي الْبَلَاطِ أَلْمِي

عِيُونُكُمْ تُنَوِّسُ فِي أَبْجَرَةِ الْأَفْيُونِ

أَمْ تُطْفَنُونَ جَدَوْتِي .. إِذَا كَسَرْتُمْ قَلْمِي..

أَمْ تَرَجُمُونَ فِي ظِلِّ شَاعِرٍ مَجْنُونٍ !!<sup>(3)</sup>

(1) أبو عيدة، أمل، الخطيب، حياته وشعره، ص75.

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 3/155.

(3) الخطيب، م.ن، 3/155-156.

ومن قصيدة "دمشق والزمن الردي" جاء صراع الشاعر مع العالم الخارجي، وتحديداً مع الزعامات العربية، يفتتح الشاعر قصيدته بالزمن "أيلول عاد"، لينتقل إلى زمن آخر وهو "أيار" الذي كان بالنسبة للشاعر شهر الهزائم والخذلان، لقد حلت الكارثة في هذا الشهر فمن قرار تقسيم فلسطين إلى إعلان قيام دولة الاحتلال وبدأت الهزائم العربية تتوالى، لقد أحس الشاعر هذا الشهر بإنسان له يدان يقتل ويمزق ويشرب الدم بنهم، يقول:

كَأَنَّ "أَيَّارًا" عَلَى اللَّطْرُونِ

يَحْقِنُ جُرْحَنَا اللَّهْبِيَّ فِي الرُّمَانِ، يَشْتَلُ

فِي الصُّخُورِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ، يَحْرَثْنَا،

تَهْبُّ عَلَى جَنَاحِيهِ الْأَبَابِيلُ الْهَجِينَةُ

مِنْ مَغِيبِ الشَّمْسِ ... يَجْرِفُنَا بِلَا وَجْهِ..

كَأَنَّ يَدَيْهِ تَمْتَشِقَانِ، نَصَلَ "الهاشمية"

فِي الظُّهُورِ تُمْرُقَانِ الْعِظْمِ، تَرْتَخِيَانِ

(1) مِنْ خَمْرِ الدَّمِ الْعَرَبِيِّ ...

لقد أصبحت كل المدائن موتى، لا تسمع، تناشد الحاكم أن ينصرهم، ولكن! ما من مجيب، فالصراع دائر ما بين موقف الشاعر من الحكام وموقف الحكام من القضية، والدماء الجارية على الرمال، ونراه ينادي المدن والشهور والمعارك يستنهض فيها كل همّة، يقول:

آه عَلَى دَمٍ لَا يُشْعِلُ الظُّلْمَاتِ !!...

تِلْكَ عَلَى الرِّمَالِ مَدَائِنُ الْمَوْتَى تَصِيحُ،

تُنَاشِدُ اللَّهَ "المُصَفَّدَ بِالْكَهَانَةِ فِي حَدِيدِ الْعَرْشِ"

تِلْكَ خُطَاكَ يَا أَيَّارَ ... يَا أَيْلُولَ..

يَا فَيْحَاءَ.. يَا لَطْرُونُ..

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/134.

يا خزيّ الجليل وميسلون<sup>(1)</sup> ..

كأنّ أياراً يموت، إذا يشاء، ولا يموت!!<sup>(2)</sup>

لقد جاء الشاعر بالشهور والأماكن التي رمزت للخزي والهزيمة، حشدها في آخر مقطوعته الشعرية، ليبرز لنا مدى ألمه وحزنه وغضبه من هذه الهزائم. ويجيء به "على وفق ماتمليه عليه هموم نفسه وهواجسها التي تكون مروعة أحياناً".<sup>(3)</sup> وأصبحت "مأساة فلسطين بالنسبة للشاعر الفلسطيني مأساة سياسية، بل إنها مأساة وجودية"<sup>(4)</sup>.

وفي قصيدة "أنهض من جنازتي وأمشي" يظهر لنا مرة أخرى صراع الشاعر مع العالم الخارجي بأكمله من عرب وغيرهم، لقد أصبح الفلسطيني ملاحقاً في كل مكان، يسمى "مخرب" ليس لأنه اعتدى على أحد بل لأنه يطالب بحقه، يقول:

وها أنا مُلاحقٌ لِلأُممِ المُتحدِّةِ

هُويّتي... مُخرَّبٌ.... وجِلْفٌ..

أني حَمَلْتُ نَكْبتي في جِبْهتي المُتقدِّةِ

يَقُولُ لي العالمُ .. قِفْ!!<sup>(5)</sup>

لقد وقف العالم من أقصاه الى أدناه مكتوف الأيدي إتجاه قضية واضحة المعالم، معروف من المجرم فيها، و يتنامى صراع الشاعر مع العرب "الذين نسبهم لنفسه بقوله" أخي " ونعتها بالعظيمة"، لقد دق الشاعر ليس على الأبواب بل على القلوب تلك القلوب المغلقة، لقد دق عليها في الليالي، لكن ما من مجيب، ونرى الشاعر يتحدث بلسانه "أنا" ولكن واقع الحال يرمز إلى شعب بأكمله، حيث

(1) ميسلون: معركة دارت بين السوريين المتطوعين بقيادة يوسف العظمة والجيش الفرنسي عام 1920م حيث كان العتاد قليلاً

مما تسبب في هزيمة المتطوعين وخسارتهم للمهركة

(2) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/134.

(3) الحاوي، إيليا، نماذج في النقد والأدب، 1/432 .

(4) المناصرة، عز الدين، هامش النص الشعري، ص26.

(5) الخطيب، م.س، 3/86.

خرجت أنا الشاعر إلى الجماعة، ونرى العرب رضوا أن يعطوه خيمة بدل البيارة، لقد تكالبت كل الأمم على الفلسطيني وأصبح جسده وليمة لكل مفترس، يقول:

وَقَفْتُ حَافِيًا وَرَاءَ بَابِ أُمَّتِي الْعَظِيمَةِ !!...

أَدُقُّ عَلَى قُلُوبٍ مُغْلَقَةٍ

فِي اللَّيْلِ، وَالتَّلْجِ، وَفِي مَخَالِبِ الْجَرِيمَةِ

حَتَّى غَدَّتْ يَدَايَ مِطْرَقَةً

وَصِرْتُ ضَيْفَ أُمَّتِي، وَصَارَ جِسْمِي الْوَلِيمَةَ

وَهَيَّاتْ لِي، خِيْمَةً، وَ مِشْنَقَةً !!...<sup>(1)</sup>

"ولأن يوسف الخطيب ابن قضية تركض مقطوعة الرأس من بيت إلى بيت في دنيا العرب، وكلما خرجت مطرودة من دار أبيها وهبها عزماً وجدد حركة دمها، لتتابع صهيلها في القلوب والدروب حتى وهي مقطوعة الرأس".<sup>(2)</sup>

"فالنص الشعري الرفيع والسامي يكشف عن نفسه بنفسه فيه دلالاته ومغزاه، ومن داخل بيته تشع دلالاته الفكرية والفنية، لتمنح الوجود الإنساني بعداً جمالياً قائماً على الدهشة والسمو والابتكار"<sup>(3)</sup>.

لقد مر الشاعر بمراحل من التشرد فمن فلسطين إلى الأردن إلى لبنان إلى هولندا، وهنا يتواصل الشاعر مع قصة السيد المسيح، ليسقط عليها آلامه، فالمسيح صلب وحمل من مكان إلى مكان حتى تتم الجريمة، جريمة قتله، لقد رفع الله السيد المسيح إلى السماء وأنقذه من جيروت بني إسرائيل، يقول:

وَلَمْ أزلُ أُسَاقُ مِنْ مَرَحَلَةٍ لِمَرَحَلَةٍ

أَجْرٌ ثَقَلِ الصَّلِيبُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 86/3.

(2) حسن، ناهض، يوسف الخطيب، (ذاكرة الأرض ذاكرة النار)، ص11.

(3) حسن، ناهض، م . ن، ص20.

وَأَسْتَحِيلُ جَمْرَةَ فَثُورَةً، فَجُلُجُلُهُ

خَلَّاصَ مَوْطِنِي الْحَبِيبِ<sup>(1)</sup>

العلاقة بين الفلسطيني والسيد المسيح عليه السلام، هو العقاب على غير ذنب مقترف فالسيد المسيح دعا الى عبادة الله والفلسطيني أحب أرضه ودافع عنها، وكان العقاب الصلب والقتل والرجم من أقرب المقربين، لقد رجم الشعب الفلسطيني على ذنبه وهو دفاعه عن أرضه، يقول:

قُلْ عَنِّي الطِّفْلَ الَّذِي يُوسَمُ مِنْ حَلِيْبِهِ

أَوْسَمَنِي قَتِيلِ حَبِ

بِي جَسَدُ الْمَسِيحِ مُوثِقاً عَلَى صَلْبِهِ

فِي عَالَمٍ بَدُونِ قَلْبِ

يَا رَاجِمِي شَعْبَ فِلَسْطِينَ عَلَى دُنُوبِهِ

مَنْ مَنَكُمُو بَدُونِ ذَنْبٍ!!...<sup>(2)</sup>

لقد تمرد الشاعر باسم شعبه على كل حاكم وقاض، حكم علينا بطغيانه وجبروته، حكم بالبقاء خارج وطننا وأظهر لنا صراعاً واضحاً ضد الظلم والجبروت، يقول:

نعم.. أنا طَفَقْتُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ

يَا أَيُّهَا الْقَضَاءُ

لَضَعْنَتْ فِي السَّاحَاتِ أَسْمَاءَكُمْ اللَّعِينَةَ

وَقُلْتُ إِنَّكُمْ طُغَاةٌ<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 87/3.

(2) الخطيب، م. ن، 87/3.

(3) الخطيب، م. ن، 87/3.

يكمل القصيدة بأسلوب الحوار ليبين ما حلّ به من قبل الجنود الذين ساقوه وأوقفوه بتهمة الجنون،  
وقرر أن يعترف لهم بجريمته ولكن ما هي الجريمة، يقول :

وساقتني الجُند أضمامكم بتُّهمةِ الجنونِ

وقال لي العالمُ : قِفْ

لاتسألوني أيها المُحلفونَ من أكونُ

فإنني سأعترف ..

تماهى الشاعر وامتزج مع كل شيء في فلسطين، فجسده من فلسطين وترابها، وتجرّع أحزانها جرعة  
جرعة، وسجل في عينيه عنوانها، وأصبح الوعد الذي سيحقق النصر لها، يقول:

أنا الذي سجّلتُ في عينيَّ عنوانها

جسدتُ في جسمي فلسطينَ وألوانها ..

أنا الذي جرّعتُ فوقَ الطُورِ أحزانها

و إنني الوعد الذي ينشرُ بُستانها..<sup>(1)</sup>

وفي قصيدة "سوق العبيد" يتجدد صراعه مع موقف الأنظمة العربية، خاصة في الشام، بعد أن عمد  
النظام فيها إلى تكبيل وإيقاف كل نضال ضد المحتل، لقد أصبح الشاعر يحيا حياة بائسة، بعد أن  
أصبح يباع ويشترى كأنه سلعة رخيصة هينة في متناول الجميع، ولكنه في ذات الوقت هو شمعة  
تضيء ليل الباحثين عن الحق، وضلوعه تحمل في داخلها إعصاراً من الثأر الذي لا بد له من  
الانطلاق، يقول:

في ضلوعي دَفقةٌ عارمةٌ لا تستكينُ

في ضلوعي أنني أحيا حياة الميِّتِينُ

يا أنا.. يا سلعةً هينةً للمُشتريينُ

يا أنا.. يا شمعةً تحرقُ ليلَ الكادحينُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 88/3



## في ضلوعي.. أي إعمارٍ من الثأرِ الدفينِ؟! (1)

لم يعد يرى الشاعر إلا دماءً وخراباً وسجوناً، وأصبح الدم هو كالخمر للحكام، والشعب كالعبيد يباعوا ويشتروا في الأسواق دونما تحريك ساكن هذا هو واقع المنفى بالنسبة للشاعر، لقد أصبح هو و شعبه سلعة رخيصة تُباع في الأسواق، وهنا يرمز إلى الحلول والبدائل التي عُرضت على الشعب الفلسطيني بالتخلي عن وطنه وقبول وطن بديل له، يقول:

تلك آفاقي .. دِماءٌ، وحرابٌ وسُجونٌ

وجبّاه في الدجى تنزفَ حَمَرَ الحاكمين

وأنا في السُورِ.. في إطراقةِ الليلِ الحزينِ

حاضري وهمّ، وأشباحٌ تزيت باليقينِ

وأرى نفسي في سوقِ العبيدِ

يهتفُ البائع، وا لشاري يزيد<sup>(2)</sup>

لقد أصبح الواقع مرأً، (جوع، و ليل، وسوط، ودماء، وأشباح)، ولا يوجد من يحرك ساكناً، مما دعا الشاعر إلى العودة إلى الماضي، إلى زمن النخاسة، زمن العبيد حين كان الإنسان يباع، ويرسم الشاعر صورة لهذا الموقف، موقف النحاس وهو يلبس الثياب الجميلة ويحمل السوط بيده ليرهب من حوله، ويبيع ويشترى الناس، ويربط بين حاله وحالهم فقضيته أصبحت كالسلعة تباع وهو والجارية سلعة في السوق، ويدعو إلى الثورة عبر قوله "ألا دقت نواقيس الصراع"، يقول:

وأرى جاريةً، مثلي تُباع

وأرى شيخاً، وأطفالاً جياغ

أفلا دُقت نواقيسُ الصراعِ؟! (3)

وأرى النحاس في الثوبِ القشيب<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 127/1.

(2) الخطيب، م . ن، 127-128.

(3) القشيب: الجديد والنظيف.

حانِفاً، يَعبُثُ بالسوطِ الرهيبِ<sup>(1)</sup>

ويَمُرُّ الموكبُ الرَسميُّ فينا

جاءنا اليوم رسولٌ يَشترينا

وفي قصيدة "العيد يأتي غداً"، يظهر الصراع مع من هم بالنسبة للشاعر رفاقه وأحاباه المحتفلين بعيد الجلاء، ويقول في مقدمة القصيدة: "على أن عيد المحتفلين برغم كونهم من رفاقي البعثيين الخالص من عيدنا الأول التالي مباشرة لتأسيس الحزب"، لم يكن عيد المرجى بأية حال، لأنني وها هنا أعتزف كنت وما أزال مصاباً بداء الاعتقاد بأنه لا حقيقة لأي "جلاء" إطلاقاً من كامل إقليمنا العربي الشامي الكبير بدون تمام الجلاء الصهيوني عن كل فلسطين، التي هي في اعتقادي جوهرة هذا الإقليم"<sup>(2)</sup>، يقول: (الخفيف )

فِيمَ أعيادنا؟!.. وفيما الأهازيجُ!؟

وَحَشْدُ الألوفِ حَوْلَ المَنابرِ!!

أَيُغني أنشودة النصرِ مَهزومٌ

ويُذكي الحَماَسَ إنشادُ شاعرٍ

ولماذا الفَخَّارُ، والقدسُ تَدعونا

فَهَلِ حَرَكَتِ حَمِيَّةٍ ثائرٌ!!

والدِماءُ العِزارُ يَمَلآنَ بَعْدادَ

بِنَهْرِ حِذاءِ دِجَلَةَ هادرٍ

فِيمَ أعيادنا، أما نَسْمَعُ الجُرْحَ

يُنادي على سُفوحِ الجِزائِرِ!؟

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 127/1.

(2) الخطيب، م. ن، 149/1

## مِن دَوِيِّ الرِّصَاصِ يُغْتَصَبُ المَجْدُ

اغْتِصَاباً لَا مِن دَوِيِّ الحَنَاجِرِ !!<sup>(1)</sup>

الشاعر يمتلك بعداً قومياً ظاهراً تجلّى في العديد من قصائده، أظهر فيها تفاعلاً مع قضايا الأمة العربية، ومنها قضية استيلاء الروس على العراق بعد "الإنقلاب على القاسمي" <sup>(2)</sup>، ففي قصيدة "أهل السلام" كان الصراع واضحاً إتجاه قوى الظلم، من سيغزو على بغداد، ويجري فيها نهراً ثالثاً وهو نهر من دم، ولكن رغم ذلك فالقيود هي لغير الثائرين، وسترفع المشانق للأعداء وسينتصر الشعب عليه، يقول: (الكامل)

قُلْ لِلجِبَانِ، لِنَغِيرِنَا الأَصْفَادُ

لَكَ لِلعَبِيدِ سَتْرُفَعُ الأَعْوَادُ

قَدْ كَانَ جَلَادٌ سِوَاكَ، فَلَمْ نَنَمْ

حَتَّى تَجَرَّعَ كَأسَهُ الجَلَادُ

إِنِّي لِأَقْسُمُ أَنْ أَرَكَ عَلَى الخُطَى

مِرْقَاً، وَتَغْمَرُ دِجْلَةَ الأَعْيَادُ<sup>(1)</sup>

يظهر الشاعر تفاؤلاً واضحاً إتجاه أهل العراق وشجاعتهم، ستصبح بغداد جهنماً على من اعتدوا عليها، وسيصبح وقودها من اعتدوا عليها وليظهر الزمن قوة الشعب وإصراره على النصر، يقول:

أَنسِيَتَ مَا شَعِبَ العِرَاقِ وَثَأْرُهُ

أَنسِيَتَ أَنْ جَهَنَّمَ بَغْدَادُ

أَنسِيَتَ أَنْ الخَائِنِينَ وَقُودُهَا

وَلِكُلِّ طَاغٍ عِنْدَهَا مِيعَادُ

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 1/153-154.

<sup>(2)</sup> الخطيب، م. ن، 1/325.

<sup>(1)</sup> الخطيب، م. ن، 1/327.

قُلْ لَنْ تَمِيدَ عَلَى الضُّحَى عَزَمَاتُنَا

إِنَّا لَهَا لَوْ مَادَتِ الْأَطْوَادُ<sup>(1)</sup>

ينتمى الصراع ويظهر في عبارات الشاعر فهو يتوعد العدو على لسان شعب العراق، الذي امتاز بقوته وهزيمته للمعتدين على مر السنين والأيام، يقول:

أَنَا هُنَا قَدَرٌ يُرِيدُ، فَيُنْحِنِي

عُوجُ الْأُنُوفِ عَلَى الثَّرَى تَنْقَادُ

إِنَّا هُنَا الْوَطَنُ الْكَبِيرُ، وَحُلْمُهُ

وَجِرَاحُهُ، وَصَبَاحُهُ الْوَقَّادُ!؟

مَهَلًا، ضُحَى "تَمَّوز" أَيْنَ بِشِيرُهُ

أَيْنَ الْأَبَاءُ النَّخْبَةُ الرَّوَادُ!؟

أَيْنَ الَّذِينَ سَقَى الْفِرَاتِ عَطَاؤُهُمْ

وَمَشُوا عَلَى سُنَنِ الْجَدُودِ، وَزَادُوا<sup>(2)</sup>

ما بين الأمل والألم لا بد من نصر قريب، وفجر تسطع ثورة، وتتحقق الأحلام فيه ما دام هناك عروق تنبض بالدم.

يظهر الشاعر في قصيدة "هذي الملايين"، صراعه الواضح مع الأمة العربية وقرر من خلال القصيدة بإيمانه المطلق أنها ليست أمة العرب، فالعربي لا يرضى الذل والمهانة على عكس الأمة التي نسبت له فهي تستمرى الذل وترضى به، يقول: (البيسيط)

أَكَادُ أَوْمِنُ، مِنْ شَكِّ وَمِنْ عَجَبِ

هَٰذِي الْمَلَائِيْنَ لَيْسَتْ أُمَّةُ الْعَرَبِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 327/1.

(2) الخطيب، م.ن، 328/1.

## لَوْلَا تَشَقُّ سَجُوفِ اللَّيْلِ بَارِقَةً

### يَا شُعْلَةَ الصُّبْحِ، رُدِّي حَالِكَ الْحُجُبِ (1)

وبمقارنة عجيبة بين ماضٍ مجيد وحاضر مؤلم، يستحضر انتصارات المسلمين في الزمن الماضي، وهزائم العرب في الزمن الحاضر ليعقد مقارنة بينهما، ويجيء الشاعر بالماضي إلى الحاضر ليتساءل عن المستقبل، " ففي نفس العربي المعاصر المليئة بالقلق والحزن، والتطلع والرغبة الجامعة في تفجير الأزمة، فنراه يمزج الوقائع التاريخية في القصيدة، لكنها ذكرت بدلالات سلبية، حيث نفى الشاعر عن تلك الأمة الحقائق التاريخية المعروفة، فالعرب لم تغزو عمورية" (2) ويؤكد أن الانتصارات لم تعد موجودة سوى في كتب التاريخ، نتغنى بها وننسج القصائد على أطلالها، يقول:

### تَهَيِّجُ بِي ذِكْرُ التَّارِيخِ جَامِحَةً

وَيَعْتَرِينِي الْأَسَى حَوْلِي، فَيَقْعُدُ بِي

تَوَزَّعْتَنِي دُرُوبٌ لَا لِقَاءَ لَهَا :

الذُّلُّ فِي النَّاسِ، وَالْعَلْيَاءُ فِي الْكُتُبِ

أَغْرُو "عَمُورِيَّةً" فِي اللَّيْلِ أَحْرِقُهَا

وَشِلُّوْ (3) أُخْتِي غِذَاءُ الطَّيْرِ فِي النَّقَبِ!!

لَوْ كُنْتُ " فِي مَازِنٍ " لَمْ يَسْتَبِحْ وَطَنِي

### بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ صَرَافَةِ الذَّهَبِ (4)

ظهر الصراع واضحاً ضد موقف العرب من حرب (1948) حيث وافقوا على ما سمي (بالهدنة)، وسعوا مع العدو في إقناع الشعب بالهرب من فلسطين، وذلك من خلال استضافتهم للفلسطينيين، في

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة 194/2-195.

(2) أبو عبيدة، أمل، الخطيب حياته وشعره، ص 27.

(3) شيلو: جمعها أشلاء وهي بقايا الشيء.

(4) الخطيب، م.س، 194/2-195 .

دولهم فأقاموا عروشهم على جماجم أبناء فلسطين، دونما إدراك منهم أن عظامه هي قنابل ستنفجر تحتهم عند الغضب، يقول:

لَكُنْتُ غَمَسْتُ رُحِي فِي حَنَاجِرِهِمْ  
أَوْ غَمَسُوا، هُمْ، رِمَاحَ الْغَدْرِ فِي عَصَبِي  
لَكُنِّي، وَبَنِي شَعْبِي، تَخَطَّفْنَا  
قِيلُ الْمُلُوكِ : أَلَا لَا بُدَّ مِنْ هَرَبٍ  
فَكُلَّ عَرْشٍ، عَلَى بُقْيَا جَمَاجِمِنَا  
أَرَسَى قَوَائِمَهُ مُخْتَالَةَ الطَّنْبِ  
لَمْ يَدِرْ أَنْ عِظَامَ الْأَبْرِيَاءِ بِهِ  
الْغَامُ تَارٍ، تُدَوِّي سَاعَةَ الْغَضَبِ<sup>(1)</sup>

يتابع ليخاطب مدينةً عربيةً بعينها وهي صنعاء، ليشتعل الصراع من خلال دعائه عليها بأن لا تؤذنها بماذنة، وأن لا تمطر على العرب كلهم سماء، ما دامت يافا تصيح من الألم واللذ تشكوا الخراب، والجليل لم تمطر به سماء، والقدس جفت حتى الدموع في عينيها، يقول:

صَنْعَاءُ، رُدِّي دَمًا مَا أَنْتِ سَاحَتَهُ  
يَافَا تَصِيحُ بِهِ مَجْنُونَةٌ السَّعْبِ  
لَا أَدْنَتْ فِيكَ يَا صَنْعَاءُ مِئذَنَةً  
وَاللَّذُ تُتَدَبُّ فِي مِحْرَابِهَا الْخَرِبِ  
لَا أَمْطَرْتِ فِي سَمَاءِ الْغُرْبِ غَائِثَةً  
وَفِي الْجَلِيلِ الرَّبِّيِّ مَحْبُوسَةُ السُّحْبِ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 194/2-195.

## تَبْكِينَ مِنْ مَأْرِبٍ قَانَ تَفْجُرُهُ

وَجَفَّ فِي الْقُدْسِ، حَتَّى الدَّمْعُ فِي الْهُدْبِ!!<sup>(1)</sup>

ونراه يتمنى أن يحل بالعرب ما حل بفلسطين، من تشريد وقتل ذلك أنهم لم يقفوا موقفاً مدافعاً عنها .  
وفي "تقاسيم على الخفيف" في الرباعية التي حملت رقم (49) بعنوان "بضاعة كاسدة"، كان الصراع مع رئيس التحرير ومدير الإذاعة، حيث استخدم أسلوب النداء والقسم، ليظهر لهم أن الأخبار أصبحت معروفة ولا جديد عندهم، يقول: (الخفيف)

يا رئيس التحرير، بالله زدني

بعض علم، ويا مدير الإذاعة

قد حفظنا الأخبار عن ظهر قلب

ألديكم من غير هذي البضاعة؟!<sup>(2)</sup>

وفي قصيدة "رضيت جزاء عصياني" يجمع الشاعر ما بين صراعه الداخلي مع نفسه وذلك عبر شكه بأن الجن تسكن قلبه، وصراعه الخارجي مع الدول التي رفضته وطاردته، واتهمته بالزندقة على شعره المنافى والمناهض لهم ولخذلانهم، فتهمة الشاعر هي سكن جني من القدس في نفسه، وحقائبه ممثلة بالشعر المناهض لهم، فهم عمموا على كل نقاط التفتيش بإيقافه ومصادرة حقائبه، يقول:  
(الوافر)

أظنُّ هناك إخبارية عن نبض قلبي

في أضاير المباحث

أن جنًّا من طيوف القدس تسكنني ..

أظنُّ هناك تعميماً على كل المخافر

أن وزن حقائبي

أوزان أشعار... وأحلام تُورقني ..

أظنُّ هناك ملصوقاً بجدارن المدينة

يستحل دمي،

وأن سماحة المفتي ... يُزندقني!!<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، ، 196-195/2 .

(2) الخطيب، م.ن ، 239/2 .

(3) الخطيب، م . ن، 172/3 .

لقد هزّب الشاعر آماله وآلامه عبر أشعاره، ولا يهمله إن كانت الرقابة ستحاسبه وتشطبه من ديوان الشعراء، يقول:

لِذَلِكَ يَشْرَبُ الْعُشَّاقُ خَمْرَ قَرِيحَتِي،  
وَوَاهِرَبَّ الْأَمَالِ .... فِي الْأَلَامِ  
ذَوْبَ الشَّوْقِ .. فِي الشَّجْنِ ...  
فَمَا هَمِّي إِذَا لَوْنْتُ بِالْأَضْوَاءِ  
أَحْدَاقَ النُّجُومِ عَلَى أَسَارِيرِ السَّمَاءِ ..  
هل الرقابة بعد تشطبي؟! (1)

ثانيا: الصراع الداخلي:

"وهو الصراع الذي يحدث بين الشخصية ونفسها نتيجة المتناقضات التي تعاني منها"، (2) ففي قصيدة "لي ما يزال حلم غد" أظهر الشاعر الصراع الداخلي من خلال حنينه إلى أصحابه، الذين فصلت بينهم وبينه مسافات طويلة، وبأسلوب النداء يفتح الشاعر قصيدته، ليرسل من خلالها ألمه وحزنه إلى أصدقائه، فليل الشاعر طويل لا ينتهي، يسهر به ويعد النجوم وينتظر المطر ومطر الشاعر هو العودة إلى أرضه، ولكن دون فائدة فالبرق يومض بضوئه لكن دون مطر، يقول:(المنسرح)

يا أيها الصَّحْبُ آذِنِ السَّفْرُ  
رِتَاجُ<sup>(3)</sup> بَيْتِي يَدْفُقه الْقَدْرُ  
هَذَا الدُّجَى قَاتِلِي، وَسُدَى  
حَرَقْتُ شَمْعِي لَعَلَّ يَحْسُرُ  
سَمْتُ عَدَّ النُّجُومِ خَابِيَةً  
مُعَلَّلاً بِالصَّبَاحِ أَنْتَظِرُ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 173/3.

(2) رتاج: الباب العالي العظيم .

(3) الطائي، بيداء عبد الصاحب، البنية الدرامية في شعر نزار قباني، ط1، العراق - بغداد، دار ضفاف للنشر، 2012، ص27.



## أصبو إلى غيمةٍ تُماظنني

وخلِّبْ برفُّها، ولا مطرٌ<sup>(1)</sup>

بأسلوب النداء يعاود صراعه الداخلي وحنينه إلى أصحابه فصلت الصحراء بينهم، ويعقد مقارنة بين حاله وحالهم ليتنامى الصراع ويحتدم في نفسه، وتظهر العلاقة بين الشاعر وأصحابه علاقة اللامبالاة من قبلهم، فحياتهم رغد وشرب وأكل، وحياته ليل طويل، فهو مُشرد يتوسد القمر والنجوم يقول:

أيا رفاقاً تحوّل دونهمو

مفازة لا يحدّها بصرٌ

الخمُرُ والتمرُّ جوْعكم، وأنا

لي صاحباي: الحنين، والذِّكرُ

دُقُّوا الدُّفوفَ، واشربوا، وكُلوا

اليوم خمُرٌ، وفي غدٍ عِبرٌ

لكم وهادُ الدُّروبِ طيِّعةٌ

وليّ أعالي النُّجودِ والوعزُّ

تغلي أغانٍ سَجينةٌ بدمي

تهيجُ توقاً، فيسطعُ الوترُ

كأنما شامٌ فيّ فارسُهُ

لما اجتبانِي لِمَتْنِهِ الخَطْرُ

كأنما الليلُ باتَ مُتَكناً

وسادتي، والنجومُ، والقمرُ

لما تعلَّيتُ هِمَّتِي، وعلى

أقصى النهايات لآخ وهي وَطْرٌ<sup>(2)</sup>

لقد حشد الشاعر العديد من الثنائيات، (وهاد، وأعالي، وطبيعة، ووعر، وجوع وأكل).

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 71/3.

(2) الخطيب، م.ن، 71/2-72.

ويبدأ الشاعر بتخفيف الصراع بداخله، وذلك بإعطاء نفسه جرعة تفاؤل وأمل بالمستقبل، رغم صغر حجم التفاؤل، إلا أنه بث في نفسه طاقة إيجابية اتجاه حالته، فهو متفائل بأن ينبت العشب في الحجر بالرغم من تأجيل هذا الحلم إلى الغد، وصعوبة الطريق إليه إلا أنه يراه قريباً، يقول:

هناك لي، ما يزال، حلم غدٍ  
يخضل منه، فيعشب الحجرُ  
أظلُّ أهفو له، فيرجئني  
إلى غدٍ، بعده، فأنتظرُ  
قد هربتني له الخطوبُ، فلي  
رؤى بآفاقه، ولي صورُ  
ولي نشيدٌ، يكاد من فرحٍ  
يشدوه جنُ الوجودِ، والبشرُ  
وإن تكن ريشتي بلا نسغٍ  
فالحورُ ما تجتليه، والحورُ  
وخمرةٌ ما تتي جداولها

من أرجوان السماء تتهمز<sup>(1)</sup>

يختم القصيدة بانتهاء صراعه الداخلي واكتمال تفاؤله وأمله، فلم يعد الغد إلا غداً نضراً مخضراً تورق أشجاره وينبت العشب حتى في أحجاره، استطاع الشاعر أن يعبر عن صراعه ويتحرر من عبودية العالم وانتفاض لجبروته ومحاولة للشموخ والتخليق بعد أن يستعيد الإنسان جناحي حريته طليقين<sup>(2)</sup>، يقول:

لي خلف هذا الزمان أزمينةٌ  
يمتدُّ في رحابها العُمرُ  
فاستبقتني في مداك أغنيةٌ

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 71/2-72

(2) حاوي، إيليا، نماذج في النقد، ص 35.

طَلِيقَةً، أَيُّهَا الْغَدُ النَّضْرُ!!<sup>(1)</sup>

وفي قصيدة "جنون في ضوء القمر" ظهر لنا الصراع الداخلي من خلال حنين الشاعر إلى الوطن الأم، وبأسلوب سهل وبسيط عبر لنا الشاعر عن هذا الصراع وقد قال في مقدمة القصيدة: "أظن أنني ابتدعت لنفسي أكبر قدر استطيعه من الدفاء الروحي الذي لا تضاهيه أية تدفئة أخرى على سطح الأرض، وذلك من خلال اشتعال مشاعري بعاطفة الحنين إلى أرض الوطن"<sup>(2)</sup> وقد اعتمد في قصيدته على الحركة السريعة، فحشد مشاعره وبعبارات سريعة، يقول:

أهلوكِ يا دارتنا أهل الحنين،

رؤى أسماؤهم،

ورؤى أشعارهم،

ورؤى نفخ النسيم بهم ..<sup>(3)</sup>

هبَّ نسيم يافا موججاً في نفسه شوقاً إلى بلده والتي لم تكن إلا اللحم الوحيد بالنسبة له، يُقال إن أسمى العواطف الأدبية هي التي تحي الضمير، وتزيد حياة الناس قوة، والأدب الراقى هو ما يثير إنفعالاً وميلاً إلى الحياة الراقية"<sup>(4)</sup> يقول:

يا للجدائل وهج الماس،

ما قمر الأبراج من قمرى اليافى ..

يا حلم الأحلام،<sup>(5)</sup>

ومما يزيد من الصراع هو حنين الشاعر إلى وطنه، ويتمنى الشاعر لو يصبح الحنين مهرة، ليركبها شوقه ويوصله إلى وطنه، يقول:

ما شعلة اللوز السماوي من

نوار لوزتنا ..

ليت الحنين جناحاً مهرة،

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 73/2.

(2) الخطيب، م.ن، 101/2.

(3) الخطيب م.ن، 105/2.

(4) أمين، أحمد، النقد الأدبي، ص31.

(5) الخطيب، م . س، 105/2.

فَعَلَى تَوْقِيهِمَا يَعتَلِي تَوْقِي،<sup>(1)</sup>

لقد عاد مرة أخرى ليحلم بالعودة، ويتمنى لو كان ليمونة في وطنه ولكن ما هذا كله سوى أحلام غارق فيها الشاعر، لقد عبر عن هذه الأحلام بالفعل المضارع (أصير، أفنى، أحلم، أغرق)، وكذلك ركز على كلمة الحلم مرراً وكأنما الوطن ما عاد سوى حلم له، يستحيل تحقيقه، يقول:

وَأَحْلُمُ، أَنْ أَحْلُمُ، فِي وَمَضَةٍ،

أَتِي أَصِيرُ إِلَى لَيْمُونَةٍ

أَزْهَرْتُ فِي الْبَحْرِ..

فَهِيَ أَنَا،

أَفْنَى،

وَأَغْرَقُ فِي فَيْرُوزِ أَحْلَامِي ..<sup>(2)</sup>

وفي قصيدة "لوميّاً أَلْفَاك" جاء الصراع الداخلي واضحاً معبراً عن حنينه إلى فلسطين لا يحتاج إلى توضيح، فالعنوان دال ومعبر و لأن "التجارب المريرة النادرة تفجر أو أنها فجرت على الدوام الذاكرة المكانية وكأننا مدفوعون في خضم العذاب إلى استعادة الأمكنة التي توحدنا"<sup>(3)</sup>، يقول:(الرجز)

لَوْ مَيِّتاً يَا وَطَنِي أَلْفَاكَ

لَوْ أَمْشِي لَكَ الدُّنْيَا عَلَى رَمَشِينِ

لَوْ آتِيكَ فِي خَاطِرَةٍ

لَوْ هَاجَساً أَعْبُرُ فِي بَالِ الرُّبَى

لَوْ حَفَنَةً مِنَ الثَّرَى

هَائِمَةً عَلَى جُنُونِ الرِّيحِ عُمْرَهَا

<sup>(1)</sup> الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة ، 105/2.

<sup>(2)</sup> الخطيب، م،ن، 105/2.

<sup>(3)</sup> عبد ربه، ليانة، المكان وتحولاته عند محمود درويش، فلسطين -جامعة بيرزيت، 2012 .

وتنتهي إلى ترك ..

لا أناشيدُ الوجودِ غيرَ ذلك..

أن أشيعَ فيكَ .. أن أراكَ؟؟ (1)

وفي قصيدة "المدينة الضائعة المفتاح" جاء الصراع الداخلي عبر مشاهد ولوحات عرضها الشاعر، ليعبر عن حكايته وحكاية شعبه، افتتح القصيدة بالفعل الماضي "كان" والزمن "الأمس" ليظهر لنا حاله في المساء عند فرحه وبكائه في اللوحة الأولى، يقول:

كنتُ بالأمسِ إذا أحزنُ أبكي

وإذا أفرحُ .. أبكي ..

كان سَهْدُ الليلِ (2) تاريخي

وحُزنُ الأرضِ مُلكي .. (3)

يتواصل الشاعر مع قصة السيد المسيح ليسرد لنا حكايته، يقول:

ثمَّ يوماً جِيءَ بي للطَّورِ

في ثَلَاةِ حُرَّاسٍ... وفي إكليلِ شوكٍ ..

يومَ أن نُوديتُ - مِن دونِ بَرَبَّاسٍ -

وسُمِّيتُ لدى الشُّرطةِ باسمي

خانني الدمعُ.. إذا الدمعُ عَشَا مُقَلَّةً أُمِّي!! (4)

تساعد الحدث ليرسم لنا الشاعر في هذه اللوحة صورته حيث أصبحت جفونه جليداً وحجراً، يقول:

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 107/2-108.

(2) سهد الليل: الأرق وعدم النوم.

(3) الخطيب، م . س، 273/2.

(4) الخطيب، م . س، 273/2.

وأنا السافحُ شرياني على تُغركِ نَعماناً..

وفي صدركِ تيجانَ زهرٍ..

صارَ جفنايَ جليداً .. وحَجَزَ..<sup>(1)</sup>

ونرى هنا مدى الألم الذي يشعر به، فكلماته تصرخ وتعبّر عن ذاتها فهو (بيكي، ألم، لسعات، ليل، كبريت، بريّة)، يقول:

وجَعَلْتُ الآنَ أبكي من مساميرِ ضُلوعي

ودُموعي..

صِرْنَ في قَلبي كبريتاً، ولَسعاتِ إبرٍ..

وأنا الضاربُ، في برّيّةِ الليلِ،

على غَيرِ أثرٍ<sup>(2)</sup>

يتذكر ما حصل في "دير ياسين" و واقعة "بحر البقر" مجازر تلو المجازر فالفلسطيني أصبح قرابين يقدمها العدو في أعياده، يقول:

قَدَفْتُ بي "ديرُ ياسينَ" بِطوفانِ النَجيعِ

وَقُلوعي..

ضَيَعْتُ يابسةً الصُّبحَ على "بَحْرِ البَقَرِ"!!<sup>(3)</sup>

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 273/2.

(2) الخطيب، م. ن، 274/2.

(3) الخطيب، م. ن، 274/2.

استطاع الشاعر أن يسمو بعاطفته وأفكاره، "الأفكار التي هي جزء من عناصر الشعر، ما دام يعتمد على اللغة والكلام، وأن يسمو الشعر بسمو الأفكار" (1)، وهنا نستطيع القول "أن قيمة الأديب الكبرى إنما تقاس بمقدار اتصاله بالنبع من وراء الحواجز والسدود" (2).

وفي قصيدة "جبهتي تنكر الخيانة" تجلّى الصراع الداخلي عند الشاعر، عبر موقفه الراض لفكرة العرب بأنهم مستقلون استقلالاً تاماً، يقول في مقدمة القصيدة "عدت إلى حجرتي الدمشقية الصغيرة في سوق ساروجة" أعزى النفس بوضع هذه القصيدة شبه البكائية .. ضمن حالة من القهر، قاتمة، قابضة، حالكة الخواطر والأفكار" (3)، يقول: (الخفيف)

عندما يَنشُرُ المساءُ على الأفقِ

جَنَاحِينَ مِنْ ظَلَامِ الغُروبِ

يَشُرُّ الشاعِرُ المُعَذَّبُ، للسفحِ

وَحِيداً، مع الخيالِ الكئيبِ

جذعُ زَيْتُونَةٍ، وَخَفَقَةُ آهٍ

في ضُلُوعِ المُنَى، وَصَرَخَةُ ذَيْبِ

وانطلاقَ مع الخيالِ عميقٍ

وانسراحَ مُجَنِّحٍ في الغُيوبِ (4)

لقد عبر الشاعر عما يدور في خاطره، عند المساء، عندما كان وحيداً، معذباً، بعد أن جعل المساء طائراً يفرد جناحين من الغروب، فالشاعر استخدم كلمات تدل على مدى الحالة التي كان بها، فهو "معذب، وحيد" حتى الخيال الذي لجأ له خيال كئيب لا معنى له.

(1) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، ص 371.

(2) قطب، سيد، النقد الأدبي، (أصوله ومناهجه)، ط4، بيروت، 1980، ص 25.

(3) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 2/95.

(4) الخطيب، م . ن، 97/1.

يتنامى الصراع في داخله عبر تساؤله المستمر عن أهل وطنه المشردين ليجعل من المنفى، مكاناً للموت والغربة، يقول:

يا لُدُنْياي .. عالمٌ مُغلَقُ السرِّ  
عَصِيٌّ على اللبیبِ، اللبیبِ  
أین أهلي؟! تَوَزَّعوا الموت والنَّفْیَ  
بَعیداً في كُلِّ أُفقٍ غَرِيبٍ<sup>(1)</sup>

لقد طمست الرمال آثار أقدامهم، مما لا يتيح لهم العودة ثانية ذلك أنه لم يعد لهم دليل يستدلون به على الطريق، لم ير الشاعر في سنين عمره سوى العناء، وهو أكيد بأنه قريب، يقول:

تلك آثارهم تضيغُ على الرملِ  
كخطوي على المتاهِ الرهیبِ  
كم تأملت في سِنِّي، فأبصرتُ  
جدارَ الفناءِ جدُّ قَرِيبٍ<sup>(2)</sup>

تتداخل لدى الشاعر مشاعر اليأس والضيق، لتظهر عنده عبر كلماته فمرة شوك ونار وصلب وحياء تكاد لا يكون فيها أي بصيص أمل، ويختم هذه الأبيات بتحويل الصراع من داخلي إلى خارجي، عبر سؤال الحاكمين عن ذنبه الذي جعله آثماً مطارداً ومشرداً عن وطنه، يقول:

ضائقٌ هكذا، كأنَّ حياتي  
أسفرت لي عن سرِّها المَحجوبِ  
يائسٌ مثلما أساقُ عن الدُنْيا  
غريباً في ساحةِ التعذيبِ  
ها هُنا مرقدِي على الشوكِ والنارِ  
وعيناِي في ذراعِ الصليبِ  
رُبما كنتُ آثماً غير أني

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة، 97/1-98.

(2) الخطيب، م . ن، 98/1.



## أسألُ الحاكمينَ: أين ذُنوبي؟! (1)

عبر الشاعر عن انفعالاته وأحاسيسه عبر الزخم الإيقاعي في هذه الأبيات التي كرر فيها عبارات دالة على هذه الانفعالات والأحاسيس، فهو (ضائق، وبائس، وغريب)، منامه (شوك ونار)، فمن الضروري أن يجسد الشاعر موقفاً ما إزاء الحياة، وإلا فإنه لا يعدو كونه نصوصاً فارغة من جذوة الروح ورسفاً لأحجار اللغة<sup>(2)</sup>.

وفي جزء آخر من القصيدة يستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام ليظهر صراعه الداخلي عبر حنينه إلى وطنه، ليعود بالذكرى إلى أيام الطفولة، وأحلامها التي لم تعد سوى فراش تساقط وتهادى في النار، يقول:

أين يا بُرْتقالة الكوخِ ميعادي  
أما تلمحينَ طيفَ حَبِيبِي  
ساعياً في الظلامِ يخطوا رقيقاً  
بالحصى، خشيةً انتباهِ الرقيبِ  
أين رؤيا طفولتي قُرب سيلِ  
وعلى مُخَمَلِ الرياضِ العَشِيبِ  
تلكَ أحلامي الصَّغيرةُ، أسرابُ  
فراشٍ تمرَّغت في اللهبِ (3)

لقد رسم الشاعر لوطنه أجمل الصور رغم بؤسه وألمه، فالأرض لم تكن سوى أرض محلة خالية من العشب والخضرة والماء.

بعد استعراضنا للشخصيات والحوار والصراع، نجد أن الشاعر عبر عن آرائه من خلال شخصيات متنوعة، منها الرمزية التي عبر عن العدو بها في أكثر من قصيدة، كما جاءت معبرة كذلك عن المناضلين من أبناء الأمة العربية، كما استطاع من خلال الشخصيات الأسطورية أن يعلن ثورته على العدو والأنظمة العربية، وجاء بالشخصيات التاريخية بمواقف مغايرة لما كانت عليه، وشخصيات

(1) الخطيب، الأعمال الشعرية الكاملة 98/1.

(2) العلاق، جعفر، الشعر والتلقي، ص 90.

(3) الخطيب، م . س، 99/1.

ربط نفسه بها . كما جاء الحوار محركاً للحدث في القصائد، وظهر بنوعيه الخارجي وعبر به عن حنينه للوطن، ورفض الأنظمة العربية له، وجاء الحوار الداخلي معبراً عن معاناته وآلامه .

وبرز الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي، واستطاع أن يمزجه بالعناصر الأخرى للقصيدة لتتظافر مع بعضها وتخرج القصائد في أجمل صورة، وسواء أكانت هذه العناصر متحدة أم متفرقة استطاع الخطيب أن يوصل رسالته لنا، لتتفاعل معه ومع القضية في أغلب القصائد .

## الخاتمة

رصدت الدراسة ظاهرة النزعة الدرامية عند الشاعر يوسف الخطيب، التي عبر من خلال عناصرها عن العديد من آرائه وآماله ومواقفه الراضية للواقع السياسي، وخلصت إلى النتائج الآتية:

1- نجح الشاعر في توظيف الحدث بأنواعه توظيفاً فنياً نابضاً بالحياة، ليكشف من خلاله عن مواقفه وآراءه، وجاءت الأحداث بأفعال ماضية أو مضارعة ليعطي القصيدة حركة و ليخيل للقارئ أن شريطاً مصوراً يمر من أمامه وأنه يشاركه في الحدث ويتفاعل معه، والحدث حرك الشخصيات ونقلها من السكون للحركة .

2- جاء حضور المكان واضحاً في قصائد الشاعر، وتتنوع الأماكن بتتوع حله وترحاله، فالأمكنة كان لها لأثر النفسي عليه، ولكن كل الأماكن لم تعوضه عن وطنه الذي ظل في نفسه الأجمل وما سواه ما هي إلا صحراء قاحلة ومظلمة ومقفرة خالية حتى من المشاعر .

3- لقد ربط الزمن الحاضر بالماضي ليسقط من خلاله جام غضبه، على من رضوا بالهزائم والانكسارات وجعلها صفة ملازمة له، وتجلت في قصائده أزمدة معينة حاملة معها دلالة على المجازر والقتل كأنها أزمدة لتقديم القرابين من القتلى والمظلومين .

4- ارتكزت قصائده على شخصية أو أكثر، وعبرت عن أحلامها وآمالها في أرض الوطن، كما عبرت عن آراء دينية وسياسية وفكرية والشخصيات جاءت متنوعة منها التاريخية مثل نبوخذ نصر والشخصيات الأدبية التي استحضرها ليشكو ألمه، لها مثل شخصية المتنبى أو ليضعها بموقف مغاير عما كانت عليه كهارون الرشيد، وشخصيات رمزية جاءت معبرة عن فكرة واضحة ورسالة أراد الشاعر أن يوصلها، وشخصيات من الحاضر ارتبطت بحكايا وقصص حقيقية عايشها الشاعر بأم عينه .

5- وتتنوع أوجه الصراع عند الشاعر، وظهر صراعه مع نفسه ومع المواقف المتخاذلة من قبل الحكام وامتاز الصراع بالتوتر والاضطراب والحركة السريعة المعبرة عنه .

6- وعنصر الحوار الخارجي كان موظفاً بأسلوب فني وجميل نقل من خلاله موقفاً جاداً ورؤية واضحة، وعكس الشخصيات وعرفنا بطبيعتها من خلال أفعالها وأقوالها، وأسمعنا الشاعر صوته عبر الحوار الداخلي ولم يسمح لأحد أن يقاطعه حتى ينهي رسالته .

## التوصيات:

وأوصي في نهاية بحثي :

- أن يتم التركيز على شعر يوسف الخطيب وإنصافه كغيره من الشعراء، بعمل الدراسات المتنوعة حول شعره.
- إدراج شعره في الكتب الجامعية والمدرسية، ذلك لجمال قصائده ومدى تعبيرها عن حب الوطن
- إنصافه وإعطاؤه جزءاً من حقه علينا، من خلال إعادة النظر في إدراج اسمه في موسوعة الشعراء العرب.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر

1. الخطيب، يوسف، الأعمال الشعرية الكاملة، دمشق، دار فلسطين للإعلام والثقافة والفنون، 2011.
2. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دط، بيروت - دار الهداية، . د.ت.
3. فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، د.ط، تونس، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، 1986.
4. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، القاهرة-مطبعة السعادة، 1955.
5. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، د.ط، مجمع اللغة العربية- القاهرة، د.ت.
6. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، د.ط، بيروت - دار العلم للملايين، 1987.
7. أبو الفرج، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، د.ط، القاهرة، د.ت.
8. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، د.ط، بيروت - دار صادر، 1414هـ.

### ثانياً: المراجع

1. أبو إصبع، صالح، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، دط، بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979
2. أجري، لاجوس، فن كتابة المسرحية، تحقيق: ديريني خشبة، ط1، القاهرة- دار سعاد الصباح، 1993.

3. رحاحلة، أحمد زهير، القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر، ط1، الأردن - عمان، دار حامد، 2012، 1433هـ، م .
4. أحمد، فتوح أحمد، الرموز والرمزية في الشعر المعاصر، دط، مصر - دار المعارف، 1977، ص193.
5. إدريس، سهيل، محاضرات عن القصة في لبنان، دط، لبنان - معهد الدراسات العالمية، 1957.
6. إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دط، القاهرة - دار الفكر العربي، 1967 .
7. إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دط، القاهرة - دار المعارف، 1963.
8. الأشتر، عبد الكريم، غروب الأندلس وشجرة الدر، دط، دمشق - المكتبة الحديثة، 1965.
9. أمين، أحمد، النقد الأدبي، ط5، القاهرة، 1983 .
10. بدوي، عبد الرحمن، مدخل جديد إلى الفلسفة، دط، الكويت - وكالة المطبوعات، 1979.
11. تميم، بن علي، السرد والظاهرة الدرامية، ط1، المغرب - الدار البيضاء، المركز الثقافي، 2003.
12. جبرا، إبراهيم، الرحلة الثامنة، دراسات نقدية، دط، دار ثابت، 1984.
13. الجبوري، محمد محمود، الشخصية في ضوء علم النفس، دط، بغداد - مطبعة دار الحكمة، 1990.
14. الجيار مدحت، قصيدة المنفى، دراسة في شعر رواد الإحياء، ط1، دار المعارف، 1999.
15. الجنداري، إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دط، دمشق - تموز للنشر والتوزيع، 2013.
16. الجبوري، كامل سلمان معجم الشعراء (من العصر الجاهلي حتى 2005) مجلد6، ط1، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، 2005 .
17. حاتم، عماد، مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية، الدار العربية للكتاب، 1984.

18. حاوي، إيليا، نماذج في النقد والأدب،، ط5، بيروت- دار الكتاب اللبناني، 1986.
19. حسن، ناهض (فايز العراقي)، يوسف الخطيب (ذاكرة الأرض..ذاكرة النار)، ط1، دمشق- منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004.
20. حسين، خالد، شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لإدوارد الخراط نموذجاً، دط، مؤسسة اليمامة الصحفية، 1421 هـ.
21. الحكيم، توفيق، فن الأدب، دط، مصر- دار مصر للطباعة والنشر، د.ت.
22. حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية، دط، القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية، د، ت.
23. حمودة، عبد العزيز، البناء الدرامي، دط، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
24. الحياي، محمود خليف خضير، استجابة المتلقي في قصيدة الدراما العربية، دط، عمان -دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2014.
25. خشبة، سامي، قضايا معاصرة في المسرح، بغداد، دار الحرية، سلسلة الكتب الحديثة رقم 249، 1970.
26. خليفة، أحمد يوسف، البنية الدرامية في شعر إيليا أبو ماضي، دط، القاهرة- دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004.
27. خياط، يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية عربي-انجليزي -لاتيني، دط، لبنان - بيروت دار لسان العرب، د.ت.
28. الخياط، جلال، الشعر والزمن، دط، بغداد- دار الحرية، 1975.
29. دوّام، مجدي عبد المؤمن، البنية الدرامية في شعر المهجر، دط، القاهرة- منشورات المكتبة العربية الالكترونية، 2007.
30. الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، دط، الأردن- جامعة اليرموك، 1980.

31. الرباعي، عبد القادر، **جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)**، ط1، عمان-دار جرير، 2009.
32. رجب، محمود، **الاغتراب**، د.ط، الإسكندرية- منشأة المعارف المصرية، 1978.
33. رشدي، رشاد، **نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن**، د.ط، القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية، 1992.
34. رضا، أحمد، **معجم متن اللغة**، د.ط، لبنان-بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1960 .
35. رضا، حسين، **الدراما بين النظرية والتطبيق**، ط1، بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972.
36. زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي**، د.ط، القاهرة - دار الفكر العربي، 1997.
37. سرحان، سمير، **دراسات في الأدب المسرحي**، د.ط، العراق - دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.
38. سرحان، سمير، **مبادئ علم الدراما، الشارقة**، د.ط، دار الثقافة والإعلام، د.ت.
39. شعث، أحمد جبر، **الأسطورة في الشعر الفلسطيني**، د.ط، خانيونس - مكتبة القادسية، 2002.
40. صالح، بشرى موسى، **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، د.ط، المغرب-الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، 1994.
41. ضيف، شوقي، **دراسات في الشعر العربي المعاصر**، ط6، القاهرة - دار المعارف، د.ت .
42. الطائي، بيداء عبد الصاحب، **البنية الدرامية في شعر نزار قباني**، ط1، العراق- بغداد، دار ضفاف للنشر، 2012 .
42. الطربولي، محمد عويد، **المكان في الشعر الأندلسي**، من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي، ط1، عمان- دار الرضوان للنشر والتوزيع 2012-1433هـ.
43. الطنوسي، شكري، **مستويات البناء الشعري**، د.ط، القاهرة - الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998.



44. عباس، إحسان، تاريخ النقد العربي عند العرب، د.ط، بيروت - دار الثقافة، 1983.
45. عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ط21، بيروت- دار العلم للملايين، 1984.
46. عبد ربه، ليانة، المكان وتحولاته عند محمود درويش، د.ط، فلسطين - جامعة بيرزيت، 2012.
47. عثمان، اعتدال حاتم العكر، الشعر ومتغيرات المرحلة، جماليات المكان، د.ط، بغداد- دار الشؤون والثقافة العامة، 1980 .
48. العشري، جلال، مسرح أو لا مسرح، د.ط، القاهرة- دار المعرفة، 1980.
48. عصفور، عبد الجابر، النقد الأدبي الحديث، د.ط، دبي - دار الصدى، 2009 .
49. علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.ط، بيروت- دار الكتاب العربي، الدار البيضاء، مطبعة المكتبة الجامعية، 1985.
50. عمارة، أحمد، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، ط1، 1414هـ.
51. العناني، حنان، الدراما والمسرح في تعليم الطفل منهج وتطبيق، ط5، عمان - دار الفكر، 2000.
52. عودة، علي محمد، الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، (1952-1982)، د.ط، غزة - مكتبة دار المنار، 1997.
53. العيد، يمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النبوي، ط1، دار الفارابي، 1990.
54. غنيم، كمال أحمد، المسرح الفلسطيني، دراسة تاريخية نقدية في الأدب المسرحي، د.ط، القاهرة- دار الحرم للتراث، دت.
55. فرحات، أسامة، المنولوج بين الدراما والشعر، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
56. فهمي، ماهر حسن، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، د.ط، مصر- معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية 1970.

57. قصرأوي، مها حسن، الزمن في الرواية العربية، د.ط،بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004.
58. قطب،سيد، النقد الأدبي،أصوله ومناهجه، ط4، بيروت،1980 .
59. قيدوح، عبد القادر، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د.ط،الأردن-دار صفاء للطباعة والنشر، 2010.
60. مجموعة باحثين، الرواية العربية واقع وآفاق، ط1، بيروت- دار ابن رشد، 1981 .
61. محمد العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية،ط1، الأردن -عمان دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997.
62. مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د.ط،الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1998
63. المرزوقي، سمير، جمى شاكرا، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، د.ط،بغداد- دار الشؤون الثقافية العامة،1986.
64. معتصم،محمد،الرؤيا الفجائية في نهاية القرن وبداية الألفية الثالثة،ط1، الجزائر -منشورات الأختلاف، 2003، ص176
65. مهران، رشيدة، الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر،ط1، الإسكندرية- الهيئة المصرية العامة للكتاب،1979.
66. موسى، إبراهيم نمر، آفاق الرؤيا الشعرية،د.ط، وزارة الثقافة-الهيئة العامة للكتاب، 2005م .
67. موسى، خليل، بنية القصيدة العربية المعاصرة، دراسة، د.ط، دمشق،- منشورات اتحاد كتاب العرب، 2003.
68. النابلسي، شاكرا، جماليات المكان في الرواية العربية، ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994.

69. نوفل، حسن يوسف، أصوات النص الشعري، ط1، الشركة المصرية العامة، لونجمان، 1995

### ثالثاً: الدوريات

1. أبو ندى، وليد محمود، المكان في رواية البيارة الضائعة، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد 19، عدد 1/2011.
2. الراعي، علي، المسرح في الوطن العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع25، 1997.
3. سالم، نورية سعد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر الليبي، مجلة فكر وإبداع، عدد 75، 2013.
4. غنيم، أحمد كمال، البناء الدرامي في شعر معين بسيسو، مجلة فكر وإبداع، مصر، ج26، ص91-114.
5. موسى، إبراهيم نمر، توظيف الشخصيات في الشعر الفلسطيني، مجلة عالم الفكر، ع2، مج33، أكتوبر 2004.
6. موسى، إبراهيم نمر، ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر، عالم الفكر، عدد4، مجلد 35، إبريل - يونيو 2007.

### رابعاً: رسائل الماجستير

1. جبريل، خميس، التناص في شعر يوسف الخطيب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، 2015.
2. السيد، محمد علي، النزعة الدرامية في الشعر العربي، النزعة الدرامية في الشعر العربي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قنا، 1980.
3. الشياب، صدام علاوي، البنية السردية، في شعر ممدوح عدوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 2007.

4. صليح، إسماعيل محمد، أحمد دحبور، تجربته الشعرية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1990.
5. عبد العزيز، عبد الرحمن، الحوار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الإمام محمد، السعودية .
6. علي حسن خواجه، الشعر العربي الحديث في فلسطين،(مرحلة الريادة) دراسة أسلوبية، رسالة دكتوراة جامعة الدول العربية -معهد البحوث العربية،2000.
7. أبو عبيده، أمل، يوسف الخطيب حياته وشعره، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 2002.

#### خامساً: الكتب المترجمة

1. أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، د.ط، القاهرة -مكتبة الأنجلو المصرية، دت .
2. أونيل، سيسلي، عوالم الدراما، ت: عيسى بشارة، ط1، فلسطين- رام الله، مركز القطان، 2012
3. باشلار، غاستون، جماليات المكان، د.ط، بيروت- المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، 1984.
4. بسفلا، روجر، فن الكاتب المسرحي، ترجمة: ديريني خشبة، د.ط، القاهرة - نهضة مصر، 1978.
5. جينت جيرال، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم، عبد المجيد الأزدي، عمر الحلبي، ط2، القاهرة -المجلس الأعلى للثقافة، 1997.
6. درو، اليزابت، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة: إبراهيم محمد الشوش، د.ط، بيروت-، مكتبة شيحة،، د.ت.
7. ديفز، ب.أ، المفهوم الحديث للزمان والمكان، ترجمة: السيد عطا، د.ط، القاهرة- الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998.

8. زاخوفا، يوريس، فن الممثل والمخرج، ترجمة عبد الهادي الراوي، د.ط، عمان - منشورات وزارة الثقافة، 1996.
9. كوهن، جان، الكلام السامي (نظرية في الشعرية)، ترجمة: محمد الوالي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2013.
10. كيرزويل، أديث، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة: جابر عصفور، د.ط، العراق - دار آفاق عربية للصحافة والنشر، 1985.
11. ماستين، ت، أس، اليوت الشاعر الناقد، (ت)، إحسان عباس، د.ط، صيدا - بيروت، 1969.
12. مندولا، أ.أ، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، مراجعة إحسان عباس، ط1، بيروت - دار صادر، 1997.
13. همفري، روبرت، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة، محمود الربيعي، د.ط، القاهرة - دار غريب، 2000.

#### سادساً: مواقع الانترنت

1. الرجوب، عوض، يوسف الخطيب بين الثورة والسياسة، <http://www.aljazeera.net>.
2. يعقوب، أوس داود، يوسف الخطيب في دمشق، 2011، موقع ديوان العرب، على رابط [http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id\\_article=29606](http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=29606)
3. خبر وفاة الشاعر، 2011، وكالة فلسطين اليومية للاخبار <https://paltoday>.

## فهرس المحتويات

أ.....	إقرار
ب.....	شكر وتقدير
ت.....	الملخص بالعربية
ث.....	الملخص بالانجليزية
1.....	المقدمة
4.....	تمهيد: حياة الشاعر
8.....	الفصل الأول
8.....	عناصر النزعة (البنية) الدرامية (1)
9.....	توطئة
9.....	أولاً: البنية مفهومها
10.....	ثانياً: النزعة الدرامية
10.....	ثالثاً: مفهوم الدراما
12.....	المبحث الأول: الحدث الدرامي
14.....	أولاً: الحدث الهابط :
19.....	ثانياً : الحدث الصاعد:
27.....	ثالثاً : بداية السرد:
31.....	رابعاً :الابتداء بالحبكة:
35.....	المبحث الثاني: المكان
37.....	أولاً :المكان المغلق، (الخيمة)
43.....	ثانياً: المكان الواسع ويقسم إلى :

56	المبحث الثالث : الزمن
56	أولاً : مفهوم الزمن
57	ثانياً : أقسام الزمن
59	ثانياً : الاسترجاع الجمعي
67	ثالثاً : الاستباق
73	رابعاً : الحذف
80	الفصل الثاني :
81	المبحث الأول : الشخصيات
81	أولاً : الشخصيات لغة واصطلاحاً
82	ثانياً : أنواع الشخصيات عند يوسف الخطيب
88	ثالثاً : الشخصيات الدينية
90	رابعاً : الشخصيات التاريخية
97	خامساً : الشخصيات الأدبية
99	سادساً : شخصية المرأة
102	سابعاً : شخصية النائر
106	ثامناً : شخصية المتخاذل
112	المبحث الثاني : الحوار
112	أولاً : مفهوم الحوار
113	ثانياً : أقسام الحوار
126	ثانياً : الحوار الداخلي :
136	المبحث الثاني : الصراع

136	.....	أولاً : مفهوم الصراع
138	.....	ثانياً: أقسام الصراع
138	.....	أولاً: الصراع الخارجي:
153	.....	ثانياً: الصراع الداخلي:
164	.....	الخاتمة
165	.....	التوصيات:
166	.....	قائمة المصادر والمراجع
175	.....	فهرس المحتويات